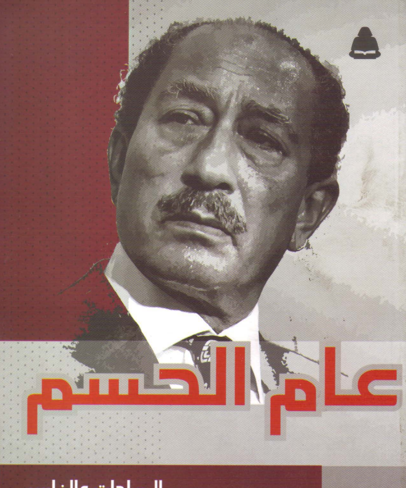


السادات والناس

مصر ٧١

طارق رضوان

عام الحسم

السادات والناس

مصر ٧١

رضوان، طارق.
عام الحسم: السادات والناس: مصر ٧١/ طارق
رضوان. ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب،
٢٠١٥.
٢١٦ص: ٢٤سم.
تدمك ٦ ٠٢٥٦ ٩١ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ مصر ـ تاريخ ـ العصر الحديث ـ أنور السادات
(١٩٧١ ـ ١٩٨١)
أ ـ العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب ٧٩١٦/ ٢٠١٥

I. S. B. N 978 - 977- 91 - 0256 - 6

ديوى ٩٦٢.٠٧١

عام الحسم

السادات والناس

مصر ٧١

طارق رضوان



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١٥

وزارة الثقافة
الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. أحمد مجاهد

اسم الكتاب : عام الحسم
السادات والناس
مصر ٧١
تأليف : طارق رضوان

الإخراج الفني : إيناس الدكروري
تصميم الغلاف : أحمد أغا

الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدي : ١١٧٩٤ رمسيس
www.gebo.gov.eg
email:info@gebo.gov.eg

إهداء

إلى أبى

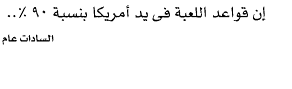
من علمنى حب الحياة...

إلى أمى

من علمتنى حب الله...

طارق





إن قواعد اللعبة فى يد أمريكا بنسبة ٩٠ ٪..

السادات عام ١٩٧١



تمهيد

المشروع كان كبيرًا و ضخمًا. مدروسًا بعناية. فالدول العظمى لا تغير استراتيجيتها بسهولة؛ لأن تلك الاستراتيجيات لا تصنع بالإلهام أو النزوة ولا تتقرر بقيام حكم أو سقوط حكم ولا يؤثر فيها أن يذهب رئيس ويجىء رئيس. فالاستراتيجيات إملاء جغرافيا وتاريخ. وقد تتغير السياسات المعبرة عنهما لتتلاءم مع متغيرات الظروف. لكن الاستراتيجيات تعلم دارسيها أن الأهداف يمكن الاقتراب منها عن طريقين. اقتراب مباشر أو اقتراب غير مباشر مع بقاء الهدف فى الحالتين. وهو الأسلوب الذى تتبعه الولايات المتحدة الأمريكية فى سياستها التى وضع ورقتها الأولى داويت أيزنهاور وهو يضع استراتيجية الإمبراطورية الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية. خطته تجاه الغرب هو الدعم والمساعدات السخية للوقوف على قدميه وذلك عن طريق مشروع مارشال الذى يعطى للمتقدمين سابقًا فرصة استعادة التقدم ومعه الديمقراطية والسلاح الحامى لاستئناف التقدم هو منظمة (حلف الأطلنطى). أما ناحية الشرق الأوسط. فالوسيلة الرئيسية فيه هو الدين والتركيز على استعادة القديم بدعوى الرجوع إلى الأصول. والسلاح الضامن للأصول وذلك من وراء الستار: لأن الولايات المتحدة لا تستطيع على المكشوف أن تقف وتدعو من شرفات المآذن أو أبراج الكنائس إلى التمسك بالدين والعزوف عن مطالب الدنيا رجاء نعيم الآخرة. ولذلك اختار أيزنهاور رجلين لأعلى المناصب فى إدارته. وهما شقيقان لأب قضى عمره وعمله قسيسًا داعيا إلى ملكوت السماء الشقيق الأول هو جون فوستر دالاس فى موقع وزير الخارجية. وكان المبشر الأعلى صوتًا بأن الدين هو السلاح الأكثر فاعلية ونفاذًا فى العالم الثالث؛ لأنه الهوية التقليدية للشعوب. والشقيق

الثانى هو آلان دالاس فى موقع مدير وكالة المخابرات المركزية التى أوكلت لها مهمة حرب سلاح الأفكار وليس سلاح النار. وقد اتخذت شعارات الإسلام وهى العقيدة الأكثر انتشارًا فى المنطقة لتكون وسيلتها وذخيرة سلاحها فى المنطقة. تلك هى سياستهم وقد بدءوا فى التنفيذ فى تكوين حلف بغداد الذى دمره عبد الناصر ثم كرروا الكرة مرة أخرى بالمؤتمر الإسلامى كفكرة من الملك فيصل بقيادة مصرى هو أنور السادات. ولأن الإمبراطوريات الكبرى عندما تخطط فإنها تنظر إلى المستقبل مائة عام. فقد كانت خطتهم أن يتولى الإسلاميون حكم مصر عندما تسمح الفرصة. وتكون البلاد على استعداد لتقبل الفكرة. تأخذ عشرة أعوام. عشرين. خمسين. تأخذ ما تريد من وقت. لكنها فى نهاية الأمر ستنفذ. ما دامت البلاد لديها الاستعداد وما دام الأفراد على استعداد للتعاون. حتى لو ظنوا أنهم يفعلون ذلك من نابع الوطنية ومصالح مصر العليا.

السادات بخبرته السياسية وخياله الواسع فى حكم مصر. كانت له رؤية خاصة منذ أن تولى حكم البلاد شريكًا تحت ظل مجلس قيادة الثورة. وتحت جناح جمال عبد الناصر. لكن أحلام السادات ظلت سرًا بداخله حتى تأتى الفرصة المناسبة لتحقيقها. ومهما طال الزمن ومهما اقترب العرش أو بعد. كانت الأيام الطويلة والمسافة البعيدة ما بين السادات وعرش مصر تجعله يرى أفضل. ويعرف الأنسب. وينضج وتنضج الفكرة بداخله لتحقيق ما يريد من أجل بلاده ـ من وجهة نظره ـ وعندما صعد إلى كرسى الرئاسة فى ظروف عصيبة تمر بها البلاد. كان قد اختمرت الفكرة فى عقله، وتملكت من وجدانه. والوقت كان عدوه الوحيد؛ لذلك كانت كل قراراته سريعة. وفى علم السياسة هناك اتفاق على مصالح. لكن هناك اختلافًا على الهدف. وعند تولى السادات الحكم. كانت المصالح الأمريكية الساداتية تبدو واحدة. أهمها إنهاء تواجد الاتحاد السوفيتى فى المنطقة ـ قطع رجله على حد قوله ـ وعقد السلام ما بين العرب وإسرائيل. والاعتراف الكامل بدولة إسرائيل. والانتهاء نهائيًا من المشكلة الفلسطينية. اتفق الطرفان. لكن الهدف مختلف. السادات يريد تحرير أرضه. ويريد إخراج بلاده من فقر الاشتراكية الوهمية التى كان يراها تزيد من فقر المصريين. كان يريد أن يجنب شعبه دماء الحروب. وويلات المعارك التى تحرق شعبه واقتصاده

ومعنوياته. أما الأمريكان فقد كان مخططهم طويل الأجل. امتد حتى لحظة تولى الدكتور محمد مرسى حكم مصر فى ٣٠ يونيو ٢٠١٢. أى أن خطة الأمريكان لتولى الإخوان المسلمين الحكم نجحت. وتحققت على أرض الواقع بعد ستين عاماً من إثارتها والموافقة عليها داخل أروقة البيت الأبيض. أما الجماعة التى كان كل حلمها هو التواجد داخل النسيج المصرى دون اضطهاد ومعتقلات وسجون وإعدامات. فقد كانت تناور. وترسل الرسائل والتطمينات السياسية إلى البيت الأبيض. وعملت تحت مظلتهم فى أوروبا وفى محاربة الشيوعية. وانتظروا اللحظة المناسبة للانقضاض على عرش مصر معتمدين على أحلام أمريكا فى المنطقة. ويججج تتال لقواعدهم من الشباب ـ نتعامل مع الشيطان الأمريكى من أجل مصلحة الجماعة ولإعلاء اسم الله والإسلام فى مصر ـ وهكذا اتفقت المصالح. واختلفت الأهداف. لكن الفائز الأكبر هو الإمبراطورية الأمريكية بأموالها وخططها ومخابراتها وعملائها، تستطيع أن تنفذ ما تريد. وتأخر تحقيق الهدف ليس لصعوبة تحقيقه. لكن لأولوية الأهداف. كان الشرق الأوسط هو البند الثانى بعد الكتلة الشرقية والاتحاد السوفيتى. وفور أن انتهت الأولوية الأولى. توجهت فوهات المدافع ناحية المشرق العربى. وحلقت الطائرات فوق رءوس المسلمين وفاحت فى الهواء رائحة البارود والدم والدموع وتبدلت وجوه وتبدلت خرائط وتغير الناس و تغيرت معالم الشرق الأوسط. وتبدلت كل الأنظمة الحاكمة العميلة منها والمنبطحة والخائنة. ووصل الأمر إلى أخونة جنوب البحر المتوسط كله من المغرب وحتى الأردن مروراً بالسودان.

السادات كان مرحلة الدخول التى عطلها ناصر ١٨ عاماً ويزيد. للسادات هدف. فهو رجل وطنى من طراز فريد ولديه خيال واسع نحو مستقبل بلاده. وتتبع خط سير حكمه دليل واضح على وطنيته غير القابلة للمزايدة أو التشكيك. لكن وبعد البحث الذى دونته فى هذا الكتاب. فقد أستخدم ـ بضم الألف ـ الرجل لتحقيق الهدف. وخضع الجميع. لكن يبقى هنا القائد والمعلم والملهم يبقى الشعب....

طارق رضوان

ابريل ٢٠١٣



المقدمة

قديمة هى مصر. كبيرة ومترامية الأطراف. وشعبها العظيم نسيج فى عروقه خصال ينفرد بها وحده. وبين عبقرية المكان وعبقرية الإنسان وعبقرية الزمان تصبح دائمًا دولة غير عادية. استثنائية. رابطًا ما بين العالم القديم والعالم الحديث. بين الحضارة وبين التخلف. بين الاستعمار وبين التحرر. بين الأيديولوجية والعرقية. تبدو وكأنها دائمًا كبير العائلة المحاصر دوما ما بين المشكلات وبين المسئولية وبين السلم والحرب. وعندما يمرض الكبير ترتجف بقية أطراف العائلة خوفًا على حياة كبيرهم. وأنا هنا لا أبالغ أو أتحيز لهذه الأمة العظيمة. لكن سير الأحداث التاريخية هو من يقول ذلك ويثبته بوضوح منقطع النظير. أمة خطرة الجوانب غير مأمونة الأحداث. فحكم مصر كالرمال المتحركة المجهول مكانها. فى أى وقت ودون مقدمات يصبح عاليها واطيها وكريمها ذليلها وهى سمات الأمم الكبرى وسمات الأنظمة السياسية التى تتوحد مع كرسى الحكم دون أن تتحسب لتلك اللحظة التاريخية. وتنسى أهم دعائم نجاح أى حكم وهو الشعب. تلك الكلمة التى يراها البعض للاستهلاك المحلى أو للتأثير السياسى على الشارع المصرى. وهى بالفعل كلمة اكتسبت سمعة سيئة وفقدت بريقها ومعناها. إلا أنها كلمة بمعناها التفعيلى او العملى هى السبيل الأوحد للبقاء سالمًا ما دمت حيًا وللخلود بعد الموت. الشعب هو الباقى وذاكرته هى الباقية. والخلود يأتى من تناقل الألسنة للحكايات عبر الأجيال المتعاقبة. سيرة جمال عبد الناصر فى تاريخ الأمة المصرية زعيم ملهم للجماهير العربية والشعب المصرى نموذج حي.

مصر تصنع التاريخ وتحركه وتكتبه. فى تاريخ تلك الأمة الحديث هناك أعوام تمر عليها حبلى بالأحداث الساخنة الممهدة للانفجار. نهاية حقبة أو لحظة ميلاد جديد بعد عامين أو ثلاث. عامًا للتمهيد وعامًا للتنفيذ. وعامًا للانفجار. ومن أهم الأعوام التى مرت على مصر فى الثلث الأخير من القرن العشرين كان عام ١٩٧١ ميلاديًا الموافق ١٣٩٠ هجريًا. ١٦٨٧ قبطيًا. وقد بدأ بيوم جمعة الموافق ٤ ذو القعدة. ٢٣ كيهيك. عامًا شهد أحداثا ووقائع غيرت مجرى التاريخ الإنسانى بلا مبالغة. حينما تحقق خلال العام أثمر ما تم إنجازه لعدة عقود مستقبلية بل نتائج أحداث ذلك العام عندما تبلورت غيرت خريطة العالم التاريخية والجغرافية. فهو العام الذى ظهر فيه محمد أنورالسادات كمحرك للأحداث بعد التخلص من أعدائه. وبظهور السادات ظهرت نواياه السياسية. الحرب الممهدة للسلام. ووضع شرعية لإسرائيل لأول مرة فى تاريخها منذ نشأتها. وفى ذلك العام أيضا بدأت مصر تستعين وتعتمد على أمهر أولادها فى قيادة الأمة فى أشد الأوقات اشتعالا...

فقد كانت الأمة تمر بظروف عصيبة فوق احتمال أى شعب وأى حاكم. الشعب مجروح من هزيمة ساحقة وثلث أرضه محتلة بعد هزيمة يونيو ٦٧ وثقته فى نظام الحكم باتت مهزوزة والنظام كله محل شك لدى رجل الشارع. عبد الناصر فقط المظلة الوحيدة التى اختارها الشعب ليلتحم تحتها. اختار الشعب أن يقف تحت معطف جمال عبد الناصر. الرجل كان حلمًا عند الشعوب العربية. يتكلم كما يريد أن ينطق به رجل الشارع. رجل كان بحجم الدولة المصرية أحلامه توحدت مع أحلام المصريين. ورغم أنه يتحمل الهزيمة فى ٦٧ كما اعترف هو أمام الجماهير فى خطاب التنحى أو لرؤساء الدول إلا أنه كان يمتلك رصيدًا من الحب لدى الشعب غفرت له خطيئته. ومع بداية عام ٧١ كانت الأسطورة قد ماتت منذ ثلاثة أشهر فى مشهد جنائزى هو الأعظم فى توديع حاكم على مدار تاريخ حكام مصر. وكان قبل رحيله قد قام بتعيين محمد أنور السادات نائبًا لرئيس الجمهورية وذلك فى ديسمبر عام ١٩٦٩. وهى الخطوة التى علق عليها كثير من المحللين السياسيين بأنها خطوة للتقرب من الولايات المتحدة الأمريكية لميول السادات المعروفة والمعلنة إلى الأمريكان.

فهناك من كان يغمز ويلمز بعلاقة السادات بالأمريكان. واتهموه بأنه عميل أمريكانى ينفذ الأجندة الأمريكية فى المنطقة. كانت سهام الاتهام من السوفييت أولا ثم تدحرجت كرة الثلج وتبناها الفريق الموالى للسوفييت. وبعد سياسات السادات القمعية ضد المعارضة. اتفقت جميعها على غير عادة الاتفاق على اتهام الرجل بالعمالة إلى الأمريكان وبالفحص والتدقيق ومتابعة الأمور بشكل علمى وبوضع القرارات والتحركات والظرف التاريخى الاستثنائى الذى وجد فيه السادات. يمكننا أن نقول ـ وللأقاويل أخذ ورد ووجهات نظر ـ إن الرجل لم يكن أبدًا عميلا للأمريكان. بل هو حكم مصر من وجهة النظر المفتونة بالحكم الغربى وبالسياسات الغربية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وفى النقطة الأخيرة كان السادات يفسرها على هواه الشخصى الرئاسى لتتلون البلاد بصبغة السادات المنبهرة على الدوام بالنموذج الغربى. كان يعلم وقتها وفى الظرف التاريخى الذى صعد فيه إلى عرش مصر. أن اللعبة فى يد الأمريكان. واستشهد فى مذكراته البحث عن الذات بمقولة عبد الناصر. حيث قال له إن جميع أوراق اللعبة فى أيدى الأمريكيين وأن الوقت قد حان للتحدث والسماح للأمريكيين بالمشاركة فى ذلك...

أما الدوائر السياسية فى مصر عند توليه السلطة فقد شعرت بحالة من الارتياح. خصوصا أقطاب الاتحاد الاشتراكى ورجال النظام المحيطين بعبد الناصر والقريبين منه لإحساسهم الخاطئ بضعف شخصية السادات. مما لا يمثل تهديدًا لبقائهم فى السلطة ولم يفكر أحد من فرط الغرور والجهل السياسى بأن هذا الرجل هو الأخطر فى كل مجموعة الضباط الأحرار بعد عبد الناصر. فهو السياسى الوحيد بعد عبد الناصر. وهو سياسى محنك منذ شبابه وقد انتمى لأكثر من تيار سياسى تعلم منه شيئًا واحدًا فقط. وهو ليس مهمًا أن تكون قريبًا. المهم أن تظل موجودًا. حتى تأتى الفرصة السانحة للإعلان عن نفسك. سر عبقرية السادات تتمثل فى المقام الأول فى المسافة التى وضعها لنفسه بين كل التيارات السياسية منذ تولى عبد الناصر الحكم. نعم كان عبد الناصر هو الأوحد كما يبدو. لكن حقيقة الأمر أن هناك فرقًا كثيرة كانت تتقرب

للرجل على رأسها وزير حربيته المشير عبد الحكيم عامر والذى ظهر معه تعبير هو الأشهر فى تلك الفترة. وهى (شلة المشير) والتى كانت السبب الأساسى فى ضياع الحياة العسكرية فى مصر. وتجسدت واضحة فى نكسة ٦٧. احتفظ السادات بالمسافة التى لا تسمح له بالتورط أو بالمسافة التى تجعله بعيداً عن الأحداث. الرجل ظهر بصورة الزاهد. القرب قد يحرقه فى أى وقت. وهو أمر قد يبعده تماماً عن المشهد. لكنه احتفظ بتواجده داخل دائرة الضوء السياسى حتى اعتلى المنصب. الموافقة على توليه المنصب كانت نابعة من فكرة ضعف شخصيته المتمكنة من فكر الكثيرين فى دائرة الحكم إذن السيطرة عليه سهلة وميسورة. والغرور الذى انتاب بعضهم جعلهم لم يفكروا ولو للحظة واحدة خطورة هذا الرجل ودهائه السياسى ولم يلحظوا أن الرجل الباقى منذ عام ٥٢ لم تغب شمسه مثل الغالبية العظمى من أعضاء الثورة أى ١٨ عاما حافظ الرجل على تواجده وقد لعب الغرور لعبته مرة أخرى عندما ظنوا أن الإطاحة بالسادات سهلة وميسورة بعدما تقلد مقاليد الحكم. الغرور قادهم لغياهب السجن دون اعتراض من أحد. بل وبمناشدة الشعب فى ندائه الشهير (أفرم أفرم يا سادات). إذن الرجل جاء لسدة الحكم والغيوم تلبد سماء القاهرة. وطن ثلث أرضه محتل من العدو التاريخى. جيش خارج لتوه من هزيمة نفسية عنيفة وشعب محبط لا يثق فى نظام دولته ويشعر أنه تيتم بعد وفاة أبيه الروحى. البلد تغلى على صفيح ساخن من المظاهرات المطالبة بالحرب. والدولة غير مستعدة لحرب شاملة لقلة الإمكانيات الحربية بجانب اعتمادها الأول والأساسى فى شراء الأسلحة على دولة واحدة وهى الاتحاد السوفيتى. وهو القوة العظمى التى تحركها حسابات دقيقة مع القوة الأخرى. وكل المدخرات المالية ذاهبة للمجهود الحربى والتسليح والبنية التحتية منهارة تماما. واختفت كثير من السلع الاستراتيجية من الأسواق نتيجة توقف حركة الملاحة فى قناة السويس. وتوقفت كذلك حركة السياحة ولجأت مصر للاستدانة. خلاصة الأمر أن الدولة المصرية كانت فى حالة انهيار كامل لو قورنت بحالتها الطبيعية فى سنوات ما قبل هزيمة ٦٧. هكذا تسلم أنور السادات الدولة بجانب شلة كبيرة من بواقى جمال عبد الناصر تريد أن تسيطر ولا تحكم.

تلعب فى الخلف ولا تتحمل أعباء مواجهة الجماهير أو تتحمل مسئولية الحرب. وكان لسان حالها يقول لو دخل السادات الحرب وهزم سنكون الجهة التى تحاكمه أمام الشعب دون التورط فى نار الحرب وتحمل تبعيتها. ولو انتصر فالنجاح له ألف أب وسيحسب لنا؛ لأننا نمتلك الإعلام والداخلية والمخابرات والجيش. إذن السادات ورث تركة ثقيلة الحجم والهم من عبد الناصر. (حوسة) كما كان يقول. الآن أصبح السادات أمام الأمر الواقع. وهنا ظهرت براعة الرجل فى تحسب تحركاته. والأهم اختيار رفقائه والدائرة المحيطة به وكان أهم لاعب فى تلك المرحلة هو الصحفى محمد حسنين هيكل الملاصق لعبد الناصر والمشارك فى الحياة السياسية بشكل فعلى حتى لو أنكر هو ذلك والخارج لتوه من وزارة الإعلام ـ الإرشاد وقتها ـ خارج بكامل إرادته وهو العليم بكل أوراق اللعبة السياسية المطلع عليها وكان اختيار السادات له علامة أخرى تؤكد كيف كان هذا الرجل يفكر. هم يمتلكون وزارة الإعلام أما السادات فكان يمتلك شعبية الإعلام كلها المتلخصة فى هيكل. فقد كانت الدولة منقسمة انقساماً حاداً يمكن أن يذهب بها إلى أبعد مما قد يتخيل البعض أو ما لايتمناه غير العدو الرابض على الحدود متحفزًا. منتصرًا. محتلاً. الدولة المصرية منقسمة إلى ثلاثة رجال يعتقدون أن فى أيديهم مفاتيح القوة هم الفريق أول (محمد فوزى) على أساس أنه وزير الحربية و (شعراوى جمعة) على أساس أنه وزير الداخلية وأمين التنظيم الطليعى فى الوقت نفسه، و(سامى شرف) على أساس أنه وزير شئون رئاسة الجمهورية ولديه مصب المعلومات فى الدولة. إلى جانب مسئوليته عن الحرس الجمهورى. وكان من حول هؤلاء الرجال الثلاثة الذين يعتقدون بملكيتهم لمفاتيح القوة. ثلاثة رجال آخرين بدوا ولو فى الظاهر أقرب إليهم باعتبار علاقات السلطة وهم الدكتور (لبيب شقير) على أساس رئاسته لمجلس الأمة. ومحمد فائق على أساس أنه كان وزيرًا للإرشاد القومى ثم أصبح وزيرًا للدولة للشئون الخارجية لبعض الوقت. ثم أمين هويدى على أساس أنه كان وزيرًا للدولة مع سابق خبرة بوزارة الحربية وبالمخابرات العامة. تلك كانت الصراعات داخل أروقة الحياة السياسية فى مصر. أما الشعب العظيم فلم يكن أمامه إلا شىء واحد.

سؤال يؤرقه. متى الحرب؟ وبدأ هذا السؤال يكبر ويتمدد حتى وصل فى نهاية الأمر إلى اليأس الكامل من وجود حرب لتحرير الأرض. ودخل الشعب فى دوامة لا تنتهى فهو يرى التناحر الموجود على السلطة. والتناحر ليس له أى علاقة بالغليان الموجود فى الشارع المصرى ولا يمس الوجدان الشعبى فى ثأره الذى طال انتظاره. وقد أطلق الرئيس السادات على هذا العام (عام الحسم) وقد ظن المصريون أن الحسم كان فى تحديد ميعاد الحرب وتحرير الأرض المحتلة منذ النكسة. بالفعل كان هذا العام هو عام الحسم. لكنه كان حسما من نوع آخر فى الصراع على السلطة. حسمه السادات لصالحه، وتخلص من كل خصومه وانفرد بالسلطة ليبدأ عهدًا جديدًا من تاريخ مصر الحديث وللأمانة التاريخية كما ذكر الكثيرون. ومنهم محمد حسنين هيكل وأحد المقربين منه فى تلك الأيام حيث قال عنه .. كان السادات شخصية مثيرة بكل المعايير، وكانت شخصيته متعددة الجوانب بحكم تكوينه الإنسانى وتجربته الحافلة والثقافة التى ترسبت عنده من العنصرين. عنصر التكوين وعنصر التجربة. وقد علمته الأيام أن يقابل الصعاب بصدر رحب وفى السنة الأولى فى رئاسته. فإن أحلى ما كان فى شخصيته تجلى وتألق. كان رجلاً تحت الاختبار وكان يدرك ذلك بعمق. وكان رجلاً يواجه تحديات خطيرة ولم يقلل من شأنها، وكان رجلاً يريد أن ينجح فى مهمته الرئيسية. وهى مأزق الحل والحرب. وقد يجرب ويتعلم بقلب مفتوح وعقل متفتح وكان مستعدًا لسماع كل الناس وجاهزًا للتفكير حتى فيما كان التفكير فيه ضرب من المستحيل. وفوق ذلك فإنه راح يمارس هذا كله ببساطة وأحيانًا بمرح إذا سمحت له الظروف. هكذا كان السادات بشهادة ألد اعدائه وقت كتابة ذلك عنه. إذن مصر كانت حبلى بالأحداث ذلك العام. وهو ما سنقدمه من خلال هذا الكتاب مصر ١٩٧١ من جميع نواحى الحياة المصرية. عله يقدم جديدًا ويفتح طريقًا للبحث ولرؤية جديدة لتاريخ. تاريخ مصر العظيمة. عاشت مصر...

الفصل الأول

أول ظهور فى البيت الأبيض

وصل محمد حسنين هيكل إلى واشنطن فى خريف ١٩٥٢ بذريعة تغطية الانتخابات الأمريكية لصحيفة الأهرام أما مهمته الحقيقية فكانت إمداد جمال عبد الناصر بمعلومات حول المواقف المحتملة للإدارة الجديدة ديمقراطية كانت أم جمهورية، استقبل هيكل بالبنتاجون بترحيب شديد وكان مضيفه جنرال يدعى (ألفريد اولمستيد) وهو المشرف على برامج المساعدات العسكرية الأمريكية واحد مساعدى أيزنهاور وقد قدم له عرضًا خرائطيًا خاصًا؛ حيث ضغط على زر فهبطت وراءه خريطة ضخمة للعالم مغطاة بالأزرار والأعلام الذى كان يمثل كل منها حامية أو قاعدة عسكرية أمريكية. قال الجنرال وهو يشير إلى العرض أن الشرق الأوسط كان عاريًا إلى حد كبير. وسأل هيكل ألا تعتقد أنه من المستحسن وجود بعض الأزرار والأعلام فى المنطقة؟ احتج هيكل قائلاً إن القضية الحقيقية هى آمال الشعب وتطلعاته. وبدا الجنرال وكأنه قد أصيب بالدهشة ولم يدرك تماما مرمى هيكل. أشار الجنرال إلى أن البديل سيكون إقامة حلف إسلامى ونظرا لمحتواه الدينى لابد أن يكون دعامة طبيعية ضد الشيوعية ثم أضاف قائلاً إن تركيا كانت الدولة الأقوى عسكريًا فيما كانت باكستان الأكثر عددًا للسكان أما

السعودية فهى موقع المقدسات الإسلامية فى حين أن بإمكان مصر أن تكون القاعدة الثقافية... وأضاف الجنرال قائلاً إن قيام مثل هذا الحلف قد يؤدى إلى كبح جماح الهند. علم هيكل أن وزارة الخارجية لا تؤيد هذه الفكرة وتبين أيضا أنها تكشف عن عدم فهم يدعو إلى القلق للسياسات الشرق الأوسطية فى فترة ما بعد الاستعمار، كانت زيارة هيكل للبنتاجون والعرض الذى أداه الجنرال أمامه مثالاً واحدًا فقط على محاولات المسئولين الأمريكيين إقناع المصريين بالسبل الودية بأن الطريق الأفضل لتحقيق مصالحهم فى المستقبل هو انضمامهم إلى معاهدة جامعة شاملة تتيح لواشنطن أن توفى ببعض مطالبهم للمعونة العسكرية على الأقل وهى محاولات لم تلق فى نهاية المطاف أى نجاح. فى بداية عام ٥٣ وبعد أن اكتسح الحزب الجمهورى طريقه إلى السلطة بناء على سمعة أيزنهاور فى الحرب العالمية الثانية وتعهده بالذهاب إلى كوريا لوضع حد لسفك الدماء الذى كان يماثل إلى حد كبير تعاسة حرب الخنادق بالحرب العالمية الأولى. فالدول العظمى لا تغير استراتيجيتها بسهولة؛ لأن تلك الاستراتيجيات لا تصنع بالإلهام او النزوة ولا تتقرر بقيام حكم أو سقوط حكم ولا يؤثر فيها أن يذهب رئيس ويجىء رئيس. فالاستراتيجيات إملاء جغرافيا وتاريخ. وقد تتغير السياسات المعبرة عنهما لتتلاءم مع متغيرات الظروف. لكن الاستراتيجيات تعلم دارسيها أن الأهداف يمكن الاقتراب منها عن طريقين. اقتراب مباشر أو اقتراب غير مباشر مع بقاء الهدف فى الحالتين. وهو الأسلوب الذى تتبعه الولايات المتحدة الامريكية فى سياستها التى وضع ورقتها الأولى داويت أيزنهاور وهو يضع استراتيجية الإمبراطورية الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية خطته تجاه الغرب هو الدعم والمساعدات السخية للوقوف على قدميه وذلك عن طريق مشروع مارشال الذى يعطى للمتقدمين سابقا فرصة استعادة التقدم ومعه الديمقراطية والسلاح الحامى لاستئناف التقدم هو منظمة حلف الأطلنطى. أما ناحية الشرق الأوسط فالوسيلة الرئيسية فيه هو الدين والتركيز على استعادة القديم بدعوى الرجوع إلى الأصول والسلاح الضامن للأصول وذلك من وراء الستار؛ لأن الولايات المتحدة لا تستطيع على المكشوف أن تقف وتدعو من شرفات المآذن أو

أبراج الكنائس إلى التمسك بالدين والعزوف عن مطالب الدنيا رجاء نعيم الآخرة ولذلك اختار أيزنهاور رجلين لأعلى المناصب فى إدارته وهما شقيقان لأب قضى عمره وعمله قسيسا داعيًا إلى ملكوت السماء الشقيق الأول هو جون فوستر دالاس فى موقع وزير الخارجية، وكان المبشر الأعلى صوتًا بأن الدين هو السلاح الأكثر فاعلية ونفاذًا فى العالم الثالث؛ لأنه الهوية التقليدية للشعوب، والشقيق الثانى هو آلان دالاس فى موقع مدير وكالة المخابرات المركزية التى أوكلت لها مهمة حرب سلاح الأفكار وليس سلاح النار، وقد قام بخططه بإنشاء مجمع الكنائس العالمى وإسلاميا اتخذت شعارات الإسلام وهى العقيدة الأكثر انتشارًا فى المنطقة لتكون وسيلتها وذخيرة سلاحها فى المنطقة. تلك هى سياستهم وقد بدءوا فى التنفيذ فى تكوين حلف بغداد الذى دمره عبد الناصر ثم كرروا الكرة مرة أخرى بالمؤتمر الإسلامى كفكرة من الملك فيصل بقيادة مصرى هو أنور السادات. فإن السادات فى هذا العام ـ عام تولى أيزنهاور الحكم ـ على وجه التحديد وعد جون فوستر دالاس بإضفاء نيولوك ليس فقط على ما قاله الحزب الجمهورى عن أخطاء سياسة الاحتواء التى اتبعها ترومان اتشسون فى شرق أوروبا وآسيا بل أيضا فى الشرق الأوسط بخاصة وزعم أن السياسة الأمريكية لم تكن منصفة فى إشارة واضحة إلى الدعم الذى ظلت واشنطن تمنحه لإسرائيل منذ لحظة اعتراف ترومان الفورية بها. رأى أن التحدى كان هو حرف انتباه الشرق الأوسط عن مشكلة الصراع العربى الإسرائيلى وتوجيه عواطف الشعوب باتجاه حملة صليبية عالمية معادية للشيوعية وعندئذ كان الأمل هو إقناع العرب بالسلام مع إسرائيل ومع زوال التهديد الأمنى سيكون أيضًا من السهل إقناع إسرائيل بتعيين حدود دائمة لها واعتقد أن مصر هى مفتاح حل المعضلة. وجرت مياه كثيرة فى النهر فبعد اعتلاء ناصر عرش مصر كان صوب عينيه بناء البلاد التى تسلمها شبه خاوية من مظاهر الحضارة الإنسانية التى تسود المجتمعات الكبرى والتى يرى ناصر أن بلاده ليست أقل من أن تكون على مقربة من تلك الدول ولو بخطوات قليلة. كانت له قضايا كبرى ومشاريع داخلية وخارجية تكونت مع السنوات لتكون منهجًا سمى بعد أعوام قليلة من بداية نجاحه (بالناصرية)

كان ناصر على اتصال وثيق بالسفير الأمريكى كافرى جيفرسون كان لناصر هدف وكان لكافرى هدف ــ ذلك المصرى الأسمر المهيب مؤهل للاضطلاع بمهام كبرى . لكنه لم يحدث وبعد مضى أكثر من عامين من ثورة يوليو كانت مصر مازالت تضغط من أجل تلقيها معونات عسكرية طلب ناصر ما قيمته ٤٠ مليون دولار من السلاح ثم خفض طلبه إلى ما قيمته ٢٠ مليون دولار ثم فى النهاية إلى معدات لا تزيد قيمتها عن مليونين أو ثلاثة ملايين دولار تستخدم فى استعراضات الجيش ـ الخوذات. أجرية المسدسات. وأنواع أخرى من المعدات البراقة التى تجذب الأنظار أثناء استعراضات الجيش فى شوارع القاهرة ـ لقد كانت هناك مقولة لجمال عبد الناصر وهو يطلب تلك الأشياء من السفير الأمريكى. بأن من المرجح للجيش رث الهيئة أن يكون جيشًا لا ولاء له... وهنا ظهر غضب إسرائيل؛ لأنها دائمًا تحافظ أن تكون الخادم الوحيد والأمين فى المنطقة. فالصراع المصرى الإسرائيلى فى أحد أهم جوانبه وأحد أهم عناصره هو الخدمة المميزة للإمبراطورية الكبرى. إسرائيل تشعر بجنون عندما ترى مصر فى شهر عسل مع الأمريكان تنفذ ما تعوزه. وتزداد ألعابها الاستفزازية للوقيعة بينهما. ومصر من أهم الدول لتحقيق مصالح الإمبراطورية. مصر دولة حسنة السمعة. ليس لديها مشروع استعمارى كإيران وتركيا. وهى دولة لها تاريخ طويل فى قيادة المنطقة وبمجرد استلام الأمريكان حكم العالم من الإنجليز. كانت مصر هى أهم أهدافهم وهو ما التقطه عبد الناصر وكانت لقاءاته مع السفير الأمريكى مستر جفرسون كافرى لا تنقطع كانت العلاقات المصرية الأمريكية حتى عام ٥٥ فى أوج قوتها وهو ما أثار غضب إسرائيل، وبدأت فى الهجوم على غزة مما أثار غضب عبد الناصر وطلب سلاح من الولايات المتحدة الامريكية ورفضوا، وهنا قرر عبد الناصر شراء السلاح الروسى من تشيكوسلوفاكيا. ولعب اللوبى اليهودى دورًا كبيرًا فى رفض الإدارة الأمريكية تمويل مشروع السد العالى. مما جعل عبد الناصر يقطع علاقته نهائيا بالأمريكان. وهو ما ذكره أيزنهاور فى مذكراته نادمًا على خسارة عبد الناصر إذ قال فى حضور مساعده شيرمان ادمز ووزير خارجيته دالاس لابد أن نسلم أن عبد الناصر زعيم جدير بالزعامة فلديه أعصاب ولديه الكفاءة وللأسف أنه ليس فى صفنا. وبدأ عبد الناصر محاربة النفوذ الأمريكى فى المنطقة...

فى يوم عيد الشكر (الأمريكى) من عام ١٩٦٤ قام بعض الطلبة الأفارقة فى القاهرة بإحراق المكتبة الأمريكية المجاورة للسفارة، وبعد بضعة أيام قامت القوات الجوية المصرية بإسقاط طائرة يملكها أحد أصدقاء الرئيس جونسون بإطلاق النيران عليها عن طريق الخطأ، وقعت هذه الأحداث فى وقت تجديد عقد صفقة القمح، وحينما سأل وزير التموين المصرى السفير الأمريكى (لوشيوس باتل) عن إجراءات العقد الجديد. أجابه أن الوقت لم يكن مناسبًا للإلحاح على الرئيس جونسون من أجل صفقة القمح. لكن تلك الرسالة حرفت حيث من المفترض أن باتل كان قد صاح قائلا بحق الإله ما لم نقله لناصر كان التالى. لا أستطيع مناقشة الموضوع على الإطلاق؛ لأن سلوككم لا يروقنى وقتئذ. كان ناصر فى طريقه إلى بورسعيد ليلقى خطابًا فى ذكرى انتصار مصر فى حرب السويس ١٩٥٦ واتخذ من حادثة القمح منطلقًا لخطاب طنان هاجم فيه جونسون شخصيًا حيث قال إن السفير الأمريكى يقول إنه لا يتقبل (سلوكنا) ونحن نقول لمن لا يقبلون سلوكنا أن يذهبوا ويشربوا من.... ثم توقف وسأل الجماهير من أين؟ وجاء رد الجماهير هادرا (من البحر). ثم أضاف قائلاً إنه يريد أن يبلغ الرئيس جونسون أن المصريين ليسوا مستعدين لبيع استقلالهم نظير عشرين أو ثلاثين أو أربعين أو خمسين مليون جنيه، وأنهم على غير استعداد لمناقشة سلوكهم مع أحد وأنهم سيقطعون ألسنة من يتحدثون بسوء عنهم. وعادت التفاوضات حول صفقة القمح لكن على أساس المدى القصير وعاد جونسون إلى انتهاج الدبلوماسية الشخصية، وفى الأشهر الأولى من عام ١٩٦٦ وجه دعوة إلى محمد أنور السادات رئيس مجلس الأمة لزيارة الولايات المتحدة؛ حيث كان ناصر قد اعتذر بسبب العلاقات المتوترة واحتمال تعرضه لتظاهرات احتجاج. وأبلغ جونسون أن مضار مثل تلك الزيارة ستكون أكثر من نفعها؛ حيث لابد وأن يتعرض لأعمال معادية وأن تنظم الجماعات الصهيونية التظاهرات ضده مما سيجعل الأوضاع أكثر سوءا. احتفى جونسون بالسادات واستقبله بالمكتب البيضوى بالبيت الأبيض، حيث مضى يشير إلى صور رؤساء الدول الموقعة والمهداة إليه التى تغطى الجدران وقال إننى أحبك أعجب ببلدك أحب الرئيس ناصر لماذا لا يرسل إلىَّ صورته؟ لِمَ نعادى

بعضنا؟ يجب أن نكون أصدقاء... هنا كان أول ظهور لمحمد أنور السادات فى البيت الأبيض. ورأى. بأن (اللعبة) كلها بيد الأمريكان. المستقبل هنا. العالم يدار من هنا. من ذلك المكتب البيضوى.. عاد السادات بوعد أنه عائد إلى هذا البيت مرات ومرات لكن عليه أن يتخذ خطوات كبيرة عظيمة هائلة ليدخل إلى ذلك المكتب من جديد. كما يريد....

الفصل الثانى

كيف كان السادات؟

تأخر الرئيس السادات فى حياته مرتين. وفى كلتيهما كان ينتهى بصفحة جديدة كليًا فى تاريخه السياسى. هى صفحة سعيدة فى كتاب عمره الملىء بالتناقضات والاتساق معا. المرة الأولى وهى معروفة للجميع فى ليلة ٢٣ يوليو فقد تأخر عن ساعة الصفر وبتأخره المعروف لذهابه إلى السينما ومشاهدة فيلم (لعبة الست) لنجيب الريحانى وبعد تحرير محضر فى قسم الشرطة ذهب فجرًا إلى مكان قريب من قيادة الأركان فكلفه عبد الناصر بمهمتين. الأولى هى التوجه إلى السنترال المركزى لقطع خطوط التليفون من الكابل الرئيسى عن بعض الشخصيات. ثم أعطاه بيانًا مكتوبًا لإذاعته من راديو القاهرة وهكذا أتيح لمن تأخر عن ساعة الصفر أن يكون صاحب الصوت الأول للانقلاب فى آذان العالم. وكانت المرة الثانية التى تأخر فيها السادات هى يوم وفاة الرئيس جمال عبد الناصر. فقد كان آخر الذين وصلوا إلى بيت الرئيس وهو لم يحضر ساعات النضال المرير ضد الموت ولم يشاهد الرئيس حيًا قبل هذا المساء الحزين فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ بأكثر من ثلاثة أشهر، ولكن الذين حضروا الوفاة من كبار المسئولين المقربين للرئيس فى حياته لابد وأنهم تذكروا السادات بصفته عضوا

فى اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى وكنائب لرئيس الجمهورية رسميًا. فالحقيقة أنه منذ عاد الرئيس عبد الناصر من زيارته الأخيرة لموسكو فى صيف ١٩٧٠ طلب من نائبه فى مبنى المطار حيث كان فى استقباله أن يرتاح فى منزله ومنذ ذلك الأمر لم يمارس نائب الرئيس عمله المعتاد حتى ولو كان شكليًا وقيلت فى ذلك شائعات كثيرة، ولكن أهمها على الإطلاق كان التفسير القائل بأن عبد الناصر تلقى أثناء زيارته للاتحاد السوفيتى برقية من أحد المواطنين يشكو زوجة نائبه من أنها أعجبت بفيلا يقيم فيها وأرسلت إليه عرضًا بشرائها فلما اعتذر فرض نائب الرئيس الحراسة على صاحبها ورغم انتشار الشائعة كتفسير لاختفاء نائب الرئيس بعد عودة الرئيس من رحلته إلا أن أحدًا أيضا لم يبرهن على صحتها وإن كان من المؤكد هو أن الرئيس أعاد الفيلا إلى صاحبها ورفع الحراسة عنها، وبعيدًا عن الشائعات. فالرئيس كان قد قرر الاستغناء عن خدمات نائبه وإحالته إلى التقاعد بسبب تغييرات سياسية كان يزمع إجراءها تتوازى مع تطور فكره السياسى فى ذلك الوقت. ولكن الأمر المقطوع به أن عبد الناصر لم يصدر قرارًا مكتوبًا فى هذا الصدد، وبالتالى فقد كان نائب الرئيس موجودًا دستوريًا وإن لم يكن حاضرًا على خشبة المسرح، وقد لعب هذا الجانب الدستورى دور البطولة فى تولى السادات رئاسة الجمهورية، بالإضافة إلى عناصر أخرى حتى بدأ الأمر لبعض المراقبين لشئون مصر وكأنه نكتة تاريخية. أن يخلف السادات عبد الناصر الذى مات على الأقل غاضبًا عليه. وإن لم يكن هناك القرار المكتوب بعزله ولكن التاريخ الاجتماعى للسلطة فى مصر لا يعرف التنكيت. فلقد تأخر نائب الرئيس فى الوصول إلى منزل الرئيس المتوفى، ولكنه هو الذى أذاع نعيه إلى شعب مصر والأمة العربية والعالم. بينما الذين حضروا المشهد القاسى منذ بدايته تقريبًا وهم أنفسهم الذين تمسكوا بدستورية الانتقال السلمى من عهد عبد الناصر إلى عهد السادات. كانوا هم الذين حوكموا ودخلوا السجون أو أحيلوا إلى التقاعد بعد ذلك بأقل من عام بالنسبة إلى غالبيتهم. وثلاثة أعوام بالنسبة إلى البعض الآخر. وكان آخر ما فعله السادات فى غرفة الرئيس الراحل هو أن قبَّل إحدى يديه ثم غطاه بملاءة السرير حتى الوجه وكأنه يغطى حقبة من تاريخ مصر معلنًا عن انتهائها وبداية عصر جديد تسير مصر فيه إلى المجهول...

ويخطئ الكثيرون ممن يصورون أو يتصورون شخصية الرئيس السادات كما لو كان مقامرًا فلعله على النقيض تماما هو يحسب كل شيء من العناصر التى يمكن أن تتوفر له ويضع أمامه مختلف الاحتمالات والترجيحات ويختار لحظة السلب عند الخصوم فيستقر على الكفة الأقوى. وقد خضع السادات لكثير من التقييم وخصوصًا من الولايات المتحدة الأمريكية، فقد قام بتقييمه رونالد بيرجس رئيس قسم رعاية المصالح الأمريكية فى مصر وقال عنه فى مذكراته: كانت للسادات أخطاؤه كبشر كان سريعًا فى إحساسه بالإهانة الشخصية. ميالاً لإصدار أحكام متعجلة وعلنية على الزعماء الوطنيين الآخرين وبصفة خاصة العرب. ولكنه كبشر كان إنجازه لبلاده ومنطقته عظيما. وخلال سنواته الإحدى عشرة فى منصبه أقنع أولا إحدى الدولتين العظيمتين فى العالم ثم أقنع الأخرى بأن تقدم إسهامات كبيرة لتحقيق أهداف مصر ومن أجل تقدم ورخاء الشعب المصرى. وقد اقتحم بمفرده الحدود التى فرضت على المنطقة بواسطة أجيال من الكراهية والغرور. وكان قبل كل شيء باعتباره واحدًا من أقوى عناصر التغيير فى عصره. يفهم قوى التغيير التى تعمل بين الجنس البشرى وسيطر عليها فترة قصيرة لقد صرعته قوى رجعية. ولا تزال هذه القوى تعمل فى المنطقة. وقد تستمر ماضية فى طريقها، ولكن صلف الرجعية والتعصب أمر لا نعرفه فى النهاية وسوف يتدعم الاحترام والتقدير لتراث السادات كلما مضت الأعوام. انتهى كلام بيرجس عن السادات. لكن السادات مثلاً يميل إلى فكر الإخوان المسلمين منذ شبابه وكان على اتصال وثيق بهم، ولكنه لم يكن منهم وهو الذى حاكمهم عام ١٩٥٤ وحكم عليهم بالإعدامات والسجن المؤبد وهو مثلاً أيضا يميل إلى تنظيم مصر الفتاة القائل مصر فوق الجميع على طريقة النازيين والفاشست، ولكنه لم يكن عضوا فيه، وقد انضم إلى مجموعة عزيز باشا المصرى القريبة من المحور فى ذلك الوقت لأن انتصارات الألمان فى معركة العلمين كان وشيكًا. وكان ضد الملك فاروق للسبب نفسه رغم التقارب الذى حاوله فاروق مع ألمانيا. كان السادات يرسم خطواته جيدًا ولأنه يدرك أصول (اللعبة) فهو يتفق مع عدة أطراف متعارضة فى وقت واحد ثم يختار الطرف الحاسم بعد فوزه، ولأنه يحترم قواعد (اللعبة) يظل

منضبطًا طول الوقت حتى إذا تيسر له الفوز طبق شروطه على الآخرين، كما كان يحدث له تمامًا ورد فعله على الخصم القديم هو الانتقام منه بالتشبه به ورد فعله على حليفه أو صديقه أو زميله القديم هو التخلص منه فى الحالتين. هو إلغاء الماضى بتقمصه وهو فى مركز القوة أو فى نفيه عن الوعى إذا كان هذا الماضى قد أصبح فى مركز ضعف لا شك، مثلا أنه كان يكره الملك فاروق وقصر عابدين، كما كان يكره اليهود، وهذا طبيعى لصاحب أية ميول لا سامية، كما كان يكره الإنجليز وكان من أهم قراراته بعد أن أصبح رئيسًا أن عاد ففتح قصر عابدين الذى كان قد تحول إلى متحف ليصبح مقر رئيس الدولة وحين علم بزواج الملك أحمد فؤاد الثانى ابن الملك السابق فاروق فى باريس أهداه السيف الأثرى لوالده فاروق، وأقام المصاهرات العائلية مع الباشوات القدامى والجدد، وأقام لبناته حفلات الزفاف التى تذكر المصريين حين يرون صورها الكبيرة فى الصحف بحفلات الملك السابق، والإنجليز الجدد أو أباطرة هذا العصر هم الأمريكان الذين رفض مشروعهم للتسوية السلمية أيام عبد الناصر أصبح حليفهم الأول فى المنطقة بعد إسرائيل.. وإسرائيل ذاتها توجه إليها فى زيارة أسطورية لا تصدق فى وضع المعتذر عما سلف، ولم يتعارض ذلك كله مع حبه المعلن لألمانيا النازية ففرض على قادة الجيش ثيابًا للمناسبات هى ثياب الجيش النازى وقد فوجئ المصريون وهم يرونه مع بقية الجنرالات يرتدون هذا الزى الغريب فى مشية الأوزة. كما فوجئ الألمان الغربيون أنفسهم وهو يمتدح ماضيهم فى الحرب العالمية الثانية، الماضى الذى يتمنون لو يقدرون على محوه من ذاكرة البشرية والحضارة والتاريخ، وفى الوقت نفسه كان هو الذى وضع باقة من الزهور أثناء زيارته للقدس على نصب ضحايا النازية من اليهود، إنه مفتون بالأقوى. مبهور به، سواء أكان مناحم بيجين وإسرائيل أم الفوهرر وألمانيا أم بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية...

ولكى نرى الصورة جيدا صورة ـ الشخص والموقف والقرار ـ لابد أن نعرف تكوين الشخصية. بذرتها التى تربت ونمت واستنشقت هواء من خلاله تكونت الشخصية كل من حوله تأثر به السادات، وهو دائم الحياة بجوار مرشد ينير له

الطريق أو يعطى له النصيحة، فى البداية كان عبد الحكيم عامر ثم جمال عبد الناصر ثم محمد حسنين هيكل ثم عثمان أحمد عثمان وصهره سيد مرعى. تكوينه الشخصى بدأ من هنا من عند والدته السودانية من أم مصرية تدعى ست البرين من مدينة دنقلا تزوجها والده حينما كان يعمل مع الفريق الطبي البريطاني بالسودان، لكنه عاش وترعرع في قرية ميت أبو الكوم، أشار السادات إلى أن القرية لم تضع غشاوة على عقله، لكن كانت جدته ووالدته هما اللتان فتنتاه وسيطرتا عليه، وهما السبب الرئيسي في تكوين شخصيته. فقد كان السادات يفخر بأن يكون بصحبة جدته الموقرة، تلك الجدة التي كان الرجال يقفون لتحيتها حينما تكون مارة رغم أميتها، إلا إنها كانت تملك حكمة غير عادية، حتى أن الأسر التي كانت لديها مشكلات كانت تذهب إليها لتأخذ بنصيحتها علاوة على مهارتها في تقديم الوصفات الدوائية للمرضى. وذكر السادات أن جدته ووالدته كانتا تحكيان له قصصا غير عادية قبل النوم، لم تكن قصصا تقليدية عن مآثر الحروب القديمة والمغامرات، بل كانت عن الأبطال المعاصرين ونضالهم من أجل الاستقلال الوطني، مثل قصة دس السم لمصطفى كامل بواسطة البريطانيين الذين أرادوا وضع نهاية للصراع ضد احتلالهم لمصر، أنور الصغير لم يكن يعرف من هو مصطفى كامل، لكنه تعلم من خلال التكرار أن البريطانيين أشرار ويسمون الناس، ولكن كانت هناك قصة شعبية أثرت فيه بعمق وهى قصة زهران الذي لقب ببطل دنشواى التي تبعد عن ميت أبو الكوم بثلاثة أميال، وتتلخص أحداثها في أن الجنود البريطانيين كانوا يصطادون الحمام في دنشواى، وأشعلت رصاصة طائشة الحريق في أحد أجران القمح، فاجتمع الفلاحون ليطفئوا الحريق، لكن أحد الجنود البريطانيين أطلق عليهم النار وهرب، وفى معركة تالية قتل الجندي، وحينئذ تم القبض على العديد من الناس وشكل مجلس عسكري بالساحة، وعلى وجه السرعة نصبت المشانق، كما تم جلد بعض الفلاحين، وكان زهران هو أول من شنق، وكان من فرط شجاعته مشى إلى المشنقة برأس مرفوعة بعد أن قرر قتل أحد المعتدين في طريقه.

وانتهت جنة القرية بالنسبة إلى السادات مع رجوع والده من السودان، حيث فقد وظيفته هناك على أثر اغتيال سيرلى ستاك، وما ترتب على ذلك من سحب القوات المصرية من المنطقة. بعد ذلك انتقلت الأسرة المكونة من الأب وزوجاته الثلاث وأطفالهن إلى منزل صغير بكوبري القبة بالقاهرة، وكان عمره وقتها قرابة ست سنوات، ولم تكن حياته في هذا المنزل الصغير مريحة، حيث إن دخل الأب كان صغيرًا للغاية، وظل السادات يعانى من الفقر والحياة الصعبة إلى أن استطاع إنهاء دراسته الثانوية عام ١٩٣٦، وفى نفس السنة كان النحاس باشا قد أبرم مع بريطانيا معاهدة ١٩٣٦، وبمقتضى هذه المعاهدة سمح للجيش المصري بالاتساع، وهكذا أصبح في الإمكان أن يلتحق بالكلية الحربية؛ حيث كان الالتحاق بها قاصرًا على أبناء الطبقة العليا، وبالفعل تم التحاقه بالأكاديمية العسكرية في سنة ١٩٣٧، وهذه الأحداث هي التي دفعت السادات إلى السياسة.. وقد ولد السادات بقرية ميت أبو الكوم بمحافظة المنوفية سنة ١٩١٨، وتلقى تعليمه الأول في كتاب القرية على يد الشيخ عبد الحميد عيسى، ثم انتقل إلى مدرسة الأقباط الابتدائية بطوخ دلكا، وحصل منها على الشهادة الابتدائية وتم تعيينه بعد التخرج في مدينة منقباد جنوب مصر. وقد تأثر في مطلع حياته بعدد من الشخصيات السياسية والشعبية في مصر والعالم، وقد أسهم هذا التأثير فى تكوين شخصيته النضالية ورسم معالم طموحه السياسى من أجل مصر. وله ١٣ أخًا وأخت، وكان والده متزوج ثلاث سيدات. لذلك كانت للنساء جزء كبير فى تكوين شخصيته من جدته إلى أمه ثم زوجتاه فقد كان زواجه الأول تقليديًا؛ حيث تقدم للسيدة (إقبال عفيفي) عام ١٩٤٠م التي تنتمي إلى أصول تركية، وكانت تربطها قرابة قريبة بينها وبين الخديو عباس، كما كانت أسرتها تمتلك بعض الأراضي بقرية ميت أبو الكوم والقليوبية أيضًا، وهذا ما جعل عائلة إقبال تعارض زواج أنور السادات لها، لكنه بعد أن أتم السادات دراسته بالأكاديمية العسكرية تغير الحال وتم الزواج، واستمر لمدة عشر سنوات، وأنجبا خلالها ثلاث بنات هم رقية، وراوية، كاميليا ثم انفصلا عام ١٩٤٩. أما زواجه الثانى والأهم فكان من السيدة جيهان رؤوف صفوت عام ١٩٥١ التي أنجب منها ٣ بنات وولدًا هم لبنى ونهى وجيهان وجمال

وهى المرأة التى لعبت دورًا كبيرًا ليس فى حياته فقط بل فى رسم بعض من سياسات الدولة المصرية وظهورها الملح خلفه كان يعطى انطباعًا لدى كثيرين وخصوصًا أعدائه بأنها صاحبة القرار الأول والأخير فى السياسة المصرية.

وقد شغل الاحتلال البريطاني لمصر بال الساداث، كما شعر بالنفور من أن مصر محكومة بواسطة عائلة ملكية ليست مصرية، كذلك كان يشعر بالخزى والعار من أن الساسة المصريين يساعدون في ترسيخ شرعية الاحتلال البريطاني، فتمنى أن يبنى تنظيمات ثورية بالجيش تقوم بطرد الاحتلال البريطاني من مصر، فقام بعقد اجتماعات مع الضباط في حجرته الخاصة بوحدته العسكرية بمنقباد وذلك عام ١٩٣٨، وكان تركيزه في أحاديثه على البعثة العسكرية البريطانية وما لها من سلطات مطلقة وأيضًا على كبار ضباط الجيش من المصريين وانسياقهم الأعمى إلى ما يأمر به الإنجليز، كما شهدت هذه الحجرة أول لقاء بين السادات وكل من جمال عبد الناصر، وخالد محي الدين، ورغم إعجاب السادات بغاندي إلا أنه لم يكن مثله الأعلى بل كان المحارب السياسي التركي مصطفى كمال أتاتورك؛ حيث شعر السادات بأن القوة وحدها هى التي يمكن من خلالها إخراج البريطانيين من مصر وتغيير النظام الفاسد والتعامل مع الساسة الفسدة، كما فعل أتاتورك في اقتلاع الحكام السابقين لتركيا.

ولكن كيف يتحقق ذلك وهو في وحدته بمنقباد، وفى أوائل ١٩٣٩ اختارته القيادة للحصول على فرقة إشارة بمدرسة الإشارة بالمعادي هو ومجموعة أخرى كان منهم جمال عبد الناصر، لم يكن عنده أمل في العمل بسلاح الإشارة الذي أنشئ حديثًا في الجيش؛ حيث كان من أهم أسلحة الجيش في ذلك الوقت، ولابد لوجود واسطة كبيرة لدخوله، وفى نهاية الفرقة كان عليه إلقاء كلمة نيابة عن زملائه قام هو بإعدادها، وكانت كلمة هادفة ذات معنى علاوة على بلاغته وقدرته في إلقائها دون الاستعانة كثيرًا بالورق المكتوب، وذلك ما لفت نظر الأمير آلاى إسكندر فهمي أبو السعد، وبعدها مباشرة تم نقله للعمل بسلاح الإشارة، وكانت تلك النقلة هي الفرصة التي كان السادات ينتظرها لتتسع دائرة نشاطه من

خلال سهولة اتصاله بكل أسلحة الجيش، كانت الاتصالات في أول الأمر قاصرة على زملاء السلاح والسن المقربين، ولكن سرعان ما اتسعت دائرة الاتصالات بعد انتصارات "الألمان" هتلر عام ٣٩، ٤٠، ٤١ وهزائم الإنجليز.

في هذه الأثناء تم نقل السادات كضابط إشارة إلى مرسى مطروح. كان الإنجليز في تلك الأثناء يريدون من الجيش المصري أن يساندهم في معركتهم مع الألمان، ولكن الشعب المصري ثار لذلك مما اضطر على ماهر رئيس الوزراء في ذلك الوقت إلى إعلان تجنيب مصر ويلات الحرب، كما أقر ذلك البرلمان بالإجماع، وبناء على ذلك صدرت الأوامر بنزول الضباط المصريين من مرسى مطروح وبذلك سوف يتولى الإنجليز وحدهم الدفاع، وذلك ما أغضب الإنجليز فطلبوا من كل الضباط، المصريين تسليم أسلحتهم قبل انسحابهم من مواقعهم، وثارت ثورة الضباط وكان إجماعهم على عدم التخلي عن سلاحهم إطلاقا حتى لو أدى ذلك للقتال مع الإنجليز؛ لأن مثل هذا الفعل يعتبر إهانة عسكرية، وذلك ما جعل الجيش الإنجليزي يستجيب للضباط المصريين.

وفى صيف ١٩٤١ قام السادات بمحاولته الأولى للثورة في مصر، وبدت السذاجة لخطة الثورة فقد كانت معلنة؛ حيث كانت تقضى بأن كل القوات المنسحبة من مرسى مطروح سوف تتقابل بفندق مينا هاوس بالقرب من الأهرامات، وفعلاً وصلت مجموعة السادات الخاصة إلى الفندق وانتظرت الآخرين للحاق بهم، حيث كان مقرراً أن يمشى الجميع إلى القاهرة لإخراج البريطانيين ومعاونيهم من المصريين، وبعد أن انتظرت مجموعة السادات دون جدوى، رأى السادات أن عملية التجميع فاشلة ولم تنجح الثورة.

وقد لعب السجن دورًا كبيرًا فى حياته وفى تغيير طريقة تفكيره فكانت أيام حرية السادات معدودة، حيث ضيق الإنجليز قبضتهم على مصر، وبالتالي على كل مناضل مصري يكافح من أجل حرية بلاده مثل أنور السادات، فتم طرد السادات من الجيش واعتقاله وإيداعه سجن الأجانب عدة مرات؛ حيث قام بالاستيلاء على جهاز لاسلكي من بعض الجواسيس الألمان "ضد الإنجليز" وذلك

لاستغلال ذلك الجهاز لخدمة قضية الكفاح من أجل حرية مصر، وفي السجن حاول السادات أن يبحث عن معاني حياته بصورة أعمق وبعد أن مضى عامين (١٩٤٢: ١٩٤٤) في السجن قام بالهرب منه حتى سبتمبر ١٩٤٥ حين ألغيت الأحكام العرفية، وبالتالي انتهى اعتقاله وفقا للقانون، وفي فترة هروبه هذه قام بتغيير ملامحه وأطلق على نفسه اسم الحاج محمد، وعمل تباعا على عربة تابعة لصديقه الحميم حسن عزت، ومع نهاية الحرب وانتهاء العمل بقانون الأحوال العسكرية عام ١٩٤٥ عاد السادات إلى طريقة حياته الطبيعية؛ حيث عاد إلى منزله وأسرته بعد أن قضى ثلاث سنوات بلا مأوى.

وعقد السادات ومعاونوه العزم على قتل أمين عثمان باشا، وزير المالية في مجلس وزراء النحاس باشا؛ لأنه كان صديقا لبريطانيا، وكان من أشد المطالبين ببقاء القوات الإنجليزية في مصر، وكان له قول مشهور يشرح فيه العلاقة بين مصر وبريطانيا واصفًا إياها بأنها "زواج كاثوليكي" بين مصر وبريطانيا لا طلاق فيه، وتمت العملية بنجاح في السادس من يناير عام ١٩٤٦ على يد حسين توفيق، وتم الزج بأنور السادات إلى سجن الأجانب دون اتهام رسمي له، وفي الزنزانة (٥٤) تعلم السادات الصبر والقدرة على الخداع؛ حيث كانت تتصف هذه الزنزانة بأنها قذرة لا تحتوي على شيء إلا بطانية غير آدمية، وتعتبر تجارب السادات بالسجون هذه أكبر دافع لاتجاهه إلى تدمير كل هذه السجون بعدما تولى الحكم وذلك عام ١٩٧٥ وقال حين ذاك: "إن أي سجن من هذا القبيل يجب أن يدمر ويستبدل بآخر يكون مناسبا لآدمية الإنسان".

كما أدى حبس السادات في الزنزانة (٥٤) بسجن القاهرة المركزي إلى التفكير في حياته الشخصية ومعتقداته السياسية والدينية، كما بنى السادات في سجنه علاقة روحانية مع ربه؛ لأنه رأى أن الاتجاه إلى الله أفضل شيء؛ لأن الله سبحانه وتعالى لن يخذله أبدًا. وأثناء وجوده بالسجن قامت حرب فلسطين في منتصف عام ١٩٤٨، التي أثرت كثيرًا في نفسه؛ حيث شعر بالعجز التام وهو بين أربعة جدران حين علم بالنصر المؤكد للعرب لولا عقد الهدنة الذي عقده الملك

عبد الله ملك الأردن وقت ذلك، والذي أنقذ به رقبة إسرائيل وذلك بالاتفاق مع الإنجليز، وفى أغسطس ١٩٤٨ تم الحكم ببراءة السادات من مقتل أمين عثمان وتم الإفراج عنه، بعد ذلك أقام السادات في بنسيون بحلوان لكي يتمكن من علاج معدته من آثار السجن بمياه حلوان المعدنية.

بعد خروجه من السجن عمل مراجعًا صحفيًا بمجلة المصور حتى ديسمبر ١٩٤٨. وعمل بعدها بالأعمال الحرة مع صديقه حسن عزت. وفي عام ١٩٥٠ عاد إلى عمله بالجيش بمساعدة زميله القديم الدكتور يوسف رشاد الطبيب الخاص بالملك فاروق.

وفي عام ١٩٥١ تكونت الهيئة التأسيسية للتنظيم السري في الجيش والذي عرف فيما بعد بتنظيم الضباط الأحرار فانضم إليها، وتطورت الأحداث في مصر بسرعة فائقة بين عامي ١٩٥١ ـ ١٩٥٢، فألغت حكومة الوفد معاهدة ١٩٣٦ وبعدها اندلع حريق القاهرة الشهير في يناير ١٩٥٢ وأقال الملك وزارة النحاس الأخيرة .

وفي ربيع عام ١٩٥٢ أعدت قيادة تنظيم الضباط الأحرار للثورة، وفي ٢١ يوليو أرسل جمال عبد الناصر إليه في مقر وحدته بالعريش يطلب منه الحضور إلى القاهرة للمساهمة في ثورة الجيش على الملك والإنجليز، وقامت الثورة، وأذاع بصوته بيان الثورة. وقد أسند إليه مهمة حمل وثيقة التنازل عن العرش إلى الملك فاروق.

وفي عام ١٩٥٣ أنشأ مجلس قيادة الثورة جريدة الجمهورية، وأسند إليه رئاسة تحرير هذه الجريدة. وفي عام ١٩٥٤ ومع أول تشكيل وزاري لحكومة الثورة تولى منصب وزير دولة وكان ذلك في سبتمبر ١٩٥٤.

وانتخب عضوًا بمجلس الأمة عن دائرة تلا ولمدة ثلاث دورات ابتداءً من عام ١٩٥٧. وكان قد انتخب في عام ١٩٦٠ رئيسًا لمجلس الأمة وكان ذلك بالفترة من ٢١ يوليو ١٩٦٠ إلى ٢٧ سبتمبر ١٩٦١، كما انتخب رئيسًا لمجلس الأمة للفترة الثانية من ٢٩ مارس ١٩٦٤ إلى ١٢ نوفمبر ١٩٦٨.

كما أنه في عام ١٩٦١ عين رئيسًا لمجلس التضامن الأفرو ـ آسيوي.

في عام ١٩٦٩ اختاره جمال عبد الناصر نائبًا له، وظل بالمنصب حتى يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠.

كان هذا هو تكوينه الشخصي ويبقى سلوكه .. فقد كان برنامجه اليومي كما ذكر محمد حسنين هيكل فى كتابه خريف الغضب أنه كان يستيقظ متأخرًا ما بين الساعة التاسعة والتاسعة والنصف عادة وعندما يفتح عينيه كان يمد يده بجوار سريره فيتناول ملء ملعقة من العسل مزجت بقليل من رحيق الملكات ثم كان يطلب فنجانا من الشاى الساخن يحتسيه بعد العسل والرحيق ثم تأتيه صحف الصباح القاهرية فيلقى نظرة عليها مركزًا اهتمامه على ما يتصل به العناوين الكبيرة المتصلة بأخبار نشاطه فى اليوم السابق ثم صوره ثم يدخل خبير التدليك الخاص به ـ وقد كان للمدلك وضع رسمى فى البروتوكول، وقد دهش أحد السفراء فى عاصمة أوروبية حينما وجد إلى جواره على مائدة عشاء رسمى شخصا من حاشية الرئيس لا يعرفه وعندما سأل عنه اكتشف أنه المدلك الخاص للرئيس ـ فيبدأ معه فى القيام ببعض التمرينات الرياضية ثم يجىء دور التدليك والحمام ويكون ذلك كله قد استغرق أقل من ساعة وبعدها تجيئه صينية الإفطار، وهى مكونة عادة من طعام خاص خفيف يحتوى على بعض الجبن والخبز الخالى من أى سعر حرارى والمصنوع من دقيق خاص مستورد من سويسرا ـ كان هذا الدقيق الخالى من السعرات الحرارية يستخدم فى صنع كل أنواع الفطائر والحلوى التى تقدم للرئيس السادات بما فيها الكنافة وحتى المكرونة أيضا خالية من أى نشويات، وكان الرئيس السادات يقبل عليها ويسميها ضاحكا (مكرونة خشب) وليس سرًا أن الرئيس السادات كان يشرب بانتظام. وكان يقول إن ذلك بناء على نصيحة الأطباء بعد تعرضه فى شبابه لعارض قلبى وكان قبل الظهر يفضل الفودكا يشرب منها كأسًا واحدة أو كأسين قبل أن يبدأ مقابلاته عند الظهر وكان تفضيله للفودكا قبل بدء عمله يرجع إلى اعتقاده بأنها لا تترك رائحة فى فم من يشربها، وكان يعتقد أن هذا القليل من الفودكا الذى يشربه قبل الظهر هو خير منشط لعمله، الذى كان يبدأ فى العادة على شكل

مقابلات (اثنين أو ثلاثة فى اليوم) تبدأ فى الثانية عشرة وتستمر لساعتين وعندما تصبح الساعة الثانية والنصف أو الثالثة بعد الظهر يفرغ الرئيس السادات من العمل شاكيا فى العادة من أنهم يريدون قتلى بكل هذا الذى يضعونه على كتفى، وتعود الفودكا مرة ثانية إلى الظهور وتنتهى هذه الفترة فى الساعة الرابعة والنصف يتناول فى نهايتها غذاء خفيفًا مكونًا فى العادة من بعض شرائح صدر الدجاج أو اللحم البارد وطبق من السلطة أو طبق من الخضراوات الطازجة بدون أى توابل ويأوى إلى فراشه لينام ويستيقظ فى العادة ما بين الساعة السابعة والسابعة والنصف شاعرًا بالجوع فيطلب فنجانًا من الشاى بالنعناع ثم يطلب عشاءه، وهو فى معظم الأحيان من اللحوم المسلوقة أو المشوية إلى جانب بعض الأرز أو المكرونة الخالية من النشويات ثم يتناول طبقًا من الحلوى المصنوعة من الدقيق الخاص الخالى من أى سعر حرارى ثم يبدأ فى إجراء بعض اتصالات تليفونية مع بعض المسئولين الأجانب خصوصًا فى الولايات المتحدة الأمريكية ـ يكون الوقت ساعتها قرابة الظهر فى أمريكا ـ ثم يختم اتصالاته التليفونية بتلقى مكالمات من رؤساء تحرير بعض الصحف المصرية من المقربين منه يسمع منهم ما لديهم من أخبار ويزودهم بما لديه من توجيهات. ثم يكون البند التالى من برنامجه هو طلب كشف أفلام السينما الجاهزة للعرض فى صالة السينما (كانت هناك صالة سينما فى كل بيت من بيوته أو استراحة من استراحاته وكانت الأفلام ترسل إليه حتى قبل عرضها على رقابة الأفلام ثم يخط بالقلم إشارة إلى اثنين أو ثلاثة منها وفى نحو الساعة العاشرة مساء يتوجه إلى صالة السينما ومعه من يتصادف وجوده من أفراد أسرته أو من أصدقائه ويبدأ عرض الفيلم الأول وخلال عرض الفيلم فإنه كان عادة يتناول قدحا أو اثنين من الويسكى وأحيانا يأخذ معه قليلا من شطائر الجبن أو اللحم، وبعد منتصف الليل بقليل ـ يكون الفيلم الأول فى العرض الليلى قد انتهى وبدأ عرض الفيلم الثانى ـ يشعر من حول الرئيس أنه بدأ يغفو لكنه يغالب النوم لبعض الوقت ثم فجأة ينهض واقفًا طالبًا من الآخرين جميعًا أن يظلوا حيث هم وألا يقطعوا مشاهدتهم للفيلم الذى يرونه وينصرف هو إلى غرفة نومه لينام، وهكذا ينتهى برنامج يوم من أيامه

العـاديـة ـ كـان الـبـرنـامـج يـخـتـلـف فـى شـهـر رمـضـان لأن الـرئـيـس لـم يـكـن يـتـنـاول المشروبات فيه، كما أنه كان يصوم أيامه كلها.

وقد استطاع السادات أن يحول عزلته تلك إلى فضيلة، وعندما يكون عليه أن يتخذ قرارًا فى أمر من الأمور فإن الصحف كانت تعلن أنه سوف يعتكف فى إحدى استراحاته البعيدة ـ لكى يصل إلى قراره ـ كما لو أن القرار يجيئه بوحى من السماء وليس عن طريق دراسات تحتويها أوراق الدولة أو مشاورات مع كبار المسئولين فيها أو مع غيرهم من المستشارين، وللسادات مجموعة من الأنماط الإنسانية فى الحكم أول هذه الأنماط هى قناع الديمقراطية الذى يرتديه والذى كان يروج له كتابه المقربون أنيس منصور وموسى صبرى بالتحديد. ففى الرابع من فبراير ١٩٧١ أعلن أولى مبادراته من أجل الصلح مع إسرائيل بإعادة فتح قناة السويس وتطهيرها مؤقتًا وحرية الملاحة لجميع الدول بما فيها الدولة الصهيونية إذا ابتعدت القوات الإسرائيلية عن القناة عدة كيلو مترات وتبين فى التحقيق مع على صبرى نائبه وقتئذ بعد انقلاب ١٤ مايو ١٩٧١ أن الرئيس لم يستشره لا هو ولا الحكومة ولا أعضاء اللجنة التنفيذية العليا ولا البرلمان فى هذا الأمر الخطير وهو الأمر الذى تكرر بعدئذ فى قرار الاستغناء عن الخبراء السوفييت ووقف القتال فى حرب ٧٣ والمفاوضات مع الدكتور هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى المفتون به السادات لأقصى درجة وزيارة القدس التى أدت إلى استقالة وزير الخارجية إسماعيل فهمى ووزير الدولة للشئون الخارجية محمد رياض كانت القرارات فى هذه القضايا المصيرية كلها تتم من وراء ظهر الجميع بما فيها الوحدة مع ليبيا ثم الحرب معها، النمط الثانى هو سياسة المفاجأة لا المبادرة فهى تخفى فى ثناياها أصول الفكر الانقلابى الأقرب إلى التآمر بما يقتضيه من السرية والانفلات والحذر والشك فالاعتماد على قواعد أو ما هو خارج الذهن الفردى شبه معدوم بل فكرة إحداث التغيير بالعنف الفردى أو الصدمة الإرهابية هى محور السلوك السياسى حتى عندما تصبح المفاجأة من أجل السلام فإنها تتخذ الإطار نفسه وهى متولدة أصلا عن البعد التام من أى مشاركة الآخر فى صنع القرار، وليس صدفة أن الرئيس السادات لم يكن منظمًا فى أى حزب قبل

الثورة بما فيها التنظيمات القريبة من فكره وميوله، وليست صدفة أيضا اشتراكه المباشر فى أعمال الإرهاب كالاغتيالات الفردية....

والنمط الثالث فى شخص السادات هو الرغبة العنيفة فى اختصار الزمن كأنه يعلم أن عمره قصير فى الحكم أو قصير فى الحياة، وبأن أجله قادم سريعًا لا محالة، هذه الرغبة فى اختصار الزمن كانت بإحداث تغييرات لاهثة لا تدع وقتًا للتفكير، فالفكر هنا هو الفعل ولا مجال للانتقام من الماضى إلا باختصار الحاضر واستحضار المستقبل فيصبح ممكنا أن يحول ظل ١٨ عامًا إلى رقعة واسعة من الضوء المركز ساعة كاملة فى تليفزيونات العالم وإذاعاته وصحفه على صورته وهو يهبط بطائرة الخطوط الجوية المصرية رقم (١) فى مطار بن جوريون خاصة وأنه فى الماضى أراد أن يكون ممثلا فأخفق أمام لجنة التحكيم. لكن أبلغ ما قيل عنه هو ما قاله الدكتور رفعت المحجوب. هو حمل وديع له زئير الأسد.. هذا هو السادات فى الحكم فكيف كانت مصر!!!!

الفصل الثالث

الاتحاد السوفيتى

كان ناصر مضطرا للتقرب من الاتحاد السوفيتى بعد الهزيمة القاسية فى حرب ٦٧ وبرغم أنه كان أحد أعمدة دول عدم الانحياز ورافضًا للتوغل السوفيتى فى مصر كى لا تدخل بلاده لعبة الحرب الباردة ما بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى ورافضًا أن يستفز الولايات المتحدة الأمريكية بالتقرب المبالغ إلى السوفييت برغم كل ذلك اقترب ناصر كثيرًا من الاتحاد السوفيتى واعتمد بشكل كبير واضح ومعلن على إعادة تأهيل الجيش المصرى بأسلحة وتدريبات وخبرات روسية خالصة بعدما ظهر التحيز الكامل من الولايات المتحدة الأمريكية إلى إسرائيل، وقد استمر التقارب الروسى المصرى حتى بعد وفاة ناصر وظهور السادات على عرش مصر، السادات لم يكن من المتحمسين إلى السوفييت، ويرى أنها تجربة زائلة لا محالة، ويرى الاتحاد السوفيتى إمبراطورية هشة فقيرة زائلة لا محالة، لكنه كان مضطرا للتعامل وللتقارب فور توليه السلطة، ولم يظهر أى نية تجاه الاتحاد السوفيتى تنذر بخلاف عميق يؤدى إلى المقاطعة، بل وتبادل الاتهامات وتبادل الشتائم علنًا فى الخطابات الرئاسية ففى بداية تولى السادات السلطة كان الاتحاد السوفيتى متداخلاً بصورة كبيرة فى

المجتمع المصرى، وقد كان بداية هذا التداخل الكبير عندما فتح ناصر ـ مضطرا ـ الباب ليدخل السوڤييت وإن لم يكن بابًا مفتوحًا على مصراعيه ولتقديم حسن النية من تجاه السوڤييت قدموا الكثير ظنًا منهم أنهم فى طريقهم لتحويل مصر إلى دولة تابعة تخضع للمعسكر الشرقى كما هو الحال فى أوروبا الشرقية. ففى بداية علاقة القيادة السوفيتية اعتبرت استيلاء الجيش على السلطة فى مصر مغامرة لن ينجم عنها سوى نظام قمعى تعسفي، نظرًا لأن الجيش المصرى لن يكون من هذا المنظور جيشًا ثوريًا، ولأن الجيوش بطبيعتها أداة من أدوات العنف، وظلت موسكو وعلى مدى ثلاث سنوات تتابع عبد الناصر الذى كانت تعتبره دكتاتورا عسكريا حسب وصف الشيوعيين المصريين له"، وحتى واقعة لقائه مع دميترى شيبيلوف مبعوث القيادة السوفيتية الذى وصل إلى القاهرة تحت ستار المشاركة فى احتفالاتها بالذكرى الثالثة لثورة يوليو"، وهو ما يتفق مع ما قاله كل من بريماكوف وكيربيتشينكو حول أسباب قصور الرؤية السوفيتية تجاه عبد الناصر. التقديرات السوفيتية لم تكن فى البداية موضوعية انطلاقا من إغفالها المدى الذى يمكن أن تمضى إليه جيوش البلدان النامية على النقيض من مثيلاتها فى البلدان الأكثر تقدما. ولذا كان من الطبيعى أن تستغرق دراسة شخصية عبد الناصر بعض الوقت من خلال متابعة خطواته وما يتخذه من قرارات ومواقف فى مواجهة الداخل والخارج ولا سيما فى تعاملاته مع قيادات كل من بريطانيا والولايات المتحدة"، وهو ما أسفر لاحقًا عن تغيرات جذرية كانت مقدمة لعقد أول اتفاقية عسكرية بين البلدين وكانت الحكومة السوفيتية قد أعلنت فى أكثر من مناسبة عن تأييدها للجهود التى تبذلها مصر من أجل التوصل إلى اتفاق حول جلاء القوات البريطانية من الأراضى المصرية. وقالت وزارة الخارجية الروسية فى بيانها الصادر فى ١٦ أبريل ١٩٥٥ حول الأمن فى الشرقين الأدنى والأوسط برفضها للأحلاف العسكرية الأجنبية فى المنطقتين على اعتبار أن ذلك هو المصدر الحقيقى الذى يهدد الأمن والسلام هناك فضلاً عن إشارتها للمصلحة المشتركة التى تجمع الاتحاد السوفيتى مع بلدان هاتين المنطقتين. وأشار البيان إلى أن الاتحاد السوفيتى لا يستطيع أن يلتزم مواقف اللامبالاة تجاه الوضع

الناجم فى الشرقين الأدنى والأوسط نظرا لأن تشكيل الأحلاف الأجنبية وإقامة القواعد العسكرية الأجنبية فى أراضى بلدان هاتين المنطقتين يشكلان خطرًا مباشرًا على أمن الاتحاد السوفيتى الذى تقع أراضيه على مقربة مباشرة مع أراضى هذه البلدان، وهو ما لا يمكن قوله بالنسبة إلى الدول الأجنبية الأخرى مثل الولايات المتحدة الموجودة على مبعدة آلاف الكيلومترات عن هذه المناطق".

وكشفت موسكو عن موقفها صراحة من انحيازها إلى شعوب الشرق الأوسط من خلال ما أشار إليه بيان الخارجية السوفيتية السالف الذكر "حول إصرار الحكومة السوفيتية على الدفاع عن حرية واستقلال دول الشرقين الأدنى والأوسط وعدم التدخل فى شئونها الداخلية". ومن اللافت أن موسكو السوفيتية كانت ومنذ أولى سنوات التقارب مع مصر حريصة على رصد كل ما من شأنه الخروج على الشرعية الدولية فى إطار محاولاتها الأولية لتسوية النزاع العربى الإسرائيلى، وهو ما أشارت إليه فى بيان وزارة الخارجية السوفيتية الصادر فى ١٣ فبراير ١٩٥٦ تعليقا على البيان المشترك الصادر عن مباحثات الرئيس الأمريكى دوايت أيزنهاور مع رئيس الحكومة البريطانية أنطونى ايدن فى أول فبراير من نفس العام: "أن الإجراءات الانفرادية من جانب هذين البلدين بعيدًا عن منظمة الأمم المتحدة وبدون مشاركة بلدان الشرقين الأدنى والأوسط لا يمكن إلا أن تشكل خطرًا على الأمن والسلام فى هذه المنطقة فضلاً عن انتهاكها لاستقلال وسيادة بلدانها الأمر الذى يتعارض مع مبادئ وأهداف الأمم المتحدة".

وفيما استشهدت الخارجية السوفيتية ببعض فقرات من بيان واشنطن حول رغبة البلدين تجاه تسوية النزاع بين إسرائيل والبلدان العربية بدون مشاركة البلدان المعنية أشارت إلى ما يتردد من أنباء حول "نوايا بعض الدول تجاه إرسال قواتها إلى المنطقة المذكورة". وقالت إن ذلك لا بد أن يعتبر عملا يتعارض تمامًا مع مصالح تعزيز السلام ويخلق بؤرة الاحتكاكات الخطيرة والتوتر هناك ما لا بد أن يزيد من صعوبة تسوية المسائل المتنازع حولها، فضلا عن أن الدفع بقوات أجنبية بدون موافقة البلدان المعنية وبدون قرار من مجلس الأمن الدولى من شأنه أن يكون انتهاكًا سافرًا لميثاق الأمم المتحدة وسيادة البلدان المعنية". مثل هذه البيانات

الصادرة عن أعلى المستويات فى العاصمة السوفيتية لم تكن سوى نتاج للاتصالات الأولى التى جرت بين عبد الناصر ومبعوث القيادة الحزبية السوفيتية إلى القاهرة فى يوليو ١٩٥٥ وما أسفر عنها من خطوات أكدت صحة توجهات الطرفين وصدق نواياهما والرغبة المشتركة فى إقامة علاقات سليمة على أسس من التكافؤ والمساواة والمصلحة المتبادلة حسبما حرص الجانبان على وصفها فى كل الخطب والبيانات الرسمية اللاحقة، وكان من حسن الحظ أيضًا أن يتوقف خيار القيادة السوفيتية عند دميترى شيبيلوف أول مبعوث سوفيتى رفيع المستوى إلى القاهرة، لتولى حقيبة وزير الخارجية السوفيتية خلفا للشهير فياتشيسلاف مولوتوف فى يونيو ١٩٥٦ أى قبيل إعلان عبد الناصر عن قراره بتأميم شركة قناة السويس فى ٢٦ يوليو من نفس العام. وكان الجنرال فاديم كيربيتشينكو نائب رئيس بعثة جهاز أمن الدولة (كى جى بى) تحت سقف السفارة السوفيتية فى القاهرة توقف عند هذا الخيار، وسرعان ما عُين شيبيلوف بعد عودته من مصر فى منصب وزير الخارجية السوفيتية فى يونيو ١٩٥٦ والذى استمر فيه حتى مايو ١٩٥٧. وفى أول لقاء يعقده مع قيادات الوزارة فى موسكو توقف شيبيلوف عند غرابة وجود بعض السفراء ممن يفتقدون سبل الاتصال مع قيادات البلدان التى يعملون بها"، فى إشارة صريحة إلى دانييل سولود السفير السوفيتى فى القاهرة وقد كان من أسباب قصور تقدير القيادة السوفيتية لثورة يوليو وقيادتها. ومضى الجنرال كيربيتشينكو ليستعيد ما جرى اتخاذه من خطوات إيجابية على طريق التقارب بين البلدين وقياداتهما وشعبيهما، وهو ما تطلب التوسع فى افتتاح الممثليات والقنصليات السوفيتية فى القاهرة وعدد من المدن الأخرى ومنها الإسكندرية وبورسعيد، بما فى ذلك أول مركز ثقافى روسى فى القاهرة حرص كيربيتشينكو على الإشارة إلى اسم مديره النشيط وهو المستعرب السوفيتى بافيل بولجاكوف، الذى شرفنا بالتتلمذ على يدى قرينته الدكتورة تمارا بولجاكوفا أستاذة اللغة الروسية فى مطلع ستينيات القرن الماضى فى "مدرسة الألسن العليا" التى حرص عبد الناصر على إعادة افتتاحها فى عام ١٩٥٧ محتفظًا بنفس الاسم الذى أطلقه عليها مؤسسها رفاعة رافع الطهطاوى فى منتصف

القرن التاسع عشر. إزاء ذلك كله كان من الطبيعى أن تجنح العلاقات المصرية السوفيتية نحو المزيد من التقارب والحميمية وهو ما أسهم فى تحقيقه إلى حد كبير محمد عوض القونى السفير الذى اختاره محمود فوزى أحد ألمع وزراء خارجية مصر فى تاريخها المعاصر بوصفه أحد أنبغ وأكفأ سفرائه حسب تقديرات أساطين الدبلوماسية المصرية، خلفا لعزيز باشا المصرى الذى كانت موسكو قد قبلته على مضض بسبب ميوله الواضحة إلى النازية وإعجابه بهتلر. ولعل ذلك كان مقدمة لتطورات سريعة تمثل بعضها فى أن يتحول عبد الناصر وبعد نجاحه فى إبرام اتفاقية السلاح مع موسكو إلى أن يطلب منها بحث طلب مماثل من جانب سوريا فى ٢٣ يناير عام ١٩٥٦. وننقل عن ليونيد مليتشين ما أورده فى كتابه"ملفات سرية" حول أن عبد الناصر طلب من السفير السوفيتى كيسيليوف إبلاغ موسكو بطلب سوريا حول بحث قائمة الأسلحة التى تريدها ومنها "٦٠ دبابة من طراز "ت ـ ٣٤"، و١٨ مقاتلة و١٥٠ مدرعة وثلاث محطات رادار وغير ذلك من المدافع والشاحنات والذخيرة. وقال بأن سوريا سوف تتولى السداد بموجب نظام الصفقات المتكافئة التى قبلتها موسكو فى التعامل مع مصر. الغريب والذى لم نجد له بعد تأكيدًا موثقًا فى أرشيف الخارجية السوفيتية ما قاله مليتشين فى كتابه المشار إليه (ص ٣٢٦) إن عبد الناصر طلب من السفير السوفيتى إبلاغ القيادة فى موسكو وباسم كل من مصر والسعودية وسوريا بطلب موافقتها على إمداد البلدان الثلاثة بخبراء عسكريين من جمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية ردا على مساعدات الولايات المتحدة وبريطانيا اللتين أوفدتا الكثيرين من الطيارين اليهود لمساعدة إسرائيل، وهو ما رفضته القيادة السوفيتية فى حينه. خروشوف ومعه نيكولاى بولجانين رئيس الحكومة السوفيتية كانا آنذاك فى زيارة لبريطانيا فى محاولة لمد جسور الود وتحسين العلاقات مع الغرب. وأشار إلى أن البريطانيين ناقشوا مع خروشوف آنذاك محاذير إمداد مصر بالأسلحة، وأعربوا عن مخاوفهم من أن يكون ذلك بداية جولة من سباق التسلح فى منطقة يعتبرونها "منطقة لمصالحهم الوطنية". وأضاف أن خروشوف وبولجانين لم يعدا الجانب البريطانى بالتوقف عن إمداد

مصر بالسلاح وإن قالا باحتمالات عدم التوسع فى ذلك، وهو ما أثار حفيظة القاهرة التى سرعان ما ردت على هذه الخطوة بإعلان اعترافها بالصين الشعبية فى ١٦ مايو ١٩٥٦.

وتمضى الأيام سريعة ليتخذ خروشوف قراره حول استبعاد مولوتوف من منصبه كوزير للخارجية السوفيتية وتعيين دميترى شيبيلوف مبعوثه السابق الذى اكتشف عبد الناصر شريكا يمكن الوثوق به وزعيمًا تنتظره آفاق واعدة. ولذا لم يكن غريبًا أن تكون مصر فى مقدمة البلدان التى اختارها شيبيلوف لزيارتها فى أول جولة خارجية ضمت كذلك سوريا ولبنان، فيما اعتذر عن عدم القيام بزيارة مماثلة لإسرائيل استجابة لدعوة رسمية من قيادتها. ومن اللافت ان يتوقف المؤرخ الروسى مليتشين عند هذه الزيارة ليقول إنها شهدت الكثير من اللحظات الفارقة ومنها إصرار المشير عبد الحكيم عامر وزير الحربية المصرى على طلب سربين من مقاتلات "ميج ـ ١٩"ت ودبابات "ت ـ ٥٤" توهو ما اعتذر عنه شيبيلوف بحجة أن مثل هذه الأسلحة "نماذج جديدة" لا تزال فى طور التجربة. على أن رفض موسكو إمداد مصر بمثل هذه الأسلحة لم يكن لعكر صفو العلاقات بين البلدين، وهو ما حرصت القيادة السوفيتية أن تستبقه بدعوة عبد الناصر للقيام بأول زيارة لموسكو. فقد كانت سياسة عبد الناصر الخارجية تعتمد على تكوينه الوطني والثقافي منذ شبابه التى كانت توحي بأنه كان يحمل مشاعر العداء للاستعمار وارتباطه بالغرب، إلا أننا سنجد أن توجهاته الأولى لتلبية مطلبين رئيسيين للعهد الثوري الجديد كانت نحو الولايات المتحدة الأمريكية والغرب. فقد كانت من المهام الأولى على جدول أعمال النظام الجديد: التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد، وبناء جيش قوي. وقد تبلور الهدف الأول في مشروع السد العالي، وجاءت الغارة الإسرائيلية على غزة عام ١٩٥٥ لكي تفصح عن انكشاف الجيش المصري. ولكي تؤكد الهدف الثاني وتزيده إلحاحًا. وحول هاتين القضيتين الرئيسيتين قوبلت التوقعات من الولايات المتحدة الأمريكية والغرب بالإحباط بل وبالرفض. فبعد مفاوضات طويلة سحب البنك الدولي والولايات المتحدة عرضهما لتمويل السد العالي، ومن ناحية أخرى عاد الوفد

المصري الذي توجه إلى الولايات المتحدة للتفاوض حول المطالب العسكرية خالي اليدين. إزاء هذا ولشعوره بالمهانة، وبصورة النظام الثوري الجديد التي أصبحت مهددة تحول جمال عبد الناصر إلى الاتحاد السوفيتي لتحقيق هدفيه الرئيسيين. وقد كان هذا التحول في السياسة سوف يأتي بنتائج بعيدة المدى. ليس فقط بالنسبة إلى سياسة مصر الخارجية وتوجهاتها وارتباطاتها الإقليمية والدولية المستقبلية، ولكن أيضًا بالنسبة إلى مجرى الأحداث في الشرق الأوسط كله. وما دمنا نعطي قدرًا من الاعتبار لتأثير شخصية الزعيم على صياغة السياسة الخارجية لمصر، فإن تأثير خصائص شخصية عبد الناصر يمكن فهمها من ملاحظات زملائه المصريين، مثلما لاحظ أنور السادات فجنبًا إلى جنب مع خجله وهدوئه، فإنه يمثل شخصية الصعيدي، لقد كان رقيقا ومنطقيًا ومليئًا بالمشاعر ولكنه سرعان ما تحول إلى أسد غاضب في اللحظة التي يشعر فيها أن أي فرد يفكر في إهانته أو إيذائه.

وهكذا نستطيع أن نتفهم بشكل أدق معاني ومتضمنات تقارب مصر مع الاتحاد السوفيتي مع منتصف الخمسينيات في سياق تصاعد الحرب الباردة الذي كان من أبرز علاماته صفقة الأسلحة المصرية التشيكية عام ١٩٥٥، واستقدام الخبراء السوفييت سواء العسكريين منهم أو الفنيين لبناء السد العالي، وتزايد الأهمية الاستراتيجية والإيديولوجية للشرق الأوسط في الإطار الأوسع للمواجهة التي كانت قد تبلورت بين الشرق والغرب. في هذا السياق فإن توقعات الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين للحصول على مباركة جمال عبد الناصر لترتيبات الدفاع الإقليمي في الشرق الأوسط، كانت تشكل جزءًا من سياسة احتواء الاتحاد السوفيتي العالمية. هذه التوقعات قوبلت برفض جمال عبد الناصر التعاون، بل وإلى العمل ضدها في كل المنطقة، وقد جاء تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ كرد فعل مباشر للرفض الأمريكي والغربي لتمويل السد العالي، وهو التطور الذي بلغ قمته في الغزو البريطاني والفرنسي والإسرائيلي على مصر عام ١٩٥٦.

وقد دعم تراجع الغزو، والتأييد الشامل الذي تلقته مصر من العالم العربي وكل العالم الثالث دعم سلطة عبد الناصر داخليا وخارجيا، وعمقت سياسته حول

القومية العربية، وزادت من تأييده لحركات التحرر القومي ووقوفه ضد سياسات الولايات المتحدة والغرب في الشرق الأوسط ومناطق أخرى من العالم. وقد أشار جمال عبد الناصر في كتابه "فلسفة الثورة" إلى حتمية ومسئولية مصر كفاعل جوهري في نطاق ثلاث دوائر هي: الدوائر العربية، الأفريقية، والإسلامية. وبفعل هذه السياسات أصبحت القاهرة مركزا للمؤتمرات الآسيوية والأفريقية ذات البرنامج واللغة المعادية للغرب، ومن ناحية أخرى تضمنت دعوة عبد الناصر للقومية العربية خصومة تجاه النظم المحافظة في العالم العربي والتي أدت إلى تأييد مصر للنظام الثوري في اليمن وانغماسها العسكري في هذا البلد من ١٩٦٣ إلى ١٩٦٧.

فسياسات عبد الناصر العربية الأفروآسيوية إلى فهمه، شأنه شأن محمد علي، للعوامل التاريخية والجغرافية لمصر والتي تحسم في النهاية مصائرها فأمن مصر يعتمد على شيئين "النيل"، والذي يضمن أن حاكم مصر يكون له سياسة أفريقية، وجسر أرضي إلى آسيا والذي يعني أن يكون له سياسة شرقية، وقد أدرك ناصر أيضا من قراءته التاريخ أن حكام مصر العظام من تحتمس الثالث حتى صلاح الدين ومحمد علي قد نظروا إلى حدود مصر الحقيقية باعتبارها أبعد بكثير إلى الشرق حتى سوريا.

وبين الهزيمة العسكرية ووفاته في سبتمبر ١٩٧٠ جمعت سياسة عبد الناصر بين اتجاهاته وبين استعداداته للتلاؤم مع الوضع الجديد. ففي الوقت الذي تبنى فيه مفهوم "ما أخذ بالقوة لا يمكن استرداده إلا بالقوة" وشرع في عملية إعادة بناء الجيش ومواجهة الإسرائيليين من خلال حرب الاستنزاف، إلا أنه في الوقت نفسه ارتبط بالجهود الدبلوماسية، وأصلح علاقته مع النظم المحافظة في المنطقة، وأجرى إشارات عن رغبته في إعادة العلاقات مع الولايات المتحدة، وقبل خطة "روجرز" لوقف إطلاق النار.

وقد بلغت عملية الاعتماد على الاتحاد السوفيتي كمصدر لإمدادات السلاح قمتها في حرب ١٩٦٧، وفي مقابل عاطفية مع القادة السوفييت في موسكو في إبريل ١٩٧٠ والتي هدد فيها بالاستقالة طالب ناصر بنظم دفاع سوفيتية على

طول قناة السويس تقودها أطقم سوفيتية لحماية مصر من الغارات الإسرائيلية في العمق، وبناء على هذا فقد تم إرسال ٩٠٠ خبير سوفيتي إلى مصر وبدءوا العمل داخل الجيش المصري حتى مستوى الكتيبة.

وهكذا فإن العلاقة التي بدأت في منتصف الخمسينيات من خلال صفقة الأسلحة المصرية التشيكية والتي وصفها عبد الناصر بأنها عملية تجارية بلا قيود ولا شروط قد تطورت في نهاية الستينيات إلى ما يشبه الاعتماد والارتباط الكامل بالاتحاد السوفيتي، والقطيعة الكاملة مع الولايات المتحدة.

أما أنور السادات فقد كانت رؤيته مختلفة تمامًا عن رؤية ناصر فقد كان شعاره الظاهر من تصرفاته وتحركاته في سنوات حكمه هو مصر أولا. وقد يختلف الإطار للنظرة العامة التي رأى بها السادات سياسة مصر الخارجية خاصة في منطقتها العربية، عن تلك التي رآها فيها عبد الناصر، فبينما أخضع عبد الناصر سياسة واهتمامات مصر للقضايا والاهتمامات العربية أو رأى أن مصالح مصر ترتبط بشكل عضوي وتخدم بشكل أكثر في سياقها العربي، فإن السادات قدر أن الاهتمامات المصرية تتقدم وتعلو على الاهتمامات العربية، أو هو رأى أن مصر بمكانتها مؤهلة لأن تقود العالم العربي لا أن تقاد إليه، وألا تجعل خلافاته تحد من حركة السياسة الخارجية المصرية وبشكل خاص تجاه النزاع مع إسرائيل، وربما كان مقتنعا أن ما سيفكر فيه، وحملة السلام التي سيطلقها إنما تخدم الأهداف والمصالح العربية مثلما تخدم أهداف مصر. وعلى الرغم من أن سياسة السادات داخليا وخارجيا قد تطورت بشكل اختلف جذريا مع سياسات عبد الناصر، إلا أن كلا منهما قد بدأ عهده وهو يواجه مشكلة سيادة مصر على أراضيها. فمثلما كان اهتمام ناصر وحلمه الجديد هو تحرير مصر من الاحتلال البريطاني كانت القضية الرئيسية التي واجهت السادات هي تحرير سيناء من الاحتلال الإسرائيلي ومثلما دعم إنهاء الاحتلال البريطاني لمصر من شرعية النظام وعبد الناصر بوجه خاص، جاء شن السادات لحرب أكتوبر وتحريره على الأقل لجزء من سيناء، واستعادته للثقة المصرية، الأمر الذي ربما كان أكثر واقعا من إنهاء الاحتلال البريطاني، وتراجع غزو عام ١٩٥٦ جاء ليمنح

الشرعية الحقيقية للسادات ويزوده بالثقة لتحويل المسرح الداخلي المصري وتوجيه السياسة الخارجية المصرية نحو منطلقات جديدة. ونستطيع أن نميز بين ثلاث مراحل في تطور السياسة الخارجية للسادات، فمنذ توليه السلطة في أكتوبر ١٩٧١ وحتى أكتوبر ١٩٧٣ ظل السادات ملتزما بالخطوط الرئيسية لسياسة ناصر الحديثة وبشكل خاص تجاه الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي. بل أنه ذهب إلى حد أبعد في استمرار خصوصية العلاقة مع الاتحاد السوفيتي بتوقيعه لمعاهدة الصداقة التعاون معه في مايو ١٩٧٢، الأمر الذي لم يفعله ناصر غير أنه وخلال هذا، أقدم السادات على خطوتين لن تتضح معانيهما وتأثيرهما إلا فيما بعد. كانت الخطوة هي إطاحته بمجموعة من السياسيين المعروفين بولائهم لعبد الناصر، وارتباطاتهم الأيديولوجية بالاتحاد السوفيتي. أما الخطوة الثانية فكانت مطالبته في يوليو ١٩٧٢ الخبراء السوفييت العسكريين بمغادرة مصر، وهو القرار الذي أربك حتى مستشاريه، واعتبره كسينجر خسارة للروس لم تكلف أمريكا شيئا بل جعله يقول إنه إذا كان السادات قد أبلغه عن اتجاهه هذا لكان مجبرا على تقديم مقابل له، أما الآن فقد حصل على كل شيء بلا مقابل. وثمة تفسيرات عديدة لما أقدم عليه السادات منها أنه كان يريد أن يكون أي عمل عسكري مصري تمامًا وألا ينسب للروس، ومنها أنه أراد بهذا الأمر أن يقدم إشارة إلى الأمريكيين والإسرائيليين لكي يحركوا الوضع سياسيا، وأن غياب أي استجابة في هذا الاتجاه كانت من دوافع السادات في اتخاذ قرار الحرب. فقرار الحرب وتأكيد العسكرية المصرية لذاتها قد أعطى السادات تفويضا لكي ينفذ رؤيته حول مستقبل اتجاهات السياسة الخارجية المصرية وبشكل خاص تجاه النزاع العربي الإسرائيلي. في هذا الشأن فقد كان السادات مدفوعا بثلاثة مفاهيم أساسية، الأول هو اعتقاده بأن الحرب كوسيلة لإنهاء هذا النزاع قد استنفدت نفسها، وأن أيًا من طرفيه لن يعد قادرًا على فرض إرادته على الآخر بالقوة، أما المفهوم الثاني فهو اقتناعه بأن الولايات المتحدة الأمريكية بالتزاماتها وارتباطاتها مع إسرائيل هي القوة الدولية الوحيدة القادرة على تسوية سياسية وتمتلك ٩٠٪ من أوراق اللعبة، وكذلك بدا السادات مقتنعا بأن دور مصر ومكانتها

بين العرب يجعل منها القائد الطبيعي لهم، وأنه أينما كانت ستتجه مصر فإن الآخرين سوف يتبعونها. وفي هذا الإطار من التفكير ظل السادات صارمًا حول قضيتين، الأولى هي السيادة المصرية وتكاملها الإقليمي، والثانية هي تأكيده على الحقوق الفلسطينية المشروعة وعلى قدر إشادة السادات بعبد الناصر، كانت إشادته بدور الاتحاد السوفيتي. وبفحص جميع خطب السادات وتصريحاته وأحاديثه الصحفية طوال الفترة من ٧/ ١٠/ ١٩٧٠ إلى انقلاب مايو ١٥ / ٥/ ١٩٧١، في هذه الفترة لم يكف السادات عن الإشادة المستمرة بدور الاتحاد السوفيتي ودوره في دعم مصر والقضايا العربية. ثلاث مناسبات فقط أغفل فيها السادات الإشادة بالاتحاد السوفيتي، كانت المرة الأولى في ذكرى مرور ٤٠ يوما على وفاة عبد الناصر، وكان حديث السادات مخصصًا للإشادة بناصر. والمرة الثانية في رسالته إلى مؤتمر الدعوة الإسلامية. أما المرة الثالثة كانت بمناسبة انعقاد المؤتمر السادس لمجمع البحوث الإسلامية، وكان إقحام ذكر الاتحاد السوفيتي في مناسبات دينية تصرفًا يسيء إلى الاثنين معًا، السادات والاتحاد السوفيتي. وكان من الطبيعي، أن تكون الإشادة بدور السوفييت قائمًا على أرضية المقارنة بدور أمريكا المعادى لمصر وللأمة العربية، والمؤيد على طول الخط لإسرائيل. ففي إحدى الجلسات المغلقة للمؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي العربي أجاب السادات على سؤال: هل يتوازن الدعم السوفيتي مع ما تعطيه أمريكا لإسرائيل؟

كان جواب السادات: "لابد أن ندرك أولا طبيعة العلاقة بيننا وبين الاتحاد السوفيتي، هي غير طبيعة العلاقة بين أمريكا وإسرائيل، فإسرائيل عميلة لأمريكا وهى تعلن ذلك وتفتخر به... وأمريكا تعلن أن إسرائيل خط الدفاع الأول عن مصالحها في المنطقة... لكن الأمر بالنسبة إلينا يختلف، لسنا عملاء الاتحاد السوفيتي، ونحن لا نحارب معركة لمصلحته، المعركة هي معركتنا ونحن الذين نحاربها ونموت من أجلها. ونفي السادات الشائعات التي تقول بأن هناك معاهدة سرية بين مصر والاتحاد السوفيتي، وحذر من الانسياق وراء الشائعات التي تروجها أمريكا وإسرائيل من أجل الوقيعة بيننا وبين الاتحاد السوفيتي، واعتبر السادات أن الأفراد والقوى السياسية التي تعادى الاتحاد السوفيتي يرتكبون

بسلوكهم هذا جرم الخيانة الوطنية:" لازم أقرر أن الاتحاد السوفيتي بكل شرف وأمانة يعطينا كل شيء، مش زي الأمريكان ما بي يقولوا الوجود السوفيتي جى يحتل البلد... أنا بقول الكلام للأمريكان... كل محاولة للتشكيك ضد الاتحاد السوفيتي تعتبر خيانة، وكل هدف أمريكا هو محاولة التوقيع بيننا وبين الاتحاد السوفيتي، ويجب ألا نستجيب لذلك.

وأخذ السادات يعدد مجالات الدعم السوفيتي لمصر:" استمر يعطينا كل ما نريد بدون ثمن تقريبا لأننا نسدد على أقساط طويلة الأجل...أعطانا كل إمكانيات بناء السد العالي... أعطانا معدات بناء السد العالي الثاني، وأقصد به مشروع مصنع شرائط الحديد والصلب، أعطانا خام الحديد بسعر الخام في السوق العالمية، ودفع لنا فرق السعر لشرائط الصلب المصنعة لصالحنا...بعد عدة سنوات سنجد لدينا خبراء في صنع السفن على أعلى مستوى عالمي، كل هذا بمعاونة الاتحاد السوفيتي في الوقت الذي يرفض الغرب إعطاءنا بندقية واحدة.

أما في مجال التسليح فأكد على أن الاتحاد السوفيتي: "أعطانا كل ما طلبناه من أسلحة، وأرسل الخبراء لتدريب قواتنا المسلحة... وفاءه بكل الاتفاقيات الخاصة بالأسلحة معانا، وفى الفترة التي فجع فيها شعبنا في فقد القائد جمال عبد الناصر، وقف الاتحاد السوفيتي... ودعمنا بكل ما طلبناه من أسلحة قبل الموعد المتفق عليه... في الوقت الذي كانت فيه أمريكا تضغط علينا منتهزة فجيعة شعبنا بفقد قائده لكي نخضع أو نستسلم. أما في مجال الدعم السياسي وصف السادات العلاقات المصرية ـ السوفيتية بقوله: "... صداقتنا مع الاتحاد السوفيتي هي في نفس الوقت وقفة تضامن من تجميع كل القوى المعادية للاستعمار، كما أن نفور الاتحاد السوفيتي من إسرائيل، ومطامعها التوسعية والعدوانية ودورها الإرهابي في المنطقة.

ثم أضاف السادات: "لقد أثبتت الأزمة أن لنا أصدقاء في المقدمة فيهم وفى موقع الاعتزاز لدينا شعوب الاتحاد السوفيتي، التي لم تكتف بأن تتفهم، ولكنها سارعت بأن تقدم لنا ما كان صعبا علينا أن نواصل القتال بقوة وفعالية. إن

الاتحاد السوفيتي بمواقفه منا في هذه الأزمة وثق صداقة من صداقات التاريخ الكبرى، وجعل منها نموذجا وميزانا للإخاء الدولي ولوحدة القوى المناهضة للاستعمار والإرهاب والعدوان. لم يكتف السادات بكل ذلك، وإنما راح يبسط في اختياره لمفردات خطابه السياسي بغرض شرح طبيعة العلاقات القائمة بين مصر والاتحاد السوفيتي، فنراه يختار كلمات بسيطة يسهل على الغالبية العظمى من الشعب المصري والعربي استيعابها، فأخذ يضفي على العلاقات العربية ـ السوفيتية صفات تحمل الطابع الأخلاقي المرتبط بالمودة والتكاتف السائدة في علاقات الأسرة الواحدة، وهو نمط من العلاقات سائد في الريف المصري؛ حيث تختبر صلابتها في وقت الموت والأزمات.

وأكثر من هذا، فقد حرص السادات أن يبلغ الاتحاد السوفيتي بالقرارات المهمة قبل أن يبلغ بها القيادات المصرية، كإبلاغه بقراره المتعلق بتطبيق ميثاق طرابلس، الذي طرحه جمال عبد الناصر للوصول إلى قيام الوحدة بين مصر وسوريا وليبيا. وعندما قرر إقالة نائبه علي صبري كان السوفييت أول من علم بقراره فتولى بنفسه إبلاغه للقيادات السوفيتية. تلك كانت علاقة السادات بالاتحاد السوفيتي لكنه في الوقت الملائم لتقديراته السياسية أزاح السوفييت من الصورة تمامًا مما جعلهم يشعرون بأن الطعنة المصرية التي جاءتهم ستترك أثرًا لن ينسى مع مرور السنين..



الفصل الرابع

كيف كانت مصر؟

كانت مصر جريحة. كالأم المكلومة، ضاعت أرضها وضاع رجلها، لم تكن تتخيل أن رجلها يمكن أن يموت فقد مات فجأة دون سابق إنذار، لم يكن فى حسبانها أن يتركها هكذا وحيدة فى قمة حزنها ويرحل تاركًا لها أرثًا ثقيلاً من الهم ومسئولية كبرى لا يمكن أن تتخيل أن تقابل مصيرها وحدها، مات جمال عبد الناصر زعيم كل المصريين وكل العرب، الرجل كان يمثل لكل الأمة العربية الحلم الكبير فى إضفاء الكبرياء على أمة مهزومة خرجت لتوها من براثن الاستعمار ومن قبضة الاستغلال الإمبريالى، خرج من رحم المعاناة هذا الرجل كنجم شباك أول على مسرح السياسة العالمية رغم صغر سنه وقلة عمله بالسياسة بشكل عام، الرجل جاء من الجيش الضعيف محملاً بالأحلام الرومانسية السياسية ورويدا رويدا استطاع الرجل أن يلملم شتاته السياسى ويعرف قيمة هذه الأمة الكبيرة الطاعنة فى السن لتاريخها السحيق عبر آلاف السنين مما تركت بصمتها التاريخية على كل من احتلها وعرف قيمة استغلال كنوزها الاستراتيجية، كمحور للعلم. كان عبد الناصر يعرف جيدًا قيمة دولته التى يحكمها بالحديد والنار وهو الدكتاتور الوحيد عبر الحكام المصريين من آلهة

الشعب ووضعه ضمن أحد أهم حكامه على مر التاريخ. الرجل كان يحكم وحده ويفكر وحده ويخطط وحده ويتخذ القرار أى قرار وحده. بل وهو الحاكم الوحيد فى تاريخ الأمة المصرية المهزوم هزيمة مخجلة وبرغم ذلك تغاضى الشعب عن هزيمته وطالبه بالبقاء ليكمل مسيرته التى عصفت بها هزيمة ٦٧. عند قدوم عام ١٩٧١ كان الرجل قد مات فى السابعة من مساء الإثنين ٢٨ سبتمبر وفى الثامنة مساء عقد أنور السادات نائب رئيس الجمهورية اجتماعا طارئا بمنزل الرئيس الراحل لتوه اشترك فيه حسين الشافعى وزير الأوقاف ونائب رئيس الجمهورية وعلى صبرى والفريق أول محمد فوزى وزير الحربية وشعراوى جمعة وزير الداخلية وسامى شرف وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية والكاتب محمد حسنين هيكل وزير الإرشاد القومى ورئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير جريدة الأهرام، وتم الاتفاق على إعلان حالة الطوارئ القصوى فى الجيش ودعوة اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكى ومجلس الوزراء الليلة لإعلان النبأ وموعد الجنازة الساعة العاشرة صباح الخميس أول أكتوبر ويدفن الرئيس فى المسجد الجديد بحى منشية البكرى. وبعد الانتهاء من الجنازة ومراسمها. اجتمعت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى فى الإثنين ٥ اكتوبر ووافقت على تزكية محمد أنور السادات لشغل منصب رئيس الجمهورية وتقرر دعوة مجلس الأمة للاجتماع ٧ أكتوبر للتأكيد على تزكية السادات لشغل منصب رئيس الجمهورية وتكون دعوة الشعب للاستفتاء على شخص الرئيس يوم ١٥ أكتوبر وينعقد مجلس الأمة ليؤدى اليمين الدستورية. وفى يوم ١٦ أكتوبر أعلنت وزارة الداخلية موافقة الناخبين على انتخاب السادات رئيسًا للجمهورية، وكان عدد الناخبين المقيدين فى جداول الانتخابات ٨,٤٢٠,٧٦٨ وعدد الناخبين الذين اشتركوا فى الانتخابات ٧,١٥٧,٦٥٣ وعدد الموافقين على ترشح السادات ٦,٤٣٤,٥٨٧ وعدد غير الموافقين على ترشح السادات ٧١١,٢٥٢، وكانت نسبة الموافقين المشتركين ٩٠,٠٤ فى المائة. وهى النسبة التى علق عليها السادات فى أول بيان له للأمة حيث قال: لا ينبغى لهذا الشعب أن يمنح ثقته المطلقة لفرد بعد عبد الناصر وإنى أشكر الجميع وسأعمل مع الجميع بأسلوب واحد، الذين قالوا نعم

لترشيحى والذين قالوا لا". وهكذا جلس الرجل الذئب السياسى على عرش مصر. وهو السياسى المحنك المنتظر للحظة المناسبة ليعلن عن نفسه. السادات جاء للحكم وفى ذهنه العشر سنوات القادمة مشروع للدولة المصرية طويل الأجل لكنه سينقل الدولة المصرية من الشرق الى الغرب فى تحول مفاجئ لا يمكن أن ينفذه شخص لا يحمل مكونات العقل السياسى بمقاس الدولة المصرية. رجل بحجم الدولة. وشكل السادات حكومته الأولى وكلف الدكتور محمود فوزى بتشكيل الوزارة، وكانت وزارة الدكتور فوزى هى وزارة عبد الناصر السابقة عدا خلو وزارة الإرشاد باستقالة محمد حسنين هيكل الذى قدمها فى ٣ أكتوبر وقبلها السادات فى ١٨ أكتوبر. وندب السيد محمد فائق لأعمال هذه الوزارة. وفى يوم السبت ٣١ أكتوبر من عام ١٩٧٠ أصدر السادات قرارًا جمهوريًا بتعيين كل من السيد حسين الشافعى والسيد على صبرى نائبين لرئيس الجمهورية وفى يوم الأربعاء ٤ نوفمبر صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بأغلبية الثلثين يدعو إلى:

١ ـ التنفيذ الفورى للقرار ٢٤٢ الخاص بانسحاب إسرائيل من الأراضى العربية المحتلة.

٢ ـ استئناف الاتصال بالمبعوث الدولى جونار يارنج لتنفيذ القرار ٢٤٢ كاملا.

٣ ـ موافقة أطراف النزاع على وقف إطلاق النار لمدة ٩٠ يوما أخرى لمباحثات المبعوث الدولى.

٤ ـ على أوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة أن يقدم إليها تقريرًا خلال شهرين عن مباحثات يارنج.

٥ ـ دعوة مجلس الأمن لبحث الإجراءات الكفيلة بوضع قراره موضع التنفيذ.

٦ ـ ضرورة احترام حقوق شعب فلسطين وأنها عنصر ضرورى لإقامة سلام دائم وعادل.

وفى اليوم التالى مباشرة أعلنت القاهرة قبولها نزولا على رغبة المجتمع الدولى ـ مد وقف إطلاق النار ٩٠ يومًا أخرى بشرط عدم تمديدها لفترة ثالثة تحت أى ظرف..

ولابد أن يدور فى أذهاننا سؤال يدق رءوسنا كالمطرقة الثقيلة دق. دق كيف كان حال الاقتصاد المصرى الآتى من بعيد ليتسلمه جمال عبد الناصر لتتسلمه يد محمد أنور السادات..

فقد كانت مصر مجتمعًا تسوده العلاقات شبه الإقطاعية و الرأسمالية المتخلفة، وكان المحتل البريطانى يسيطر على كل مقدرات البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية مدعومًا بجيش الاحتلال المكون من ٨٠ ألف جندى بريطانى ومن الطبقة العميلة التى أنشأها من المصريين ومن الجاليات الأجنبية التى استوطنت مصر لتستنزف خيراتها وتنهب ثرواتها، ومن الأسرة المالكة التى غرقت فى الفساد والانحلال وأصبحت فضائحها السياسية والاقتصادية والاجتماعية على كل لسان. وكان حزب الوفد قد تخلى عن قيادة الحركة الوطنية منذ موقفه المعيب فى ٤ فبراير ١٩٤٢، وأصبح حزبا للأغنياء، وظهرت انتماءاته اليمينية الرجعية المعادية لمصالح الأغلبية. وكانت قوى سياسية أخرى كالإخوان المسلمين والشيوعيين والاشتراكيين تتحرك على الساحة ولكنها جميعًا كانت عاجزة عن التحرك الجدى لإشعال ثورة تستولى بها على النظام السياسى المترنح والمأزوم.

وجاء حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ كإعلان إفلاس لما اصطلح على تسميته الحقبة الليبرالية فى تاريخ مصر المعاصر من ١٩٢٣ ـ ١٩٥٢.

وعلى الساحة العربية تفتت الوطن العربى إلى دول ودويلات واقعة تحت سيطرة الاستعمار الإنجليزى والفرنسى والأمريكى الجديد الداخل إلى المنطقة بعد الحرب العالمية الثانية، وكانت إسرائيل قد تم زرعها عنوة فى قلب العالم العربى على أرض فلسطين لتفصل العالم العربى لمشرق ومغرب ولتعمل كقاعدة إمبريالية لحماية مصالح الغرب فى أهم منطقة استراتيجية بالنسبة إلى الغرب؛ حيث إنها مخزون النفط الأول فى العالم، ولوأد أى مشروع نهضوى عصرى قومى فى الوطن العربى، وعلى الصعيد العالمى كانت الحرب الباردة مشتعلة بين المعسكرين الرأسمالى و الاشتراكى على مناطق النفوذ وفرض السيطرة.

فى تلك الظروف تفجرت ثورة عبد الناصر فى مصر، عندما تسلم عبد الناصر حكم مصر كانت مصر دولة فقيرة متخلفة صناعيًا، محصولها الزراعى الأساسى هو القطن الذى كان حكرا بيد طبقة من الإقطاعيين والمضاربين والأجانب.

كان الاقتصاد المصرى متخلفًا وتابعًا للاحتكارات الرأسمالية الأجنبية، كان هناك ٩٦٠ شخصا فقط يسيطرون على كل الوظائف الأساسية فى مجالس إدارات الشركات الصناعية، من بين هؤلاء ٢٦٥ مصريًا فقط.

وكان بنك باركليز الإنجليزى يسيطر وحده على ٥٦ ٪ من الودائع، وكان بنك مصر قد تمت السيطرة عليه من جانب رءوس الأموال الإنجليزية والأمريكية.

كان الاقتصاد المصرى عاجزًا بسبب ارتباطه بالمصالح الأجنبية عن طريق البنوك و شركات التأمين والتجارة الخارجية فى الصادرات والواردات، وكانت كل مرافق الاقتصاد المصرى بيد الأجانب واليهود .

إن الوثائق التاريخية تقدم لنا حقائق حالكة السواد عن أوضاع مصر الداخلية قبل الثورة، كانت آخر ميزانية للدولة عام ١٩٥٢ تظهر عجزا قدره ٣٩ مليون جنيه.

كما أن مخصصات الاستثمار فى مشروعات جديدة طبقا للميزانية سواء بواسطة الدولة أو القطاع الخاص كانت صفرا.

كما أن أرصدة مصر من الجنيه الإسترلينى المستحق لها فى مقابل كل ما قدمته من سلع وخدمات وطرق مواصلات لخدمة المجهود الحربى للحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية، وكان يبلغ ٤٠٠ مليون جنيه إسترلينى قد تم تبديده ولم يتبق منه إلا ٨٠ مليون جنيه إسترلينى.

وكان النهب الذى لحق بالأرض الزراعية فى مصر طوال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، نهب احتكرته أسرة محمد على فى البداية ثم أباحت نصيبًا منه للمرابين الأجانب، ولطبقة من المصريين محدودة جدا عملت على خلقها لكى تكون ظهيرًا لها أمام الغالبية.

ثم احتل الإنجليز مصر عام ١٨٨٢ فعملوا على خلق طبقة تدين لهم بالولاء وتتبنى نمطهم الحضارى ووزعوا على أفرادها آلاف الأفدنة، فى ظل ظروف مريبة وشديدة القسوة على الفلاح المصرى المقهور الذى تم تركه فريسة للجهل والفقر والمرض، لا يمتلك إلا جلبابًا واحدًا، ولا يجد قوت يومه، ويعامل كالعبيد لخدمة أسياده من الإقطاعيين.

وكانت شركة قناة السويس تجسد المأساة المصرية بكل أبعادها، فالقناة التى حفرت فى أرض مصر وبأيدى عشرات الآلاف من المصريين الذين جرت دماؤهم فيها قبل أن تجرى مياه البحر، تم سرقتها من مصر، وأصبحت شركة قناة السويس دولة داخل الدولة لها علم خاص وشفرة خاصة وجهاز مخابرات خاص وحى خاص محرم دخوله على المصريين.

وكان رئيس الشركة يعامل كرؤساء الدول محاطًا بكل مراسم التبجيل والاحترام ولايجرؤ مسئول مصرى على حسابه عن شيء.

و تثبت الوثائق الأمريكية و الفرنسية والإسرائيلية أن هذه الشركة دفعت من أموال مصر ٤٠٠ مليون جنيه إسترلينى لدعم الجهد العسكرى للحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية، كما قامت بدفع مبالغ مالية طائلة تقدر بعشرات الملايين للحركة الصهيونية فى فلسطين كتبرعات داعمة للمشروع القومى لليهود.

وبعد قيام إسرائيل أقامت معها إدارة شركة قناة السويس مكاتب للتنسيق المعلوماتى والمخابراتى بالتعاون مع جهاز الموساد، كما واصلت دفع الأموال للكيان الصهيونى دعمًا له.

وكانت خططها المستقبلية كلها مرتكزة على تمديد عقد امتياز القناة لمدة ٩٩ عاما جديدًا.

كانت خيرات وثروات مصر مسلوبة من أهلها تمتصها طبقات عميلة وأسرة حاكمة دخيلة وأجانب مرابون ويهود مستغلون.

لم تكن مصر ملكًا لأهلها ولم تكن لمصر سياسة خارجية مستقلة، بل كانت سياستها تدور فى فلك السياسة البريطانية.

وعندما قرر الملك فاروق أن يدخل حرب فلسطين، فشل الجيش المصرى فى المعركة بسبب خيانة الجيوش العربية الأخرى ونقص الاستعداد، وغياب الكفاءة عن القيادات، وسوء التخطيط، وترتب على الهزيمة ضياع ٧٨٪ من مساحة فلسطين التاريخية وإقامة الدولة اللقيطة.

تسلم جمال عبد الناصر الحكم فى مصر وأوضاعها بهذا الشكل المأسوى وبعد طرد الملك فاروق فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢.

صدر قانون الإصلاح الزراعى الأول فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢

يتكون القانون من ٦ أبواب تشمل ٤٠ مادة، حددت المادة الأولى الحد الأقصى للملكية الزراعية بـ ٢٠٠ فدان للفرد، وسمحت المادة الرابعة للمالك أن يهب أولاده مائة فدان. وقد سمح القانون للملاك ببيع أراضيهم الزائدة عن الحد الأقصى لمن يريدون، وأعطى لهم الحق في تجنب أراضي الآخرين المبيعة. كما قرر القانون صرف تعويضات للملاك، فلقد قدرت أثمان الأراضي بعشرة أمثال قيمتها الإيجارية، وأضيف إليها الملكيات والتجهيزات الأخرى (الأشجار والآلات... إلخ) القائمة على الأرض بقيم عالية. ونظم صرف التعويضات بسحب مستندات على الحكومة تسدد على مدى ثلاثين عاما بفائدة سنوية قدرها. وقرر القانون توزيع الأراضي الزائدة على صغار الفلاحين بواقع (٢ إلى ٥ أفدنة) على أن يسددوا ثمن هذه الأراضي على أقساط لمدة ثلاثين عاما وبفائدة ٣٪ سنويا، يضاف إليها ١٥٪ من الثمن الكلي للأرض؛ وفاء للموجودات التي كانت على الأرض (الأشجار الآلات... إلخ). وتناول الباب الثاني من القانون تنظيم الجمعيات التعاونية في الأراضي الموزعة. أما الباب الرابع فقد حدد عددًا من الإجراءات لمنع تفتيت الأراضي الموزعة، كما حدد ضريبة جديدة للأرض. وتناول الفصل الخامس العلاقة بين الملاك والمستأجرين. أما الفصل السادس والأخير فيتعلق بوضع حد أدنى لأجور عمال الزراعة، وبإعطائهم الحق في تنظيم نقاباتهم الزراعية. وبلغ مجموع الأراضي التي يطبق عليها قانون سبتمبر سنة ١٩٥٢ مساحة ٦٥٣,٧٣٦ ألف فدان تنتمي إلى ١٧٨٩ مالكًا كبيرًا، ولكن الأرض التي طبق عليها القانون في

واقع الأمر بلغت ٣٧٢,٣٠٥ آلاف فدان، أما البقية وهى قرابة النصف فقد قام الملاك ببيعها بأساليبهم الخاصة حتى أكتوبر سنة ١٩٥٣ حينما ألغت الحكومة النص الذي كان يتيح للملاك بيعها بأساليبهم، ثم صدر قانون الإصلاح الزراعى الثانى عام ١٩٦١وهو القانون رقم ١٢٧ لسنة (١٣٨٠هـ = ١٩٦١م)، وأهم ما في هذا القانون هو جعل الحد الأقصى لملكية الفرد ١٠٠ فدان، يضاف إليها ٥٠ فدانا لبقية الأسرة (الأولاد) للانتفاع فقط، وتحريم أي مبيعات للأرض من المالك لأبنائه، كما ألغى القانون الاستثناءات السابقة الخاصة بالأراضي قليلة الخصوبة. وتقدر الأراضي التي آلت إلى (الإصلاح الزراعي) نتيجة هذا القانون بـ٢١٤,١٣٢ ألف فدان، ثم صدر قانون الإصلاح الزراعى الثالث عام ١٩٦٩ وهو القانون رقم ٥٠ لسنة ١٩٦٩ والذي جعل الحد الأقصى لملكية الفرد ٥٠ فدانا. على أن هذا القانون الأخير لم يجد فرصة للتطبيق في واقع الأمر، وتقول الإحصائيات الرسمية بأنه حتى سنة ١٩٦٩ تم توزيع ٩٨٩,١٨٤ ألف فدان على الفلاحين منها ٧٧٥,٠١٨ ألف فدان تم الاستيلاء عليها وفقا لقوانين الإصلاح الزراعي، و١٨٤,٤١١ ألف فدان كانت تتبع بعض المؤسسات المختلف، أما الباقي وقدره ٢٩,٧٥٥ ألف فدان كان حصيلة أراضي لطرح لنيل، ووفقا لنفس هذه الإحصائيات الرسمية فقد وزعت تلك الأراضي على ٣٢٥,٦٧٠ ألف أسرة كما تم إنشاء الجمعيات الزراعية فى كل قرى مصر، وقامت الدولة عبر هذه الجمعيات بعمل نظام تخطيط شامل للزراعة على امتداد الجمهورية فتولت الدولة تحديد أنواع المحاصيل المزروعة وقدمت للفلاحين البذور والمبيدات و الأسمدة، كما قامت بشراء المحاصيل من الفلاحين.

كان تفتيت الملكية الزراعية فى ظل التخطيط الشامل للزراعة عبر الدورة الزراعية يقضى على مشكلة البطالة ويرفع المستوى الاقتصادى للفلاح المصرى فى إطار موازٍ لخطة الدولة الاقتصادية بتحقيق اكتفاء ذاتى من المحاصيل الزراعية.

وكان الأهم والأعظم من كل ذلك هو التغير الذى طرأ على أوضاع الفلاح المصرى وأسرته؛ حيث دخلت المدارس والوحدات الصحية إلى القرى وارتفعت

نسبة الوعى و معدلات التعليم، وتحسنت الأوضاع الصحية والاقتصادية فى الريف بفضل الثورة.

وكان أضخم وأهم مشروعات الثورة وهو السد العالى من أجل الزراعة فى المقام الأول، حيث وفر كميات المياه اللازمة لتحويل رى الحياض إلى رى دائم، وبفضله تم استصلاح ما يقرب من مليونى فدان.

وقد استطاعت مصر فى عهد عبد الناصر أن تحقق الاكتفاء الذاتى من كل محاصيلها الزراعية ماعدا القمح الذى حققت منه ٨٠٪ من احتياجاتها.

وفى عام ١٩٦٩ وصل إنتاج مصر من القطن إلى ١٠ ملايين و٨٠٠ ألف قنطار، وهو أعلى رقم لإنتاج محصول القطن فى تاريخ الزراعة المصرية على الإطلاق.

وصلت المساحة المزروعة أرز فى مصر إلى ما يزيد على مليون فدان، وهى أعلى مساحة زرعت فى تاريخ مصر.

كما تم تجربة زراعة أنواع جديدة من القمح كالقمح المكسيكى، والقمح جيزة.

وفى المجال الصناعى تم إنشاء المجلس الدائم لتنمية الإنتاج القومى فى سبتمبر ١٩٥٢.

وقام المجلس بإصدار خطة الاستثمارات العامة فى يوليو ١٩٥٣ وهى خطة طموحة لمدة ٤ سنوات بدأت بمقتضاها الدولة باستصلاح الأراضى

وبناء مشروعات الصناعات الثقيلة كالحديد والصلب، و شركة الأسمدة كيما، ومصانع إطارات السيارات الكاوتشوك، ومصانع عربات السكك الحديدية سيماف، ومصانع الكابلات الكهربائية، وبعد السد العالى، وفى الستينيات تم مد خطوط الكهرباء من أسوان إلى الإسكندرية، كم تم بناء المناجم فى أسوان والواحات البحرية، وتم تمويل كل هذه المشروعات ذاتيا.

وفى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ أمم الرئيس جمال عبد الناصر شركة قناة السويس وردها إلى مصر

وعقب العدوان الثلاثى تم تمصير وتأميم ومصادرة الأموال البريطانية والفرنسية فى مصر

وتم إنشاء المؤسسة الاقتصادية عام ١٩٥٧ و التى تعتبر النواة الأولى للقطاع العام المصرى، وآلت إليها كل المؤسسات الأجنبية الممصرة.

وفى ١٣ فبراير ١٩٦٠ أمم الرئيس عبد الناصر بنك مصر أكبر مصرف تجارى فى البلاد وكل الشركات الصناعية المرتبطة بعدما سقط هذا الصرح العملاق تحت سيطرة الاحتكارات البريطانية و الأمريكية استرده عبد الناصر لمصر.

وفى يوليو ١٩٦١ صدرت القرارات الاشتراكية وبدا واضحًا أن النظام يتجه نحو نوع من الاقتصاد المخطط تحت إشراف الدولة وبقيادة القطاع العام.

وقد استطاعت مصر عبر تلك الإجراءات تحقيق نسبة نمو من عام ١٩٥٧ ـ ١٩٦٧ بلغت ما يقرب من ٧ ٪ سنويا ومصدر هذا الرقم تقرير البنك الدولى رقم [٨٧٠ ـ أ] عن مصر الصادر فى واشنطن بتاريخ ٥ يناير ١٩٧٦.

وهذا يعنى أن مصر استطاعت فى عشر سنوات من عصر عبد الناصر أن تقوم بتنمية تماثل أربعة أضعاف ما استطاعت تحقيقه فى الأربعين سنة السابقة على عصر عبد الناصر.

كانت تلك نتيجةً لا مثيل لها فى العالم النامى كله؛ حيث لم يزد معدل التنمية السنوى فى أكثر بلدانه المستقلة خلال تلك الفترة عن اثنين ونصف فى المائة، بل أن هذه النسبة كان يعز مثيلها فى العالم المتقدم باستثناء اليابان، وألمانيا الغربية، ومجموعة الدول الشيوعية.

فمثلا إيطاليا وهى دولة صناعية متقدمة و من الدول الصناعية الكبرى حققت نسبة نمو تقدر بـ ٤,٥ ٪ فقط فى نفس الفترة الزمنية.

وبدأت مصر مع الهند و يوغوسلافيا منذ بداية الستينيات مشروعًا طموحًا لتصنيع الطائرات والصواريخ والمحركات النفاثة والأسلحة.

وحتى سنة ١٩٦٧ كانت مصر متفوقة على الهند فى صناعة الطائرات والمحركات النفاثة.

وتم صنع الطائرة النفاثة المصرية القاهرة ٣٠٠.

وصنعت مصر أول صاروخين من إنتاجها بمساعدة علماء الصواريخ الألمان ولكن شابهما عيوب فى أجهزة التوجيه.

فى عام ١٩٦٦ كان الفارق بين البرنامج النووى المصرى، ونظيره الإسرائيلى عامًا ونصف لصالح البرنامج النووى الإسرائيلي، ورغم النكسة كانت مصر على وشك تحقيق توازن القوى فى المجال النووي بينها وبين إسرائيل بحلول سنة ١٩٧١.

للأسف الشديد بعد وفاة الرئيس عبد الناصر أوقف الرئيس السادات كل هذه المشاريع ووأدها. ولننظر الآن إلى أى مدى وصلت الهند فى مجال الصواريخ والطائرات والسلاح النووى لندرك مدى بعد نظر جمال عبد الناصر وخطورة مشروعه النهضوى على المشروع الأمريكى الصهيونى فى المنطقة.

وفى يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ كان يوم تدمير لتجربة ومشروع جمال عبد الناصر فى الحرب العدوانية التى شنتها أمريكا وإسرائيل على الأمة العربية لإجهاض مشروع النهضة العربى الذى يقوده جمال عبد الناصر، تلك الحرب التى وصفها الرئيس الفرنسى شارل ديجول بأنها المعركة أمريكية و الأداء إسرائيلى.

وبإلقاء نظرة على أوضاع مصر عقب الهزيمة يتضح لنا الآتى تحمل الاقتصاد المصرى تكاليف إتمام بناء مشروع السد العالى العملاق، ولم يكتمل بناء هذا السد إلا سنة ١٩٧٠ قبيل وفاة الرئيس عبد الناصر.

السد العالى الذى اختارته الأمم المتحدة عام ٢٠٠٠ كأعظم مشروع هندسى و تنموى فى القرن العشرين.

كما تم بناء مجمع مصانع الألمونيوم فى نجع حمادى وهو مشروع عملاق بلغت تكلفته ما يقرب من ٣ مليار جنيه.

وفى ظل النكسة حافظت مصر على نسبة النمو الاقتصادى قبل النكسة.

بل أن هذه النسبة زادت فى عامى ١٩٦٩ و ١٩٧٠ وبلغت ٨ ٪ سنويا.

واستطاع الاقتصاد المصرى عام ١٩٦٩ أن يحقق زيادة لصالح ميزانه التجارى لأول وآخر مرة فى تاريخ مصر بفائض قدرها ٤٦,٩ مليون جنيه بأسعار ذلك الزمان.

تحمل الاقتصاد المصرى عبء إعادة بناء الجيش المصرى من الصفر وبدون مديونيات خارجية كانت المحلات المصرية تعرض وتبيع منتجات مصرية من مأكولات وملابس وأثاث و أجهزة كهربية.

وكان الرئيس عبد الناصر يفخر أنه يرتدى بدل وقمصان غزل المحلة ويستخدم الأجهزة الكهربائية المصرية (ايديال)

كما ترصد تقارير البنك الدولى بعض مظاهر التحول الاجتماعى العميق الذى شهدته مصر مابين عامى (١٩٥٢ ـ ١٩٧٠)

حيث زادت مساحة الأرض الزراعية بأكثر من ١٥٪ .

ولأول مرة تسبق الزيادة فى رقعة الأرض الزراعية الزيادة فى عدد السكان.

لقد كان جمال عبد الناصر أول حاكم مصرى منذ عهد الفراعنة يوسع رقعة وادى النيل

وزاد عدد الشباب فى المدارس والجامعات والمعاهد العليا بأكثر من ٣٠٠ ٪

وزادت مساحة الأراضى المملوكة لفئة صغار الفلاحين من ٢بم١ مليون فدان إلى قرابة ٤ ملايين فدان.

كما حدث تقدم ملحوظ فى مجال المساواة، والعدالة الاجتماعية فى المدن أيضا بفعل الضرائب.

وتم وضع حدود دنيا وعليا للرواتب والمرتبات.

فلا أحد يعيش برفاهة وبذخ ولا أحد يعيش دون مستوى الكفاف.

وقبيل وفاة الرئيس عبد الناصر أتمت مصر بناء حائط الصواريخ الشهير وأتمت خطط العبور وتحرير الأرض العربية كلها وليس تحريك الموقف.

وبقبول الرئيس عبد الناصر لمبادرة روجرز.

استطاعت القوات المسلحة تحريك حائط الصواريخ العظيم حتى حافة قناة السويس.

وبذلك تم إلغاء دور الطيران الإسرائيلى ذراع إسرائيل الطويلة فى الهجوم على مصر غرب قناة السويس

و أصبح اندلاع حرب التحرير،وعبور الجيش المصرى للضفة الشرقية مسألة وقت.

كان الرئيس عبد الناصر يقدرها بزمن لا يتأخر عن أبريل ١٩٧١.

وقبيل وفاة الرئيس صدق على الخطة جرانيت، وهى خطة العبور التى نفذ الجزء الأول منها فى ظهيرة يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣.

كما صدق على الخطة ٢٠٠ وهى الخطة الدفاعية التى تحسبت لحدوث ثغرة فى المفصل الحرج بين الجيشين الثانى والثالث المصرى.

مات الرئيس جمال عبد الناصر و اقتصاد مصر أقوى من اقتصاد كوريا الجنوبية، ولدى مصر فائض من العملة الصعبة تجاوز المائتين والخمسين مليون دولار بشهادة البنك الدولى.

وثمن القطاع العام الذى بناه المصريون فى عهد الرئيس عبد الناصر بتقديرات البنك الدولى بلغ ١٤٠٠ مليار دولار.

ولدى مصر أكبر قاعدة صناعية فى العالم الثالث؛ حيث كان عدد المصانع التى أنشئت فى عهد عبد الناصر ١٢٠٠ مصنع منها مصانع صناعات ثقيلة وتحويلية واستراتيجية.

وتم بناء السد العالى أعظم مشروع هندسى وتنموى فى القرن العشرين باختيار الأمم المتحدة والذى يعادل فى بنائه ١٧ هرمًا من طراز هرم خوفو.

كما تم خفض نسبة الأمية من ٨٠٪ قبل ١٩٥٢ إلى ٥٠٪ عام ١٩٧٠ بفضل مجانية التعليم فى كل مراحل الدراسة.

كما تم دخول الكهرباء والمياه النظيفة والمدارس والوحدات الصحية والجمعيات الزراعية إلى كل قرى مصر.

وتم ضمان التأمين الصحى والاجتماعى والمعاشات لكل مواطن مصرى

كل ذلك بدون ديون

فمصر فى ليلة وفاة الرئيس عبد الناصر كانت ديونها قرابة مليار دولار ثمن أسلحة اشترتها من الاتحاد السوفيتى، وقد تنازل عنها السوفييت فيما بعد ولم يتم سدادها.

ولم تكن عملة مصر مرتبطة بالدولار الأمريكى بل كان الجنيه المصرى يساوى ثلاثة دولارات ونصف، ويساوى أربعة عشر ريال سعودى بأسعار البنك المركزى المصرى.

رحل الرئيس عبد الناصر والجنيه الذهب ثمنه ٤ جنيه مصرى.

وبعد رحيل الزعيم دخلت مصر حرب أكتوبر وهى محكومة بكل آليات النظام الناصرى.

القطاع العام الذى يقود التنمية.

والجيش المصرى الذى بناه عبد الناصر عقب الهزيمة.

وحائط الصواريخ الذى حركه عبد الناصر لحافة القناة قبيل وفاته.

والخطط العسكرية الموضوعة منذ عهده.

لم يكن فيما قام به الرئيس جمال عبد الناصر معجزة أو أمر خارق للمألوف.

بل إن ذلك هو الطبيعى لبلد مثل مصر حباه الله كل المميزات والإمكانيات والثروات ليصبح دولة كبرى.

ومن الإنصاف أن نذكر ونتصور حال الأمة المصرية فى هذا التوقيت الشديد الحساسية. مجتمع يعيش على الكفاف فى دولة خصصت كل مواردها للمجهود الحربى وغياب كثير من السلع الغذائية المهمة لتوقف حالة النقل عبر قناة

السويس بغلقها فور حرب ٦٧ ومجتمع سكانى تقلص من مساحة أرضه الثلث تقريبًا بجانب عملية تهجير ثلاث مدن وهم مدن القناة. السويس والإسماعلية وبورسعيد بجانب المراكز الصغيرة والقرى ومدينتى القنطرة شرق وغرب. ووصل عدد المهجرين مليونى مهاجر، وهو أمر جعل الدولة المصرية تحت ضغوط شعبية لا حدود لها. وقد اتبعت مصر اقتصادًا جديدًا سمى اقتصاد ما بعد النكسة حيث انتهج نظام عبد الناصر خطا للإصلاح الاقتصادى والمالى لمواجهة آثار الهزيمة العسكرية، بل أكثر من هذا والحفاظ على نهجة التنموى المستقل.

حيث شهدت الفترة بين ١٩٦٥ الى ١٩٧٠ إقامة ١٥٥ مصنعًا وارتفعت قيمة الإنتاج الصناعى بالأسعار الجارية من ٦٦١ مليون جنيه عام ١٩٦٠ إلى ١١٤٤ مليون جنيه عام ١٩٦٥ وبعد الهزيمة العسكرية ١٩٦٧ وعلى الرغم من الصعوبات الظاهرة استمرت الزيادة فى الإنتاج الصناعى إلى ١٦٣٤ مليون جنيه عام ١٩٧٠ وإلى ١٨٠٩ مليون جنيه عام ١٩٧١

وفى الفترة من ١٩٦٨ الى ١٩٧٠ ونتيجة لجهود الدولة فى استغلال جميع موارد البلاد تم التغلب بصورة واضحة على الآثار الاقتصادية للعدوان الإسرائيلى وبلغت نسبة الزيادة فى الإنتاج الصناعى وحسب الأسعار السائدة عام ١٩٦٨ (٧٪) وكانت قد بلغت عام ١٩٦٦ قبل العدوان العسكرى (٦ ٪) وقد انخفضت فقط عام ١٩٦٧ إلى (٣ ٪) لتعاود الارتفاع عام ٦٨ إلى السبعة فى المائة

وواصلت الارتفاع عام ١٩٦٩ الى (٩,٢ ٪) وفى عام ١٩٧٠ كانت (٨,٢ ٪) وفى عام ١٩٧١ (١٠,٧ ٪) حيث كانت الدولة ما زالت تسير على النهج الناصرى اقتصاديًا. هذا الأداء للاقتصاد المصرى كان يتم فى ظل خسائر عالية من جراء نسف مصانع منطقة قناة السويس وتسخير معظم الإنتاج الصناعى لسد احتياجات الجيش

أولاً: الإصلاح المالى وميزان المدفوعات

استحدث عقب ١٩٦٧ نظام التمويل الذاتى الذى ينص على أن تقوم كل مؤسسة صناعية باستثمار احتياطاتها لتنفيذ التوسعات اللازمة لها وتطوير

وسائل الإنتاج وتطبيق التكنولوجيا الحديثة فقد كانت (٥٥ ٪) من جملة الاستثمارات فى قطاع الصناعة عام ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ من التمويل الذاتى ويعتبر هذا جزءًا من معالم الإصلاح الاقتصادى والمالى الذى كان يهدف إلى التوسع فى الصادرات وتحسين أقتصاديات مصانع القطاع العام ومن ناحية ثانية مواجهة العجز المزمن فى ميزان المدفوعات وبسبب الصعوبات التى أضافها العدوان العسكرى ٦٧ فنهج النظام فى هذه الفترة سياسة جديدة للإصلاح النقدى تمثلت فى خطين رئيسيين الأول اتخاذ إجراءات لزيادة العائد النقدى من التصدير عن طريق تقليل الهوة بين قيمتى الاستيراد والتصدير الأمر الذى انعكس بدون شك على التبادل السلعى الذى انكمش فى عام ١٩٧٠ إلى (٧,٦٪) بالمقارنة بعام ١٩٦٦ عند ذلك انخفض الاستيراد إلى (٢٦ ٪) بينما ارتفع التصدير إلى ٢٥ ٪

تلك السياسة كان لها نتائجها الإيجابية فى أعوام ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ حيث زادت المعدلات الفعلية للتصدير عن المعدلات السنوية للاستيراد أى منذ الهزيمة العسكرية وحتى وفاة عبد الناصر ١٩٧٠ أما مسار الإصلاح النقدى تمثلت فى أحكام سيطرة الدولة على إنفاق النقد وإدخال نظام الاقتصاد الموجه المتقشف فابتداء من عام ١٩٦٧ وحتى يوليو١٩٧١ تولت المؤسسة العامة للتجارة منح الموافقة النهائية على استخدام المستوردين للعملات الأجنبية وبعد التصديق على كل عملية من المجلس السلعى المختص، وقد أدت هذه السياسة إلى تحسن خطير فى ميزان المدفوعات الذى حقق زيادة لصالحه بمقدار (٥,٢ مليون جنيه) عام ١٩٦٨ ولأول مرة فى تاريخه منذ عام ١٩٥٤. وتعتبر مسألة القضاء على العجز فى ميزان المدفوعات فى ظل ظروف نضالية صعبة للقضاء على آثار العدوان العسكرى "إنجازا مستحيلاً لمصر"

ثانيًا: فى مجال التجارة الخارجية

وقد اتبع سياسة قاسية لخفض الاستيراد وزيادة الصادرات أدى إلى تراجع العجز فى الميزان التجارى بشدة فقد تراجع العجز فى عام ١٩٦٨ إلى (١٩,٣ مليون جنيه) مقابل (٢٠٢,٢ مليون جنيه) عام ١٩٦٦

أما المفاجأة الحقيقية فهى ما حدث عام ١٩٦٩ عندما حقق الميزان التجارى ولأول مرة فى تاريخ مصر بل الأكثر من ذلك أنها بعد النكسة ومواجهة آثارها عندما حقق الميزان التجارى زيادة لصالحة مقدارها (٤٦,٩ مليون جنيه) وربما تلك المرة الوحيدة والأخيرة فى تاريخ مصر حتى الآن وفى عام ١٩٧٠ ظهر العجز مرة أخرى بمقدار (١٠,٩مليون جنيه) ولكنه لم يبلغ أبدا ومنذ الهزيمة العسكرية النسبة التى كان عليها قبل النكسة عام ١٩٦٦ (٢٠٢,٢ مليون جنيه) الأمر الذى يوضح ما بذله النظام لتحسين الأوضاع وتصحيح الأوضاع الاقتصادية

ثالثًا: استخراج البترول

حيث تم التغلب على النقص الذى حدث عام ١٩٦٧ فى مجال البترول نتيجة فقد آبار بترول سيناء وذلك بتشغيل الآبار البحرية بحقل مرجان فى خليج السويس كما زاد هذا الإنتاج باكتشاف حقل العلمين عام ١٩٦٧ وبعد أن كان إنتاج مصر من البترول قبل الهزيمة العسكرية قرابة (٩,٥ مليون طن) فى السنة زاد الإنتاج إلى قرابة (١٤ مليون طن) عام ١٩٧٠ وفى مجال تصدير البترول نقص تصدير البترول عام ١٩٦٧ من مصر الى (٧٥٥ ألف طن ولكنه عاد للزيادة عام ١٩٧٠ إلى (٣,٥ مليون طن)

رابعًا المجال الزراعى

رغم الهزيمة والنكسة والضغوط التى واجت مصر للتخلى عن سياستها الثورية تحت دعوى عدم تنشيط الصراعات الطبقية الداخلية إلا أنه أصدر عام ١٩٦٩ قرارات تحديد الملكية الزراعية بحيث لا تزيد عن ٥٠ فدانًا للفرد ومائة فدان للعائلة الواحدة وكان من أهم خصائص هذه المرحلة الثالثة من الإصلاح الزراعى أنه أمكن ضم أجزاء من الأراضى الزراعية فى شكل تعاونيات بالإضافة

إلى تمليك مزارع حكومية من أجل تحسين وتطوير طرق استزراعها. ففى عام ١٩٦٦ غطت التعاونيات الزراعية قرابة (٧٠ ٪) من السكان المشتغلين بالزراعة وزاد عدد التعاونيات من ١٧٢٧ عام ١٩٥٢ مع أول قانون للإصلاح الزراعى إلى ٥٣٢٣ عام ١٩٧٠

سادساً: استصلاح الاراضى

تم فى الفترة الأولى من الخطة الخمسية الأولى استصلاح ٥٤٦ ألف فدان من الأراضى الجديدة غير أنها لم تستغل بشكل كامل، وفى عام ١٩٦٥/ ١٩٦٦ تم بالفعل استزراع ٣٢٣,٥ ألف فدان من قرابة ٧٣٤ ألف فدان تم استصلاحها حتى يوليو ١٩٦٦ ولكن بعد الهزيمة وفى منتصف عام ١٩٦٨ زاد التوسع فى استصلاح الأراضى الى ٢,٨١٨ ألف فدان وزاد مع بداية ١٩٧٠ إلى ٨٦٣,٣ ألف فدان.

وكان الإنتاج الصناعي لا يزيد عن ٢٨٢ مليون جنيه سنة ١٩٥٢ وبلغ ٢٤٢٤ مليون جنيه سنة ١٩٧٠ مسجلا نموا بمعدل ١١,٤٪ سنويا، ووصلت مساهمته في الدخل القومي إلى ٢٢٪ سنة ١٩٧٠ مقابل ٩٪ سنة ١٩٥٢ ووفرت الدولة طاقة كهربائية ضخمة ورخيصة، وزاد الإنتاج من ٩٩١ مليون كيلو وات/ساعة إلى ٨١١٣ مليون كيلو وات/ساعة وفى عام ١٩٧٠ سنة رحيل ناصر كان مجموع الديون التى تتحملها مصر هو أربعة الآف مليون دولار هى مجموع الدين المدنى والعسكرى، وكان معظمه للاتحاد السوفيتى على أقساط بسعر فائدة ٢,٥ ٪.

وهذه الصورة للديون لو وضعت فى صورتها الحقيقية فإن الدين الخارجى الرئيسى وهو أربعة آلاف مليون دولار يوازن ربع نظيره الإسرائيلى مثلاً مع التباين الهائل فى عدد السكان حينئذ ٣٩ مليون مصرى و٣ ملايين إسرائيلى.

أو بالقياس بالدين التركى فإنه يمثل نصف الدين التركى وإذا تذكرنا أن معظم الديون كانت فى الحقيقة لتمويل مشروعات إنتاج، لوجدنا ان الصورة ليست مخيفة بالمرة أما ما كان يخيف الرئيس جمال عبد الناصر هو الدين قصير الأجل وهو ١٠٤ ملايين جنيه عام ١٩٧٠ وهو دين قروض بتسهيلات مصرفية ولموردين

فى حدود مائة وثمانين يومًا والفوائد عليها عالية، وبالمقارنة والقياس فإن هذا النوع من الديون قصيرة الأجل وصل عام ١٩٧٥ إلى الرقم ١٠٠٤ ملايين جنيه أى أنه من ١٩٧٠ إلى عام ١٩٧٥ تضاعف عشر مرات، وهذا من تقرير رسمى رقم (٨٧٠ أ) عن مصر للبنك الدولى صادر ٥ يناير ١٩٧٦.

وقد كان التضخم عام ١٩٧٠ نسبته فى حدود ٥ ٪ سنويا وفى عام ١٩٧٥ كانت نسبة التضخم ما بين ٢٠ الى ٢٥ ٪ بالرغم من زيادة الدعم العربى فعام ٧٠ لم يكن إلا اتفاقية الخرطوم أما عام ٧٥ قامت الدول العربية علاوة على اتفاقية الخرطوم بدعم لمصر بزيادة ما يكاد يصل إلى ألفى مليون دولار.

عام ١٩٧٠ كان الاستهلاك العام والخاص لمصر بنسبة ٩٠ ٪ وكانت المدخرات الوطنية المتاحة من الدخل للتنمية بنسبة ١٠ ٪ من الدخل القومى.

أما عام ١٩٧٥ وصل الاستهلاك العام والخاص إلى نسبة ١٠١,٥ ٪ أى أن الاستهلاك زاد على الدخل القومى بواحد ونصف فى المائة.

بالإضافة الى تحمل الاقتصاد المصرى تكاليف إتمام بناء السد العالى والذى يعادل فى بنائه ١٧ هرمًا من حجم هرم خوفو والذى لم يكتمل بناؤه إلا عام ١٩٧٠ والذى اختارته الأمم المتحدة عام ٢٠٠٠ كأعظم مشروع هندسى تنموى بالقرن العشرين.

إنشاء مجمع الألومنيوم بنجع حمادى

كأكبر مجمع ألومنيوم بالشرق الأوسط والعالمين العربى والثالث حينها والذى أدرج لأول مرة عند إعداد الخطة الخمسية الأولى ١٩٦٠/ ١٩٦٥ ثم أدرج ثانيا فى ٢٣ يوليو ١٩٦٩ ضمن اتفاقية التعاون الاقتصادى والفنى بين الحكومتين المصرية والسوفيتية المحدد بها بطاقة إنتاجية ١٠٠ ألف طن وفى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٠ اعتمد وزير الصناعة والبترول والثروة المعدنية إنشاء المجمع، وبدأ الإنتاج

الفعلى فى أكتوبر ١٩٧٥ وتم تفويت محاولات إغلاقه والنيل منه مثل تفويت الفرصة على البنك الدولى لإغلاقه فى منتصف الثمانينيات

- إنشاء بنك ناصر الاجتماعى بعد النكسة بالتحديد عام ١٩٦٨ فى وزارة الدكتورة حكمت أبو زيد وزيرة الشئون الاجتماعية والعمل، وهى تعد أول وزيرة فى الحكومة المصرية منذ قيام الثورة، وكان الغرض من إنشاء بنك ناصر الاجتماعى هو مساعدة الفقراء والمحتاجين وخاصة طلاب الجامعات المصرية تلك كانت حالة مصر.

وفى يوم الأحد ١٥ نوفمبر من نفس العام قدمت وزارة دكتور محمود فوزى استقالتها والتى شكلها فى ٢٠ أكتوبر من نفس العام، وقد كلفه السادات بتشكيل الوزارة حتى تتقدم الوزارة الجديدة ببرنامجها إلى مجلس الأمة وفى ١٧ نوفمبر تغير اسم وزارة الإرشاد القومى إلى وزارة الإعلام لحاجة الدولة فى تلك الفترة الزمنية الحساسة إلى إعلام قوى جديد بما يسمى إعلام حرب، وفى اليوم التالى مباشرة الأربعاء ١٨ نوفمبر تشكلت وزارة دكتور محمود فوزى الثانية.

أولا:

- دكتور عزيز صدقى نائبا لرئيس الوزراء للإنتاج والتجارة ووزيرًا للصناعة والبترول والثروة المعدنية
- مهندس سيد مرعى نائبًا لرئيس الوزراء ووزيرًا للزراعة والإصلاح الزراعى
- محمود رياض نائبًا لرئيس الوزراء ووزيرًا للخارجية
- شعراوى جمعة نائبًا لرئيس الوزراء ووزيرًا للداخلية

ثانيا الوزراء

- محمد محمد فائق وزيرًا للإعلام
- كمال هنرى أبادير وزيرًا للمواصلات
- محمد عبدالله مرزبان وزيرًا للاقتصاد والتجارة الخارجية

- مهندس إبراهيم زكى قناوى وزيرًا للرى
- مهندس على زين العابدين صالح وزيرا للنقل
- أحمد مصطفى أحمد وزيرًا للبحث العلمى
- دكتور السيد جاب الله السيد وزيرًا للتخطيط
- دكتور محمد بكر أحمد وزيرًا للاستصلاح الأراضى
- دكتور عبد العزيز حجازى وزيرًا للخزانة
- دكتور محمد حافظ غانم وزيرًا للتربية والتعليم
- دكتور محمد صفى الدين أبو العز وزيرًا للشباب
- دكتور عبد العزيز كامل وزيرًا للأوقاف وشئون الأزهر
- محمد حمدى عاشور وزيرًا للتموين والتجارة الداخلية
- دكتور عبد الوهاب البرلسى وزيرًا للتعليم العالى
- حافظ بدوى وزيرًا للشئون الاجتماعية ووزير دولة لشئون مجلس الأمة
- دكتور عبده محمود سلام وزيرًا للصحة
- محمد سعد الدين زايد وزيرًا للإسكان والمرافق
- سامى شرف وزيرًا لشئون رئاسة الجمهورية
- مهندس حلمى محمد السيد وزيرًا للكهرباء
- محمد حافظ إسماعيل وزيرًا للدولة
- محمد أحمد محمد وزيرًا للدولة
- مهندس حسن فهمى البدوى وزيرًا للعدل
- دكتور أحمد عصمت عبد المجيد وزيرًا للدولة
- دكتور أحمد السيد درويش وزيرًا للسياحة

ـ بدر الدين أبو غازى وزيرًا للثقافة

ـ عبد اللطيف بلطية وزيرًا للعمل

ـ ثالثا ـ نائب الوزير

ـ محمد الخواجة نائبًا لوزير الاقتصاد والتجارة الخارجية

وقد أصدر السادات قرارًا جمهوريًا بتعيين ثلاثة مستشارين لرئيس الجمهورية وهم:

ـ المهندس محمد صدقى سليمان ودكتور ثروت عكاشة وحسن التهامى

كما صدر قرار جمهورى آخر بتشكيل مجلس الدفاع الوطنى من عشرة أعضاء برئاسة رئيس الجمهورية وهم: حسين الشافعى و على صبرى (نائب الرئيس) محمود فوزى (رئيس الوزراء) عبد المحسن عبد النور (أمين الاتحاد الاشتراكى) ومحمود رياض (وزير الخارجية) وشعراوى جمعة (وزير الداخلية) والفريق محمد فوزى (وزير الحربية) وسامى شرف (وزير شئون الرئاسة) وأحمد كامل (رئيس المخابرات) والفريق محمد أحمد صادق (رئيس الأركان).

وهكذا بدأ السادات أول الطريق لبداية حكمه لمصر، وكان الرجل يثير كثيرًا من التساؤلات حول مدى قوته أو مدى خبرته السياسية بعد عبد الناصر، وكانت أول بدايات سياسة الرجل لتقديم رسائل ذات مغزى هو قراره فى ٢٨ ديسمبر الموافق الإثنين بتصفية الحراسات بواسطة لجان قضائية، وقد بلغ عدد الأسر الخاضعة للحراسة ١٤٠ أسرة وعدد الحراسات ١٠ آلاف حالة، كما طلب بتشريع قانون يجعل فرض الحراسة مستقبلا لا يتم إلا عن طريق سلطة قضائية ولحماية مكاسب الشعب الاشتراكية وسلامة أمن الوطن، وهو القرار الذى قد يفهم منه أن سياسة الرئيس الجديد تتجه سريعًا وبشكل منظم للقضاء على الفكر الاشتراكى الذى كان يتبعه عبد الناصر، وأن الرئيس الجديد له اتجاه آخر نحو الغرب ولا سيما الولايات المتحدة الأمريكية لكن الرجل لم يكن يملك القوة الحقيقية التى تجعله يتجه بالدولة المصرية من أقصى اليسار لأقصى اليمين، ولن يتبعه الشعب

ولا يسنده فى معركته الكبرى الخارجية أو معركته الداخلية مع خصومه ممن أطلق عليهم مراكز القوى. ومع بداية عام ١٩٧١ كان الحكم فى مصر قد استقر بعض الشىء وإن كان الشيطان يكمن فى التفاصيل، وهناك صراع مكتوم ما بين السادات ومراكز القوى فى مصر بقيادة على صبرى، والشعب المصرى كله يسمع الشائعات عن الصراعات ويرتجف خيفة أن تطول مدة انتظار الحرب واستعادة الأرض، ودخل العام والسادات يلف جولات فى كل مصر تقريبا ليراه الناس عن قرب، وكانت مصر فى بدايات عهد اجتماعى جديد، وقبل أن ندخل فى تفاصيل الحياة اليومية عند المصريين لابد وأن نعرف جغرافية القطر المصرى؛ حيث كانت جغرافية مصر نهر النيل في أسوان. السد العالي بجنوب مصرحيث انتهى العمل فيه، وتم افتتاحه فى ١٥ يناير ١٩٧١ وتبلغ مساحة مصر قرابة مليون كيلو متر مربع؛ ٩٦٪ من مساحتها صحراء و٤٪ من مساحتها صالح للزراعة والنشاط الفلاحي أي ٣٥٠٠٠ كم مربع.

التضاريس: تنقسم جمهورية مصر العربية من الناحية الجغرافية إلى أربعة أقسام رئيسية هى: وادي النيل والدلتا: مساحته قرابة (٣٣ ألف كم٢) تقريبًا، من شمال وادي حلفا حتى البحر المتوسط؛ وينقسم إلى النوبة الممتدة من وادي حلفا إلى أسوان، يليها الصعيد (مصر العليا) إلى جنوبي القاهرة، ثم الدلتا (مصر السفلى) من شمال القاهرة إلى ساحل المتوسط، وهى المحصورة بين فرعي النيل، فرع دمياط وفرع رشيد؛ وهما الفرعان الباقيان من عدة أفرع ومصبات أخرى للنيل وجدت في عصور سابقة. في أقصى جنوب البلاد توجد بحيرة ناصر (بحيرة النوبة)، وهى بحيرة صناعية نشأت نتيجة بناء السد العالي عند أسوان. أما في الشمال الغربي فتوجد بحيرة قارون في الفيوم وهى إحدى أكبر البحيرات الطبيعية في البلاد، كما توجد على ساحل المتوسط بحيرات ضحلة هى المنزلة والبرلس ومريوط، إلى جانب مستنقعات مساحتها آخذة في التضاؤل نتيجة النشاط البشري منذ أقدم العصور، وإن تسارع مؤخرا.

الصحراء الغربية: تشغل قرابة (٦٨٠ ألف كم٢) تقريبا، وهى الجزء الواقع داخل حدود مصر من الصحراء الأفريقية الكبرى، ممتدًا ما بين وادي النيل في

الشرق حتى الحدود الغربية، ومن البحر المتوسط شمالا إلى الحدود الجنوبية، وتنقسم إلى: قسم شمالي يشمل السهل الساحلي والهضبة الشمالية ومنطقة المنخفضات التي تضم واحة سيوة ومنخفض القطارة ووادي النطرون والواحات البحرية قسم جنوبي يشمل واحات الفرافرة والخارجة والداخلة وباريس وفي أقصى الجنوب واحة العوينات. الصحراء الشرقية: مساحتها قرابة (٢٢٥ ألف كم٢) تمتد ما بين وادي النيل غربا والبحر الأحمر وشبه جزيرة سيناء شرقا، ومن حدود الدلتا شمالاً حتى حدود مصر الجنوبية. تمتد بطولها سلسلة جبال البحر الأحمر يصل ارتفاعها إلى قرابة ٣٠٠٠ قدم فوق سطح البحر وهى غنية بالموارد الطبيعية من خامات المعادن المختلفة.

شبه جزيرة سيناء: مساحتها قرابة (٦١ ألف كم٢) وهي الجزء الأسيوي من مصر وتشكل ٦٪ من مساحة مصر وهي على شكل مثلث قاعدته مماسة للبحر المتوسط شمالاً ورأسه إلى الجنوب ما بين خليجي السويس غربًا والعقبة شرقًا، وتنقسم من حيث التضاريس إلى:

سيناء القسم الجنوبي: وعر يتألف من جبال جيرانيتية مرتفعة، منها جبل كاترينة بارتفاع ٢٦٤٠ مترًا فوق سطح البحر، وهو الأعلى في مصر وتتساقط عليه الثلوج مثل باقي جبال جنوب سيناء، وبعض جبال البحر الأحمر في فصل الشتاء بشهوره الأربعة ديسمبر ويناير وفبراير ومارس. القسم الأوسط: منطقة الهضاب الوسطى وتنقسم إلى هضبة التيه في الشمال وتنحدر أوديتها نحو البحر المتوسط انحدارًا تدريجيًا، وهضبة العجمة إلى الجنوب، وقد جري العرف علي تسمية الإقليم كله بهضبة التيه من قبيل إطلاق اسم الأكبر والأشهر علي الكل، وتشتهر المنطقة بمدينة نخل الحصينة وطريق الحجاج القديم وما تتمتع به مدينة نخل من جو شديد القاري شتاءً، حيث تصل الحرارة الصغرى فيها إلى ٩- الصفر المئوي.

القسم الشمالي: سهل الطينة، المنطقة ما بين البحر المتوسط شمالاً وهضبة التيه جنوبًا وهو سهل منبسط تكثر فيه موارد المياه الناتجة عن الأمطار التي تنحدر مياهها من المرتفعات الجنوبية وهضبات المنطقة الوسطى. المناخ السائد

في البلاد هو الصحراوي وشبه الصحراوي، في حين يسود مناخ البحر المتوسط في السواحل الشمالية، والمداري في أقصى الجنوب، وهى الأرض المحتلة بالكامل منذ هزيمة ١٩٦٧ والتى كانت كل أنظار العالم تتجه إليها عما سيحدث لو استمر الاحتلال الإسرائيلى لهذه الأرض لمدة أطول من ذلك....



الفصل الخامس

حياة المصريين

بنظرة واحدة على المجتمع المصرى فى عام ٧١ يتضح أن الحياة فى مصر فى طريقها لتغيير جذرى. تغيير ليس فى عادات وتقاليد المجتمع. بل فى سيكولوجية المجتمع نفسه. المصريون شعب مضت عليه آلاف السنين وطرق الإنتاج واحدة لا تتغير فلم يظهر فيها طبقات جديدة، ومعنى هذا أن استقرار الطرق الإنتاجية قد أدى إلى استقرار النظم الاقتصادية والاجتماعية وأدى هذا إلى بقاء الطبقات كما هى، لكن نظرا لحالة الحرب التى كان يعيشها المصريون فى تلك الفترة الزمنية وفقدان معشوقهم الملهم جمال عبد الناصر كان عليهم أن ينتبهوا إلى الواقع الذى لن يكون هناك فيه سوى مزيد من العرق والدم والدموع. لذلك أصبح الشعب ينتظر الانتقال من مرحلة هزيمة مادية وهزيمة نفسية إلى مرحلة الشعور بالانتصار، يمكن من خلال تلك الحالة أن تتغير فيه بعض السلوكيات ومستعداً لتغيير جذرى فى المجتمع، وهو ما حدث بعد ذلك بسنوات بعد الانتصار فى حرب اكتوبر ١٩٧٣. أما فى تلك الفترة ومع دخول عام جديد بدون ملهمهم عبد الناصر راح المصريون يدخلون مرحلة جديدة مجهولة المستقبل مع رئيس مجهول الهوية إليهم. لكن حالة الاختبار وإعطاء الفرصة المناسبة للوافد الجديد عليهم هى ما

جعلت الشارع المصرى فى حالة حراك سياسى متزن؛ لأنه يعلم بل تذوق مرارة الهزيمة الآتية بشكل مباشر من سياسة التهور والتى كان فى حرج للنطق بها حبا فى زعيمهم المهزوم، لذلك ظهر أكثر من تيار فكرى وثقافى. كما أن الحياة الفنية بدأت تتعافى رغم سنوات الحرب التى لا تنتهى وفى اليوم الأول من عام ١٩٧١ الموافق الجمعة ٤ ذو القعدة ١٣٩٠ هجرية ٢٣ كهيك ١٦٨٧ قبطية. بدأ المصريون وكان تعدادهم السكانى ٤٣ مليون نسمة يستقبلون العام الجديد المسمى (بعام الحسم) بشىء من التفاؤل وحاولوا جاهدين التعايش مع الأمر الواقع كبداية جديدة. وبدأت بسهرات رأس السنة والتى تحدث عنها المصريون وقتها بأن أسعار السهرات ارتفعت بشكل جنونى نظرًا لحالة الحرب التى تمر بها مصر حيث كانت السهرة فى فندق شيراتون بخمسة جنيهات. والسهرة فى فندق شبرد بثلاثة جنيهات. وفندق الهيلتون بستة جنيهات وكان السبب الرئيسى الذى رفع الأسعار لهذا الحد الجنونى هو رفع الراقصات أجرهن فى حفل رأس السنة حيث أصبح أجر الراقصة ناهد صبرى ٨٠٠ جنيه والراقصة سهير زكى ٣٠٠ جنيه. والراقصة نجوى فؤاد ٤٠٠ جنيه. وذلك فى الليلة الواحدة. مما أصاب المهتمين بتلك الحفلات والمعتادين عليها يشعرون أن الأسعار تسير بشكل جنونى ورغم شكواهم من جنون أسعار السهرة ليلة رأس السنة إلا أن جميع الفنادق قد وضعت على مدخلها منذ الساعة العاشرة مساء لافتة (كامل العدد).....

كما ظهرت فى مصر طبقة جديدة من الفن وبالتحديد فى السينما، وكان روادها نجوم من المخرجين وهم سمير سيف و فاروق الرشيدى و بهى الدين بركات وسيد عبيد وعصام البغدادى وأسامة ملكانى وماهر صادق ومحفوظ عمر و حسين الوكيل وهناء عبد الفتاح و طلعت حمودة وصلاح السقا ومنى مجاهد، وهم مجموعة لامعة من المخرجين تنبأ الجميع فى الوسط الفنى بدخول الفن المصرى طريق جديد بعيدًا عن الكلاسكيات الشهيرة فى فترة الستينيات ولأهمية الكتلة الناعمة فى تحريك الشعب المصرى وافق السادات على مشروع تقدم به الفنانون لتأمين مستقبل الفنانين وبدأ السادات نشاطًا غيرعادى فى مصر، حيث كانت تستعد لاحتفالات افتتاح مشروع السد العالى فى ١٥ يناير وهو اليوم الذى

كان المصريون يحتفلون فيه بميلاد جمال عبد الناصر وخصص الفنانون لهذا اليوم حفلاً غنائيًا خاصًا يحوى ٥٠ أغنية وطنية، وفى هذا العام كانت حياة المصريين اليومية تنذر باستعداد كبير لما هى مقدمة عليه، ويظهر ذلك بوضوح فى سلوكهم اليومى، بل وفى سلوك النظام المصرى الذى ترأسه لتوه محمد أنور السادات، ففى هذا العام وفى شهر يناير تم تخريج الدفعة الأولى من معهد أمناء الشرطة وهى كانت فكرة من أفكار جمال عبد الناصر، وقد تلقوا ١٥٠٠ ساعة تدريب. منها ٣٥٠ ساعة تدريب عسكرى و١٤٤ ساعة رياضة وتربية بدنية و١٢٠ ساعة لاسلكى وقيادة و٤٨٠ ساعة دراسة قانون و١٤٠ ساعة لغات أجنبية و١٤٦ ساعة تدريب سياسى بمعهد ناصر بحلوان و٦٠ ساعة تدريبات ميدانية ٦٠ اختبارًا وامتحانًا وقام اللواء شعراوى جمعة وزير الداخلية بتسليم الدفعة الأولى الشهادات للمتخرجين..

ـ وظهرت من جديد ظاهرة الازدحام فى الشوارع وأصبحت شوارع القاهرة مشكلة بلا حل..

ـ كان سعر علبة السجائر النفرتيتى ٢٥ قرشًا وكذلك الكليو باترا...

ـ التليفزيون المصرى قرر أن يغلق قنواته فى منتصف الليل، وظهرت فى كل الصحف المصرية وفى البرامج التليفزيونية حشد كامل للمعركة، وتحدث السادات ساعتين كاملتين إلى رجال الصحافة والإعلام والفكر والثقافة من أجل الحشد للمعركة...

ـ تم تأجيل افتتاح مدرستين فى كفر الشيخ لعدم وجود تلاميذ...

ـ تم افتتاح كوبرى الجيزة الجديد ...

ـ كما تم اكتشاف بئر بترول جديد بسعة ٥٠ مليون طن زيت ...

ـ وفى كرة القدم حيث كان الدورى المصرى متوقفا بسبب الحرب كانت تقام مباريات ودية دولية ومحلية وفازت مصر على ليبيا ٢/ ١

ـ وكانت مانشيتات الصحف تكتب بنداء الشارع وأهمها نداء (يا سادات سير سير احنا جنودك للتحرير)...

ـ ظهرت تقليعة جديدة بين الشباب وهى السوالف الكبيرة وقد أحدثت ضجة كبيرة بين الأوساط المحافظة فى المجتمع حتى إنها اتهمت بأن وراءها إسرائيل لتفسد الشباب المصرى...

ـ لأول مرة يصل عدد التلاميذ فى المدارس الأجنبية إلى ٢٢ ألف تلميذ...

ـ بدأعملية تهجير أهالى النوبة بعد الانتهاء من مشروع السد العالى...

ـ فى يوم القضاء تم تكريم لأول امرأة حجاب المحكمة للاعتراف بأنهم جزء لا يتجزأمن الحركة القضائية...

ـ وصل عدد السيارات التى دخلت القاهرة ١٢ ألف سيارة جديدة، ووصل عدد السكان فى القاهرة من ٢ مليون و٩٦٠ ألف إلى ٧ ملايين نسمة ووصل عدد السيارات من ٣٣ ألف و٦٠٠ سيارة إلى ٤٥ ألف سيارة...

ـ ناقشت الصحف قضية كانت تشغل الرأى العام، وهى هل يمكن أن تدخل التربية الجنسية إلى مناهج التعليم فى مصر، واختلفت كثير من الآراء حول هذه القضية وتم التأجيل فى اتخاذ القرار...

ـ اتخذ قرار من وزارة الكهرباء بتعميم الكهرباء فى كل أنحاء مصر فى خلال ٥ سنوات...

ـ تم افتتاح كليتين فى جامعة المنصورة وهما كلية طب الأسنان وكلية الآداب... وكان فى وزارة الصحة أزمة كبرى وهى لماذا يهرب الأطباء من العمل فى الريف؟...

ـ تم افتتاح معرض القاهرة الدولى للكتاب فى عامه الثالث فى نفس مقره بأرض الجزيرة وكان يحوى مليون كتاب...

ـ ظهرت الحرب على السجائر حيث خرجت إحصائية تقول إن مصر تنتج ٦٠ مليون سيجارة فى السنة و١٦٠ كيلو جرام تبغ و٩ آلاف جرام معسل و٨٠ جرام نشوق وما بين ١٠ رجال هناك خمسة مدخنون و٢ معسل وما بين ١٠٠ سيدة هناك واحدة فقط مدخنة، وظهر السؤال هل نضع على علبة السجائر والمعسل تحذير (احترس من سرطان الرئة)، (التدخين ضار جدا بالصحة...)

ـ تم إلغاء الأوتوبيس القشاش من القاهرة وزيادة مسافة المحطات إلى ٨٠٠ متر بين المحطات وبعضها...

ـ وافق مجلس الأمة على رفع الحد الأقصى لسن التجنيد إلى ٣٥ سنة...

ـ وافق مجلس الأمة على قرار إنشاء اتحاد الإذاعة والتليفزيون...

ـ قامت أول رائدة فضاء بزيارة مصر وهى الروسية فالنتين تريشكوف، وقد قامت بعدة جولات بالمدارس والجامعات وهى الزيارة التى تتم فى إطار التعاون المشترك بين الاتحاد السوفيتى ومصر...

ـ ظهرت ظاهرة جديدة فى شوارع القاهرة التى تعانى من الزحام الشديد بأن ظهرت عربات الكارو فى الشوارع حتى أصبح عددها فى القاهرة وحدها ٦٢ ألف عربة كارو تسير فى شوارع العاصمة المصرية...

ـ فى خطة النهضة الصناعية التى كان يسير عليها جمال عبد الناصر وكان من ضمنها صناعة السيارات فقد تم إنتاج السيارة فيات ١٢٤ وظهر أول إنتاج لها فى شوارع القاهرة فى مارس من نفس العام...

ـ ككل عام اشتكى طلاب الجامعة من مشكلات كتب الجامعة وغلو سعرها وتأخرها فى الطباعة مما شكل للطلاب أزمة ولجأ البعض من طلاب جامعة القاهرة إلى رئيس الجامعة ووعدهم بحل المشكلة فى أسرع وقت...

ـ أعلنت محافظة القاهرة أن أحياء كل من الموسكى والجمالية بلا شجرة واحدة مما يهدد البيئة بأخطار كبرى تؤثر بشكل كبير ومباشر فى صحة سكان الحيين، ووعدت المحافظة بوضع خطة عاجلة لتشجير الحيين...

ـ بسبب ظروف الحرب ونقص بعض السلع الاستراتيجية من الأسواق المصرية كاللحوم فقد اتجه المصريون إلى الاعتماد على السمك بشكل أكبر ووصل حد الاستهلاك إلى اختفاء الأسماك من الأسواق ...

ـ فى ظل خطة تعميم الكهرباء فى كل أنحاء الجمهورية قامت الدولة بتعيين ١٦ ألف عامل لمشروع كهربة الريف، وقد اتخذت مقرا لها فى منطقة العباسية...

ـ فى التاسع من مارس الموافق الأربعاء توفى البابا كيرلس فجأة بعد استقباله ٥٠ زائرًا مما سبب أزمة معنوية عند الأقباط، وبدأت عمليات التحضير للجنازة وفور الانتهاء منها تم التحضير فى الإجراءات التى تولى البابا الجديد شئون الشعب القبطى، وفى ١٤ نوفمبر تولى البابا شنودة أسقف الشباب كرسى الكرازة المرقسية، وقد شابت عملية تولى شنودة كرسى البابوية كثيرًا من اللغط داخل المجتمع الكنسى لعلاقة شنودة القوية بوزير الداخلية ممدوح سالم وتزكيته عند الرئيس السادات...

ـ طرحت الدولة الدفعة الأولى من سندات الجهاد المرحلة الأولى ب ١٥ مليون جنيه والسند يتراوح سعره ما بين ٥٠ قرشًا و ١٠٠ جنيه وهو ما أدى إلى وضع سياسة اقتصادية شاملة لاقتصاد الحرب...

ـ فى فجر ٢٨ أكتوبر (تشرين الأول) نهض المصريون من نومهم على خبر احتراق الأوبرا المصرية العظيمة، عندما أتت النيران بالكامل على مبناها بعد أن ظلت منارة فنية وثقافية تؤدي رسالتها على مدى ١٠٢ عام منذ أن بناها الخديو إسماعيل في سنة ١٨٦٩ بمناسبة افتتاح قناة السويس.

ـ قضت المحكمة الدستورية بإلغاء قرارات فصل الموظفين والتى صدرت عن غير الطريق التأديبى.

أصدر الرئيس السادات قانون الأوقاف وهو

قانون الأوقاف ١٩٧١

باسم الشعب

رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على المادة ١٤٧ من الدستور

وعلى المرسوم بقانون رقم ١٨٠ لسنة ١٩٥٢ بإلغاء نظام الوقف على غير الخيرات

وعلى القانون رقم ١٥٢ لسنة ١٩٧٥ بتنظيم استبدال الأراضى الزراعية الموقوفة على جهات البر

وعلى القانون رقم ٢٧٢ لسنة ١٩٥٩ بتنظيم وزارة الأوقاف ولائحة إجراءاتها

وعلى القانون رقم ٢٦٤ لسنة ١٩٦٠ فى شأن استبدال الأراضى الزراعية الموقوفة على جهات البر العامة للأقباط الأرثوذكس

وعلى القانون رقم ٤٤ لسنة ١٩٦٢ بتسليم الأعيان التى تديرها وزارة الأوقاف إلى الهيئة العامة للإصلاح الزراعى والمجالس المحلية

وعلى القانون رقم ٦١ لسنة ١٩٦٣ بإصدار قانون الهيئات العامة

وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ١٤٣٣ لسنة ١٩٦٠ فى شأن إدارة أوقاف الأقباط الأرثوذكس

وبناء على ما ارتآه مجلس الدولة،

قرر القانون الآتى

مادة ١ ـ تنشأ هيئة عامة تسمى هيئة الأوقاف المصرية تكون لها الشخصية الاعتبارية وتتبع وزير الأوقاف ويكون مقرها مدينة القاهرة ويجوز إنشاء فروع لها فى المحافظات بعد موافقة مجلس إدارة الهيئة.

مادة ٢ ـ تختص الهيئة وحدها بإدارة واستثمار أموال الأوقاف الآتية:

(أولاً) الأوقاف المنصوص عليها فى المادة ١ من القانون رقم ٢٧٢ لسنة ١٩٥٩ المشار إليه فيما عدا: (أ) الأراضى الزراعية الموقوفة على جهات البر العام والتى آلت إلى الهيئة العامة للإصلاح الزراعى بالقانون رقم ١٥٢ لسنة ١٩٥٧ المشار إليه.

ب ـ الأراضى الزراعية الموقوفة على جهات البر الخاص والتى آلت إلى الهيئة العامة للإصلاح الزراعى بالقانون رقم ٤٤ لسنة ١٩٦٢ المشار إليه.

ج ـ الأوقاف الخيرية التى يشترط فيها الواقف النظر لنفسه ولأبنائه من طبقة واحدة.

د ـ الأوقاف التى تشرف عليها هيئة أوقاف الأقباط الأرثوذكس.

(ثانيًا) أموال البدل وأموال الأحكار.

(ثالثًا) سندات الإصلاح الزراعى وقيمة ما استهلك منها وريعها.

(رابعًا) الأوقاف التى يؤول حق النظر عليها لوزارة الأوقاف بعد العمل بهذا القانون.

مادة ٣ ـ تنتقل إلى مجلس إدارة الهيئة الاختصاصات المخولة للجنة شئون الأوقاف بالقانون رقم ٢٧٢ لسنة ١٩٥٩ وكذلك الاختصاصات المخولة للمجالس المحلية بالقانون رقم ٤٤ لسنة ١٩٦٢ وذلك بالنسبة للبدل والاستبدال والاستثمار.

تؤول الاختصاصات الأخرى المخولة للجنة شئون الأوقاف إلى مجلس وكلاء وزارة الأوقاف منضمًا إليه رئيس مجلس إدارة الهيئة ومستشار من مجلس الدولة ويعتمد وزير الأوقاف قراراته.

مادة ٤ ـ تشكل لجنة بقرار من وزير الخزانة ـ بعد موافقة وزير الأوقاف ـ تتولى تقييم أعيان وأموال الأوقاف التى تختص الهيئة بإدارتها واستثمارها، كما يصدر وزير الأوقاف قرارات بتشكيل اللجان التى تتولى استلام هذه الأموال على أن تمثل فيها وزارة الخزانة والمجالس المحلية والهيئة العامة للإصلاح الزراعى حسب الأحوال ويبين القرار كيفية أداء هذه اللجان لعملها والأسس التى تسير عليها.

مادة ٥ ـ تتولى الهيئة نيابة عن وزير الأوقاف بصفته ناظرًا على الأوقاف الخيرية إدارة هذه الأوقاف واستثمارها والتصرف فيها على أسس اقتصادية بقصد تنمية أموال الأوقاف باعتبارها أموالاً خاصة وتتولى وزارة الأوقاف تنفيذ شروط الواقفين والأحكام والقرارات النهائية الصادرة من اللجان والمحاكم بشأن

القسمة أو الاستحقاق أو غيرها وكذلك مستحقى الأوقاف الأهلية وفقًا لأحكام القانون رقم ٤٤ لسنة ١٩٦٢ المشار إليه وذلك من حصيلة ما تؤديه الهيئة إلى الوزارة.

مادة ٦ ـ على الهيئة أن تؤدى إلى وزارة الأوقاف صافى ريع الأوقاف الخيرية لصرفه وفقًا لشروط الواقفين، وتتقاضى الهيئة نظير إدارة وصيانة الأوقاف الخيرية ١٥٪ من إجمالى الإيرادات المحصلة بالنسبة إلى هذه الأعيان.

وتجنب ١٠٪ من هذه الإيرادات كاحتياطى لاستثماره فى تنمية إيرادات كل وقف، ويكون لمجلس إدارة الهيئة سلطة التصرف فى هذا الاحتياطى بعد موافقة وزير الأوقاف.

مادة ٧ ـ تتقاضى الهيئة بالنسبة إلى الأعيان التى تديرها وانتهى فيها الوقف ١٠٪ من جملة إيراداتها المحصلة كمصاريف إدارة، ١٥٪ كمصاريف صيانة مضافاً إليها ٥٪ من قيمة تكاليف الأعمال الفنية التى يحددها مجلس الإدارة ويؤول صافى الإيراد بعد ذلك إلى وزارة الأوقاف لتقوم بتوزيعه على المستحقين وفقًا لأحكام القانون رقم ٤٤ لسنة ١٩٦٢ المشار إليه.

٨ ـ تصرف الهيئة على صيانة الأموال التى تديرها فى حدود النسبة التى تحصل عليها لهذا الغرض على إنه فى حالة الضرورة يمكن تجاوز الصرف عن هذه النسبة على أن تتحمل الزيادة للمصروفات المخصصة للصيانة فى السنة التالية.

يرحل فائض مصروفات الإدارة والصيانة المشار إليها فى هذا القانون فى نهاية كل سنة إلى حساب الاحتياطى العام للهيئة ويكون لمجلس إدارة الهيئة سلطة التصرف فى هذا الاحتياطى بعد موافقة وزير الأوقاف.

مادة ٩ ـ فى تطبيق أحكام هذا القانون تحل الهيئة محل وزارة الأوقاف والمجالس المحلية والهيئة العامة للإصلاح الزراعى فيما لهذه الجهات من حقوق وما عليها من التزامات تتعلق بإدارة واستثمار الأموال التى تختص بها.

مادة ١٠ ـ الأوقاف الخيرية التى تنشأ بعد العمل بهذا القانون ويكون فيها النظر للواقف ولأبنائه من بعده تظل بعد وفاة الواقف فى إدارة أبنائه من الطبقة الأولى فقط الذين لهم حق النظر على أن يلتزموا بتقديم كشف حساب سنوى إلى الهيئة مع سداد رسم قدره ١٠٪ من أصل الإيراد لصرفها على نواحى البر العام وللهيئة مراقبة صحة تنفيذ شروط الواقف وتتولى الهيئة إدارة واستثمار الأراضى الزراعية التى يؤول إلى وزارة الأوقاف حق النظر عليها بعد العمل بهذا القانون.

مادة ١١ ـ يصدر رئيس الجمهورية قرارًا بتنظيم العمل بالهيئة وتشكيل مجلس إدارتها وبيان اختصاصاته وتحديد العلاقة بين الهيئة وكل من وزارة الأوقاف والهيئة العامة للإصلاح الزراعى والمجالس المحلية، وأوضاع نقل العاملين اللازمين للعمل إليها.

مادة ١٢ ـ يلغى كل حكم يخالف ما ورد فى هذا القانون من أحكام.

مادة ١٣ ـ ينشر هذا القانون فى الجريدة الرسمية، ويكون له قوة القانون ويعمل به من تاريخ نشره.

صدر برياسة الجمهورية فى ٢٠ شعبان ١٣٩١ (١٠ أكتوبر سنة ١٩٧١)

الجريدة الرسمية فى ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٧١ العدد (٤٣)

وأصدر الرئيس السادات قرارًا جمهوريًا آخر، وهو قرار إنشاء الهيئة العامة للرقابة على الصادرات والواردات بقرار رئيس الجمهورية رقم ١٧٧٠ لسنة ١٩٧١ كجهاز خدمي وتنفيذي يقوم بمباشرة الأنشطة الآتية:

أولا: الرقابة النوعية على الصادرات والواردات

ثانيا: إمساك السجلات الآتية:

سجل المصدرين

سجل المستوردين

سجل الوكلاء والوسطاء التجاريين

سجل المكاتب العلمية و الاستشارية

سجل بطاقات استيراد مستلزمات الإنتاج للمصانع

سجل بطاقات التكامل مع السودان

ثالثا: إصدار شهادات المنشأ للسلع مصرية المنشأ والمكتسبة المنشأ المصري

رابعا: نشاط الفرز للمحاصيل الزراعية بهدف تحديد رتب هذه المحاصيل.

ففى بداية الستينيات كان للرئيس جمال عبد الناصر مشروع دولة. بناء دولة حديثة عصرية تعيش على الصناعة و الزراعة والتجارة خارجية كانت أو داخلية ونقل عبد الناصر الدولة المصرية من دولة يعيش اقتصادها بشكل أساسى على الزراعة وبعض الصناعات الخفيفة وبعض المصانع التى بناها محمد على باشا وأدخل عليها كل من حفيده الخديو إسماعيل وسعيد باشا بعض التطورات الطفيفة. ومن بعدها توقفت حالة الصناعة المصرية وتوقف تقريبًا تطورها وإمدادها بأحدث الآلات المتطورة، ومن هنا أيقن عبد الناصر أن دولته ومشروعه الثورى لن يكتب له النجاح إلا من خلال بناء دولة حديثة يقوم اقتصادها فى المقام الأول على الصناعة. فشرع ببناء المصانع وتحسين الطرق وإدخال الاقتصاد الاشتراكى إلى مصر، وكان حال الاقتصاد المصرى عندما تولى الرئيس السادات الحكم. اقتصاد شبه مهترئ وعلى وشك الانهيار لكن الملفت للنظر أن السادات كان واضحًا فى اتجاهه إلى الاقتصاد الحر مع بداية توليه الحكم وهو ما سنراه فى تسلسل الأحداث التى بينت بوضوح نية السادات فى اقتصاد مصر فى مدة حكمه للبلاد فقد كان الاقتصاد المصرى يعتمد على...

ـ الفلاحة: يتنوع الإنتاج الفلاحي بين الزراعي والحيواني، وتحتل مصر الرتبة ٨ عالميا في نتاج الحوامض والرتبة ١٣ في القطن والرتبة ٢٧ في البطاطس، ويتجاوز عدد رءوس الأنعام والأبقار ٨ ملايين. وتتركز الأنشطة الفلاحية على ضفاف نهر النيل حيث تتوفر الأراضي الخصبة ومياه السقي، في حين تنتشر

الفلاحة التقليدية بالمناطق الصحراوية، أما قطاع الصيد البحري فيتنوع بين النهري والساحلي التقليدي، والصيد العصري في أعالي البحار.

- الصناعة: تستفيد مصر من تنوع الموارد الطبيعية إذ تحتل الرتبة ١٦ عالميا في إنتاج الفوسفات، والرتبة ٢٠ في الحديد والنفط، والرتبة ٢٤ في الغاز الطبيعي، وبذلك يتنوع إنتاجها الصناعي بين الصناعات الأساسية كتكرير البترول والصناعة الكيماوية، والصناعات التجهيزية كالميكانيكية وصناعة الأسمنت، والصناعات الاستهلاكية كالنسيج والصناعة الغذائية.

- التجارة الخارجية والخدمات: تتنوع صادرات وواردات مصر بين:

	الصادرات	الواردات
مواد صناعية	٣٩ ٪	٦٤ ٪
مواد أولية	٣٠ ٪	١٥ ٪
مواد متنوعة	٣١ ٪	٢١ ٪

وتشكل الصادرات ٣٩,٦٪ من مداخيل العملة الصعبة، في حين تسهم السياحة بنسبة ٢٦,٥٪ والعمال بالخارج بنسبة ٢٢,٨٪ وقناة السويس بنسبة ١١,١٪.

- يستفيد اقتصاد مصر من عدة مقومات:

- الفلاحة: أسهم سد أسوان جنوب مصر منذ ١٩٧١ في تنظيم استعمال مياه نهر النيل، وبفضل اعتماد تقنيات الري الحديثة وخوصصة الأراضي الفلاحية تم توسيع المناطق الزراعية وتنويع المنتوجات، فأصبحت مصر تحتل الرتبة الثامنة عالميا في تصدير الخضر والفواكه، وبذلك يسهم قطاع الفلاحة بنسبة ١٤٪ في الناتج الداخلي الخام.

- الصناعة: استفادت مصر من وفرة المواد الأولية، وإدخال عدة إصلاحات ليبرالية منذ ١٩٧١ تتجلى في تقوية دور القطاع الخاص في عملية التصنيع، وجلب الاستثمارات الأجنبية، إضافة إلى وفرة اليد العاملة وانخفاض الأجور.

- **السياحة**: تستفيد سياحة مصر من مقومات تاريخية كالأهرامات والمآثر الإسلامية، ومقومات طبيعية من شواطئ وصحاري، وأخرى تجهيزية من مركبات ومنتجعات سياحية، وقد انتعش قطاع السياحة بمصر منذ أزمة الخليج واحتلال العراق.

- **تواجه مصر عدة صعوبات:**

- **طبيعية**: تعاني مصر من ضعف التساقطات وانتشار الصحاري مما يجعل أهم الأنشطة الزراعية تتركز على ضفاف نهر النيل فقط.

- **اقتصادية**: تواجه مصر عجز الميزان التجاري نظرا لارتفاع قيمة الواردات الصناعية، ومن جهة أخرى تعاني من ثقل الديون الخارجية

- **اجتماعية**: تعاني مصر من ارتفاع نسبة البطالة، حيث يتجاوز عدد العاطلين بسبب الحرب مما يزيد من تفاقم ظاهرة الفقر وصعوبة توفير الخدمات الصحية والتعليمية لسائر المواطنين.



الفصل السادس

القوة الناعمة

بخبرة السادات السياسية كان على يقين بأن القوة الناعمة فى مصر لها تأثير كبير على مزاج الشعب المصرى، ولها سيطرة كاملة على تشكيل وجدان الشعب. كان ناصر ماهرًا فى استخدام تلك القوة فى تحقيق مشروعه، وكانت القوة الناعمة سبيلاً لغزوه كل البلاد العربية من الخليج إلى المحيط، ولعل إذاعة صوت العرب كانت خير دليل على كيفية استخدام تلك القوة، لم يغفل السادات ذلك، أما الحياة الفنية التى كان يعيشها المجتمع المصرى فقد تم في منتصف عام ١٩٧١ تصفية مؤسسة السينما بعدما اكتشفت الدولة أنه منذ بداية العام وحتى تاريخه قد تم صرف ١١١ ألف جنيه على أفلام وهمية لذلك تم إنشاء هيئة عامة تضم مع السينما المسرح والموسيقى. وتوقفت الهيئة عن الإنتاج السينمائى مكتفية بتمويل القطاع الخاص، وبدأ انحسار دور الدولة في السينما حتى انتهى تمامًا من الإنتاج الروائى، وبقيت لدى الدولة شركتان فقط إحداهما للأستديوهات والأخرى للتوزيع ودور العرض إلا أن متوسط عدد الأفلام المنتجة ظل ٤٠ فيلما وعدد دور العرض في انخفاض حتى وصل إلى ١٩٠ دور عرض، وكانت السينما فى بداية السبعينيات لم يعد النموذج الأساسي هو نموذج العصامي الطيب الذي

حصل على أمواله من مصادر لا تذكر على الأغلب، وإنما تعود إلى مرجعية دينية تستند إلى (ويرزقكم من حيث لا تعلمون) (وإن الله يرزق من يشاء بغير حساب).. حدث اختلال وفجوة كبيرة بين النماذج الوافدة وبين السلوكيات القديمة، واهتزت النماذج والمعايير في كل شيء لتقدم خليطًا شائها ونموذجًا مسطحًا بلا جذور أو أبعاد... أبطال هذه المرحلة أطلقوا سوالفهم لتصل إلي ما تحت آذانهم، وارتدوا (جاكيتات كاروهات) ملونة وسراويل ضيقة وتتسع نهاياتها (شارلستون) وأحذية ذات كعوب عالية، أما البطلات فلقد صبغن شعرهن باللون الأصفر، وارتدين (جيبات) وفساتين قصيرة تكشف أفخاذهن ليقدموا مشاكل البنت المصرية التي فقدت غشاء البكارة في لحظة ضعف عاطفية حسب مقولة يوسف وهبي الشهيرة (شرف البنت زي عود الكبريت مايولعش غير مرة واحدة).. وفي الواقع فلقد عكست هذه النوعية من الأفلام حالة من الفصام انتابت مجتمعًا تتغير صورته ظاهريًا بصورة تتناقص مع معاييره القيمية التي أصابتها اهتزازات شديدة تصل إلى حد الزلزلة، وتبدي ذلك في أسوأ فترات الإبداع في مصر علي جميع المستويات أدبا وفنا وسينما ومسرح، إعلام مرئي أو مسموع. كانت الصورة التي اخترعتها سينما السبعينيات فيما عدا أقل القليل عن الشباب الذي يرتدي آخر الطرز والفتيات مصبوغات الشعر عاريات الأفخاذ التي يحتل معها فقدان غشاء البكارة الأهمية الكبري هي تقريبًا انعكاس لنفس الحالة الظاهرية لمجتمع منقسم في جميع ممارساته.. ديمقراطية تأتي في مقابل ديكتاتورية عبدالناصر، ولكنها ديمقراطية اخترع الرئيس السادات بخياله الخصب أنيابًا لها، فأصبحت علي حد قوله "ديمقراطية لها أنياب".. يستخدمها علي حد قوله أيضًا في القمع مصرحًا بأنها أقسى من الدكتاتورية"..... منابر تتحول إلى أحزاب، وقد تم تكوينها وتقسيمها من أعلى إلى يمين ويسار ووسط كصورة كاريكاتيرية لحياة حزبية عصرية.. صحافة معارضة بشروط النظام هكذا بدأت السبعينيات... نظام يحاول جاهدًا أن ينسلخ ويتنكر للفترة السابقة عليه (فترة حكم عبد الناصر) وفوضي اقتصادية تسعي لتصفية رأسمالية الدولة المتمثلة في القطاع العام... وطبقة جديدة من البرجوازية البيروقراطية التي

تشكلت داخل القطاع العام، وتمكنت من الحصول على مداخيل ضخمة خلال العمل به حتى شكلت أساسًا مختلفًا لاستغلال هذه المداخيل في حالة فوضى اقتصادية شاملة تزداد فيها الطبقة الجديدة التي تكونت من رحم النظام الجديد ثراء، بينما تخسر الطبقات الشعبية التي كانت قد تمكنت من الحصول على بعض الضمانات الاجتماعية المحدودة مكتسباتها وتزداد فقرًا ومعاناة دون أمل في مستقبل حملته وعود قومية سابقة لم تتحقق، وانكفأ الجميع في محاولة ترميم واقع يسحق أي آمال في تحسين هذا الواقع أو توفير ظروف لحياة أفضل، بدأت السبعينيات بأرض محتلة ورئيس جديد تقع مسئولية تحرير هذه الأرض في صدارة المسئوليات، وحركة شعبية متفجرة تشكل ضغطًا شديدًا دافعًا لمهام وطنية، وشعارات طنانة عن الحرية استخدمها السادات للإطاحة بمن أسماهم مراكز القوى من مساعدي ومستشاري ووزراء عبدالناصر، وفي هذه الظروف بدأت السبعينيات لتعكس حالة هي أقرب ما تكون إلى الفوضى والتشوش بين رحى رأسمالية دولة مع سياسة انفتاح اقتصادي في الوقت نفسه، ديمقراطية صورية (ذات أنياب) تستخدم للتنكيل بالشعب، وحرية مشروطة بإطار النظام، وأحزاب معارضة شكلية ينكل بها إذا مارست أي نوع من المعارضة.

وكان من الطبيعي أن يظهر تأثير ذلك كله في أفلام هذه الفترة.. عكست معها كل هذه التناقضات والاضطرابات وحالة من الازدواجية التي شهدها المجتمع المصري خلال سبعينيات القرن الماضي. ولعله من المناسب أن نستدعي كمقدمة لسينما السبعينيات الأعوام الثلاثة الأخيرة التي أعقبت هزيمة يونية ١٩٦٧. سينما ما بعد الهزيمة كانت السينما المصرية تنسلخ عن الواقع انسلاخًا مخيفًا، وتنصرف عنه إلى المزيد من العزلة عن الشعب، ولقد كان من المفجع حقًا أن صدمة الهزيمة لا تكاد تجد تعبيرًا عنها في أخطر أدوات الاتصال الجماهيرية، فخلال عام ١٩٦٨ قدمت السينما المصرية من بين ثمانية وثلاثين فيلمًا هى مجمل إنتاجها خلال هذا العام، سبعة أفلام عن مشكلات المراهقة، وخمسة عشر فيلمًا عن مشكلات زوجية وعاطفية، وسبعة أفلام مغامرات بوليسية، بينما شكلت الأفلام الكوميدية من مجمل أفلام هذا العام سبعة عشر فيلمًا، وفي عام

١٩٦٩ ومن بين أربعة وأربعين فيلما قدمتها السينما المصرية قدمت ستة أفلام عن مشكلات المراهقة وسبعة عشر فيلمًا عن مشكلات زوجية وعاطفية، وأحد عشر فيلما مغامرات بوليسية، وخمسة أفلام أبطالها راقصات ومطربات ومشكلاتهن وحياتهن الخاصة، ولقد شهد هذا العام، بداية الفيلم السياسي في مصر، لكن الغريب في الأمر أن يظهر في ظل القطاع العام الفيلم السياسي الذي ينتقد ثورة يوليو والطبقة الجديدة، فقدم كمال الشيخ فيلم "ميرامار" المأخوذ عن رواية لنجيب محفوظ الذي ينتقد الطبقة الجديدة من وجهة نظر الإقطاعيين السابقين، حيث يتولي طلبه باشا الذي أدي دوره الممثل يوسف وهبي إدانة الطبقة الجديدة، والكشف عن انتهازيتها بخفة دم واضحة ترسم سخرية ظاهرية عن ملامح عامة بالغة السطحية، ويتم النقد بصورة تعطي إحساسًا بالتعاطف مع أفراد الطبقتين الإقطاعية والرأسمالية القديمتين الذين يتم تقديمهما كضحايا لهؤلاء استولوا علي ميراثهم باسم الثورة.

أما الفيلم الآخر فهو فيلم "شيء من الخوف" إخراج حسين كمال عن رواية للكاتب ثروت أباظة الذي يهاجم الثورة علي نحو رمزي ويصورها علي أنها عصابة من اللصوص وقطاع الطرق اغتصبت السلطة في مصر بالعنف والإرهاب ودون وجود أي أساس لشرعيتها، وعلي الجانب الآخر فبينما انصرف صلاح أبو سيف إلي ميلودراما تجارية ساذجة في فيلم "شيء من العذاب"، قدم توفيق صالح فيلميه الأخيرين في مصر قبل هجرته الغاضبة إلي سوريا ثم العراق والتي استمرت لحوالي خمسة عشر عامًا، وهما فيلما "يوميات نائب في الأرياف" عن رواية توفيق الحكيم ويعبر فيها عن التناقض بين نصوص القانون وتطبيق العدالة في ظل المجتمع الطبقي وفيلم "السيد البلطي" ليقدم صراع صغار صيادي الأسماك ضد تحالف ملاك المراكب، وفي عام ١٩٧١ قدمت السينما المصرية ثمانية وأربعين فيلمًا منها ثمانية عشر فيلمًا عن مشاكل زوجية وعاطفية، وتسعة عشر فيلم مغامرات بوليسية وثلاثة أفلام عن مشكلات الراقصات والمطربات، وفيلمين عن مشكلات المراهقة، لكن ما يلفت النظر حقًا في إنتاج هذا العام أن الأفلام القليلة للغاية ذات القيمة وهى أفلام "الأرض" من إخراج يوسف شاهين

و"الوادي الأصفر" من إخراج ممدوح شكري وفيلم "المومياء" من إخراج شادي عبد السلام تنتمي جميعها سواء من زاوية الموضوع الذي يتناوله أو من زاوية الإخراج والمعالجة السينمائية انتماء وثيقًا وصحيحًا إلي محاولة البحث عن صياغة أسلوبية متقدمة للسينما المصرية، بل إن فيلمي "الأرض" و"المومياء" يعدان من أهم الأفلام في تاريخ السينما المصرية. فيلم "الأرض" المأخوذ عن رواية عبد الرحمن الشرقاوي يقدم قصة الصراع بين الفلاحين المصريين الذين يتشبثون بأرضهم في مواجهة الإقطاعي الذي يتحكم في ري أرض الفلاحين ويستولي علي النصيب الأعظم من المياه لري أراضيه الشاسعة ثم يحاول نزع ملكية أرض بعض الفلاحين في القرية لشق طريق يصل إلي قصره، ويدور صراع عنيف بين الجانبين الإقطاعي بمعاونة الحكومة والقصر الملكي اللذين يساندان نهبه للأرض، والفلاحين الذين يواجهون هذا الإقطاعي ويمني الفلاحون في ثورتهم بالقمع العنيف علي يد السلطات، ويقاومون متشبثين بأرضهم حتي النفس الأخير، وتصور وقائع هذا الصراع بكل أبعاده أن هذه الثورة الفلاحية التي تجري أحداثها عام ١٩٣٣ تكاد تحمل كما يصورها الفيلم كل الأبعاد والخصائص لكل الثورات الفلاحية في التاريخ المصري، وكيف يتشكل الوعي ويكتسب أثناء الثورة مؤكدًا الامكانيات الهائلة الكامنة لدي الفلاحين بتكوينهم المادي والروحي وثرائهم الثقافي القومي المرتبط بالتشبث بالأرض في مواجهة الإقطاع، ومن زاوية المعالجة السينمائية يقدم يوسف شاهين أحد أفضل النماذج في استخدام تراث السينما المصرية نفسه لتوصيل مضمون فيلمه إلي الجماهير العريضة.

إنه يستخدم الميلودراما التي اعتادها المتفرج المصري سواء من مضمون القصص الشعبي عمومًا أو من استخدامها كأسلوب للسينما المصرية منذ أن بدأت، ولكنه يستخدم الميلودراما هنا بوعي شديد لتركيز عواطف المشاهدين تجاه الإقطاع ولتأكيد مشاعرهم علي التشبث بالأرض والموت في سبيلها عندما ينهي فيلمه بقائد الثورة والجنود يجرونه على الأرض بعد أن قتلوه وقد تشبثت يده بالأرض وكادت أن تصبح جزءًا منها، هذا المشهد الذي يترك أثرًا لا يمحي من ذهن أي مشاهد لهذا الفيلم، ومن جانب آخر يرتبط الفيلم بعلاقة حميمة مع

الواقع وبإخلاص شديد له، ليس بشكل ميكانيكي لكن بفهم جدلي للواقع، فالفيلم رغم أنه يدور في الماضي في الثلاثينيات إلا أن دعوته للتشبث بالأرض حتي الموت كانت تأخذ مضمونًا حيا عميقًا في بداية السبعينيات بعد احتلال جزء من الأرض المصرية ووقوعها في يد الاحتلال الإسرائيلي، ومن زاوية الشكل السينمائي المستخدم فإن يوسف شاهين لا يقدم شكلاً سينمائيًا خارجيًا وإنما يحاول أن يوظف عناصر البيئة والتراث نفسه "فكان كثير التوفيق في تكويناته السابقة من صميم القرية.. وكان كذلك مرنا في تطويع الكاميرا لامتصاص إيقاع الحركة في القرية المصرية، ومن جانب آخر يحقق فيلم الأرض معادلة نادرة في السينما المصرية وهي تمكن الفيلم من أن يحقق انتشارًا جماهيريًا وشعبيًا واسعًا حيث كان سادس فيلم من ناحية الإيرادات عام عرضه. وكذلك حقق نجاحًا فنيًا على مستوي العالم عندما عرض في مهرجان كان عام ١٩٧٠. أما فيلم "المومياء" لشادي عبد السلام الذي لا يدين بموهبته لأحد قدر ما تدين لموهبته الكبيرة كمهندس للديكور أفلام مثل "فرعون" لكافاليروفيتش و"الحضارة" لروسلليني فإنه يمضي بعيدًا جدًا في محاولته لإيجاد شكل وصياغة سينمائية مستمدة من التراث التصويري المصري القديم.

ويتناول الفيلم الذي تدور أحداثه في مطلع القرن الماضي الصراع الذي يدور في نفس شاب ورث رئاسة القبيلة بعد وفاة والده شيخ القبيلة واطلع علي سر مصدر حياة القبيلة الذي أصبح مسئولاً عنها، وهو سرقة الآثار، ويدور الصراع في نفس الشاب بين الضرورات المادية التي تشكل مصدر عيش القبيلة، وبين تراث الأجداد وضرورة الحفاظ عليه، لينتصر إلي ضرورة الحفاظ عليه ويشي بسر قبيلته إلى مفتش الآثار فينقذون هذا التراث بينما يهيم الشاب شريدًا في الصحراء، وتكمن أهمية المحاولة والنجاح الكبير الذي يحققه شادي عبدالسلام في تنفيذ فيلمه في أنه يبدو كما لو أن الحياة قد دبت في شخوص الرسومات الجدارية الفرعونية، والفيلم رغم أنه مأخوذ عن قصة حقيقية حدثت بالفعل إلا أن تناولها يتم بأسلوب ملحمي يصيب جل اهتمامه علي جانب الصراع النفسي الداخلي الذي يدور حول التراث الروحي مجردًا إياه من العامل المادي لحياة

القبيلة، إنه فيلم يتحدث عن جوهر شعب وحضارة متصلة لم تنقطع على مدى التاريخ، كما أن الشكل السينمائي المستخدم يقدم محاولة صنع سينما تعتمد علي استلهام الفنون المصرية القديمة، وبقدر ما أعطي المخرج اهتمامًا للشكل المستخدم لصنع سينما قومية، بقدر النجاح الاستثنائي الذي حققه هذا الفيلم في الغرب حيث اعتبر أهم اكتشاف لمهرجان فينيسيا عام ١٩٧١ وحاز على جائزة جورج سادول لأحسن مخرج أجنبي جديد، ومن الملفت للانتباه ما رآه عدد كبير من النقاد الغربيين كمدعاة لحفاوتهم بالفيلم، فمثلاً يكتب لينوميتشكه في "أفانتي": "أن مخرج الفيلم تمكن من الوصول إلى استقلال في اللغة والأسلوب لا سابق لهما في السينما العربية"، ويكتب جون جليت في "سكوتسمان": "أن المخرج له أسلوبه وله رؤيته التي تختلف اختلافًا جذريًا عن الأفلام المصرية التقليدية"، ويكتب جي أنبيبل في "جون أفريك": "أن الفيلم عمل معبر وبليغ ينفصل تمامًا عن تقاليد السينما العربية المميتة الغارقة في الميلودراما، ويكتب لوي ماركوريل في "لوموند" أن الفيلم يختلف تمامًا عن الأفلام المصرية التقليدية والميلودرامية، ويكتب جون رسل تيلور في "سايت آند ساوند" أن المخرج في الفيلم قد عثر وهو يبعث الحياة في الروح المصرية القديمة علي لغة جديدة مدهشة عجيبة خاصة به وربما نحتاج إلي حجر جديد من رشيد لكي نحل شفرة هذه اللغة بالكامل (٦)؛ ولذلك فإن محاولة شادي في فيلم "المومياء" لاستخدام التراث المصري القديم في صياغة لغة سينمائية خاصة تضع يدنا علي ضرورة التعامل مع تراثنا الثقافي القومي في تواصله واستمراره علي مدي التاريخ وليس في مراحل معينة منه فحسب.

أما ثالث هذه الأفلام وهو فيلم "الوادي الأصفر" لممدوح شكري فبقدر شجاعته في الولوج مباشرة إلي حياة قبيلة عربية في الصحراء المصرية وتقاليدها وعاداتها، وبقدر تركيزه علي مقاومة التقاليد التراثية المتخلفة التي تعوق تقدم القبيلة وخضوع أهلها للغيبيات والأساطير الخرافية، بقدر ما يفشل في أن يجد شكلاً سينمائيًا مناسبًا لتقديم موضوعه فتقفز إلى محاولة التجريب المستخدمة الأشكال والمواصفات السينمائية الجاهزة في السينما الغربية مما

أدى إلي ذلك التناقض الحاد بين مضمون الفيلم وشكله ما أفقد القدرة على التواصل مع المشاهدين وسقط سقوطًا شديدًا في توصيل رسالته رغم أهميتها الشديدة. ولقد كانت هذه الأفلام الثلاثة خلال عام ١٩٧٠ أشبه بتحية وداع آسية لفترة تالية من التدهور الشامل والانسلاخ عن الثقافة القومية وتكريس الاستخدام المشوه لها في فترة تقترب كثيرًا في ملامحها من الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية فمع التحولات السريعة التي حدثت في مصر عقب وفاة جمال عبد الناصر المفاجئة في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، والانقلاب داخل السلطة بقادة السادات، توقف القطاع العام في السينما بما يشبه السكتة القلبية عام ١٩٧١، ولقد كانت المحصلة النهائية لفترة القطاع العام في السينما (١٩٦٣ ـ ١٩٧١) ما يلي: استولي منتجو القطاع الخاص علي ٢١١ ألف جنيه من أموال المؤسسة لحساب أفلام علي الورق لم تنتج، كما بلغ إجمالي ديون القطاع الخاص المشكوك فيها من المؤسسة ٧٧٣ ألف جنيه، هذا بالإضافة إلي أنه وجد أحد عشر شخصا مدينين للمؤسسة بمبلغ يصل إلي ١٢٠ ألف جنيه ومع ذلك لم تطالبهم المؤسسة بتسديدها واستمرت في التعامل معهم مانحة إياهم سلفيات جديدة.

وجدير بالذكر أن إجمالي ديون هذا القطاع بلغت خمسة ملايين جنيه (٧). إعادة استنساخ لأفلام الخمسينيات ولقد ساعدت عوامل كثيرة علي ذلك، فعلي مستوي صناعة السينما المصرية التي شهدت تدهورًا واسعًا في هذه الفترة، فلقد وقعت مرة أخري وبالكامل تقريبًا تحت أيدي رءوس الأموال الطفيلية بالمشاركة مع بعض العناصر البرجوازية البيروقراطية التي شاركت بنشاط واسع في نهب القطاع العام حتي إذا ما حققت التراكم الضروري ووجدت الشروط الاقتصادية الملائمة بإعلان سياسة الانفتاح الاستهلاكي علي الغرب الرأسمالي لتستثمر رءوس الأموال التي نهبتها، كما أن المناخ السياسي الذي شهد مدًا رجعيًا واسعًا قد مكنها من أن تحكم قبضتها علي صناعة السينما في مصر، وتؤكد أنماطها القديمة بأشكال أكثر سفورًا وابتذالاً وبينما تزداد معاناة الجماهير الشعبية في مصر ويعانون من ظروف اقتصادية ومعيشية طاحنة، تزداد الهوة بين السينما المصرية والواقع اتساعًا، وتكتسب الرأسمالية الطفيلية ملامح أكثر شراسة

يعكسها الإنتاج السينمائي المصري في تلك الفترة ومن أهم الأفلام التى انتجت كذلك. فيلم الاختيار من إخراج يوسف شاهين وبطولة سعاد حسنى وعزت العلايلى وفيلم الخيط الرفيع لفاتن حمامة ومحمود ياسين وفيلم ثرثرة فوق النيل عن رواية نجيب محفوظ بنفس الاسم وبطولة عماد حمدى واحمد رمزى وماجدة الخطيب وميرفت أمين وعادل أدهم وفيلم أجازة نصف السنة لماجدة الصباحى وفيلم السراب لنور الشريف وماجدة وفيلم بنات فى الجامعة بطولة شكرى سرحان وسهير المرشدى وعادل إمام، وفيلم فجر الاسلام لمحمود مرسى وسميحة أيوب. وفيلم زوجتى والكلب لمحمود مرسى وسعاد حسنى ونور الشريف وخطيب ماما لنبيلة عبيد وأحمد مظهر ومديحة يسرى. أما فى عالم المسرح فقد كانت فرقة تحية كاريوكا تقدم مسرحية اوبريت ياسين ولدى على مسرح ميامى بطولة تحية كاريوكا وشكرى سرحان وعبد الغنى قمر وأحمد عبد الحليم والغناء لعفاف راضى والالحان لبليغ حمدى ومن اخراج كرم مطاوع ومسرحية هاللو شلبى البطولة والإخراج لعبد المنعم مدبولى وسعيد صالح ومديحة كامل، وكان الظهور الأول للفنانين احمد زكى، ومحمد صبحى فى أدوار صغيرة.. ومسرحية النجمة الفاتنة لفؤاد المهندس وشويكار وتأليف بهجت قمر، أما الحالة الغنائية فقد قدمت أم كلثوم أغانى الحب كله لأحمد شفيق كامل وتلحين بليغ حمدى وأغنية القلب يعشق كل جميل وغداً ألقاك للهادى أدم وتلحين محمد عبد الوهاب... بينما غنى عبد الحليم حافظ أغنية موعود من تأليف محمد حمزة وتلحين بليغ حمدى وأغنية الهوا هوايا من تأليف عبد الرحمن الأبنودى وتلحين بليغ حمدى والتى غناها فى تونس وأغنية مداح القمر لبليغ حمدى. وقد تعرض عبد الحليم لثلاث حالات نزيف سافر على أثره إلى لندن للعلاج، أما فريد الأطرش فقد قدم اغنية اول همسة فى حفلة عيد الربيع وأغنية سنة وسنتين وفى افتتاح السد العالى قدم المطربين المصريين والعرب ٥٠ أغنية منهم شادية وردة الجزائرية وصباح ونجاة وعبد الحليم حافظ... أما فى عالم كرة القدم. فقد كانت بطولتا الدورى والكأس متوقفتين تماماً بسبب ظروف الحرب، وكان منتخب كرة القدم يلعب مباريات ودية أولها مع منتخب ليبيا، وفازت مصر بهدفين لهدف فى خمس

دقائق سجل الأهداف على أبو جريشة وحسن الشاذلى. وفى النادى الأهلى قدم صالح سليم استقالته مدير الكرة من وظيفته اعتراضا على عدم وجود خريطة محددة يسير عليها النادى... تلك حال المصريين فى حياتهم اليومية والاجتماعية خلال عام ١٩٧١ وهى حياة تقترب من البؤس الذى فرضه واقعهم المرير من طول فترة انتظار الحرب واستعداد الدولة لخوض حرب شاملة مع إسرائيل لرد الاعتبار المعنوى والنفسى الذى انهار من جراء هزيمة ٦٧ ودخل الاقتصاد المصرى حالة الحرب، وأصبح على وشك الانهيار التام لتخلى الدولة عن النهضة الصناعية وتوقف السياحة بالكامل وأصبحت مواردها محدودة وبأى حال يعيش المصريون واقتصادهم اقتصاد حرب...

الفصل السابع

مصر تتغير

قبيل شهر أغسطس ١٩٧١ بيومين جرت حركة مثيرة بشركة الحديد والصلب فى حلوان أكبر تجمع للعمال الصناعيين فقد احتجز عمال الشركة المذكورة رئيس اتحاد نقابات العمال حينذاك صلاح غريب ليلة بأكملها حتى تجاب مطالبهم، وقد هتفوا فى وجهه "انت بتاع السلطة" أى أنهم اتهموه صراحة بأنه عميل للنظام وحدث أن لجنة وحدة الاتحاد الاشتراكى فى الشركة قد اتخذت موقفًا سلبيًا من الحادث وكانت المطالب فى البداية طلبات متواضعة ذات شكل اقتصادى فئوى ولكن مضمونها السياسى قد ارتبط على الفور بالحوادث التى راجت الشائعات من حولها فى أبى كبير وكمشيش رغم بعد المسافة بين البلدين فقد كان المضمون السياسى متقاربًا وهو انتقام أجهزة الأمن وبقايا الإقطاع من أية عناصر لها تاريخ فى مقاومة القهر والظلم الاجتماعى، والفارق بينهما كان أن القوى الطلابية التى واجهت السلطة فى أبى كبير، بينما كان الفلاحون هدفها فى كمشيش فى هذا المناخ اعتصم عمال حلوان حول مجموعة من الأهداف الاقتصادية شكلا وإن لم تخل من بريق سياسى فاقتصرت مطالبهم على تحديد ساعات العمل ورفع الأجور والمشاركة فى صنع قرارات الإنتاج أى الاشتراك الفعلى فى إدارة المصنع

وعدم تدخل الأجهزة الحكومية وعناصرها فى أية انتخابات مهنية أو سياسية، ولم تجد السلطة مفرا من قمع الإضراب بالقوة فاعتقلت حوالى ثلاثة آلاف عامل وما إن وصل الخبر إلى عمال شبرا الخيمة الضاحية الصناعية الكبيرة ذات التقاليد العريقة فى العمل السياسى المنظم حتى قامت مظاهرة ضخمة قمعها رجال الشرطة بمساعدة قوات من الجيش، واعتقل منها عددًا كبيرًا من العمال المتظاهرين، فى هذا الوقت خطب السادات قائلا أصارحكم القول إننى لو علمت بما وقع وكيف عومل رئيس اتحاد العمال الذى انتخبه العمال أنفسهم، لو علمت بذلك فى حينه لكان لى تصرف آخر وإجراءات أخرى ولكن وزير الصناعة ووزير الداخلية رأيا أن يحلا الموضوع قبل عرضه على وختم بقوله إن أسلوب الاعتصام والإضراب ليس أسلوبًا ديمقراطيا ولا يمكن أن يكون مقبولاً من التنظيم السياسى ولا فى سلطة الدولة ولا يمكن للدولة ولا لسلطة الدولة أن تخضع لمثل هذه الأساليب فى الاستجابة لأى مطالب..

غير أن القاهرة فوجئت ربما لأول مرة فى تاريخها بعد هذا الخطاب بأقل من ثلاثة أشهر بإضراب مثير يوم ١١ نوفمبر ١٩٧١ هو إضراب سائقى التاكسى، وقد بدأ الإضراب فى السابعة صباحا عندما تجمع أكثر من مائتى سائق فى دار نقابتهم وقرروا الإضراب عن العمل احتجاجًا على أحكام السجن التى صدرت ضد تسعة منهم ثبت امتناعهم عن توصيل الركاب وفى الوقت نفسه بدأ عدد من السائقين فى منع أية سيارات تاكسى لم يأخذ سائقوها علمًا بالإضراب أو أنهم تجاهلوه من السير فى شوارع القاهرة والجيزة أما الحقائق التى نشرتها الأهرام فى حينها فهى ان انتخابات نقابة السائقين أفرزت تشكيلاً جيدًا نوعًا ما فى اللجنة النقابية والنقابة العامة، وقد اشتركت المباحث وأمانة العمال بالاتحاد الاشتراكى فى تشجيع الحركة لعمل انقلاب مضاد للتشكيل الجديد غير أن السلطة كالعادة تدخلت باعتقال مائة سائق (الأهرام ١٢ ـ ١١ ـ ١٩٧١) ثم بلغ عدد المقبوض عليهم ١٤٩ سائقًا واستمر حبس ٩٢ سائقًا وبقى فى الحبس بعد ذلك ٢٢ سائقًا. وما لبث أن وقعت أحداث مثيرة تحمل فى طياتها كثير من الألغاز السياسية التى لم يفهمها الناس وقتها كانت تلك الأحداث والمفاجآت من

عام ١٩٧١ الى عام ١٩٧٢ وهى ظاهرة الحرائق المتتابعة والتى بلغت خلال عام واحد ٢٨ حريقًا أشهرها احتراق دار الأوبرا فى ذكرى ميلادها المئوى على وجه التقريب وهى الدار التى بناها الخديو إسماعيل فى قلب القاهرة كمظهر حضارى يدل على التمدن والارتباط الثقافى بالغرب وقد افتتحها بأوبرا عايدة للموسيقار الإيطالى فيردى وكانت الدار الأوبرالية الوحيدة صاحبة التاريخ فى الشرق وقد وقف المصريون فى الساحة المسماة باسمها ميدان الأوبرا متشحين بالسواد لا يصدقون أعينهم وقد غطى الدخان الأسود الهيكل الخارجى للبناء، ولا ريب أن الكثيرين ممن تفجرت عيونهم بالدموع فى ذلك اليوم الكئيب لم تتجاوز أقدامهم أعتاب هذا البناء يومًا لكن الشعور العام كان الحزن والاكتئاب على حدث قومى فاجع ولم يهتم الناس بالتحقيق الذى لم يسفر عن شىء والذى كاد أن ينال خفيرًا متواضعًا يحرس المكان بالنوم فيه لولا أن جاء التقرير الفنى ليقول أن ماسًا كهربائيا هو الذى أشعل النار غير أن أحدًا لم يصدق بيان الخبراء والمهندسين وأساتذة الجامعة خاصة وأن الدار المحترقة تبعد عن المركز الرئيسى للإطفاء بما لا يزيد عن بضع عشرات من الأمتار حيث تقع إدارة المطافئ بأجهزتها فى ميدان العتبة الخضراء المجاور. وقيدت القضية ضد مجهول وهو ما لم يكلف الناس عناء الضحك الساخر وتأليف النكات كما درج الحال فى حرائق متشابهة لم يكن السؤال الشعبى عمن يكون الفاعل المجهول بل عن (المجهول القادم). إذ وثب من أعماق اللا شعور الجمعى أحاسيس غامضة تذكر العقل الواعى بحريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ولم يعرف الجانى وقتها لكن مع تراكم الأحداث وتتبعها عبر الزمن تأكد لدى الناس أن الحرائق من صنع الأخوان المسلمين إذ تلك الطريقة الدائمة للإعلان عن موعد ظهورهم من جديد ومع تتبع الأحداث منذ حادثة حريق القاهرة كان الأخوان فى تحالف قوى مع الضباط الأحرار والاثنان يخططان لثورة ضد الملك وإن كان هدف الفريقين مختلفًا الإخوان يريدون السلاح والقوة من أجل الاستحواذ على السلطة بعد القضاء على الملك الطاغية والذى نسب إليه الأخوان مقتل الإمام حسن البنا انتقاما لقتل النقراشى باشا والفريق الآخر وهم الضباط الأحرار كان يريد فقط الشعبية الطاغية للأخوان

والحشد الكبير الذى يستطيع الأخوان أن يفعلوه مع قواعدهم فى وقت قصير وأعلن الأخوان عن قدومهم بحرق القاهرة وبعد مرور عشرين عامًا فعل الأخوان نفس الشىء فى إشعال الحرائق فى أكثر من مكان فى القاهرة والمحافظات فقد كان السادات الذى يميل إلى اليمين ويضمر الكره لليسار وللشيوعيين وأتباع عبد الناصر والذى قام فى العام نفسه باعتقالهم فيما ما يسمى ثورة التصحيح فى ١٤ مايو ١٩٧١ أو كما يطلق عليها اليسار انقلاب مايو أو مؤامرة مايو استغل السادات الخلاف الأيديولوجى ما بين الأخوان واليسار ودعم بقوة التيار الدينى لم يكن الهدف فقط مواجهة التيار الشيوعى أو بقايا الناصريين كما ادعى السادات نفسه لكن بامتداد الخيط إلى آخره نجد بما لا يدع مجالاً للشك أنها كانت مناورة أخرى من السادات ورسالة يرسلها إلى الأمريكان لمحاولة التقرب إلى جانب الغرب وقطع رجل الاتحاد السوفيتى فى المنطقة فبعد مرور الزمن من الأحداث التى نسردها نجد أن عبد الناصر كان صاحب الفضل فى انهيار إمبراطوريتين هما الإنجليز والفرنسيين بعد حرب ٥٦ الشهيرة؛ حيث ساندته أمريكا وأمرت بسحب الثلاث دول جيوشها عن مصر وتسلمت الولايات المتحدة الأمريكية زمام قيادة العالم من الإنجليز الذين لم يجدوا غضاضة فى ذلك مطلقًا بل قاموا بتسليم كل ملفات المنطقة والخطط المستقبلية للأمريكان بعدما ساعدت المخابرات الإنجليزية فى تكوين المخابرات المركزية الأمريكية (ال CIA) وكما ذكرنا من قبل فقد كان الأمريكان يخططون منذ أن تولى أيزنهاور الرئاسة الأمريكية أن تدخل مصر فى حلف إسلامى يضم كل من تركيا وإيران وباكستان والعراق بما سمى بحلف بغداد لكن عبد الناصر عطل المشروع لأنه يتعارض مع مشروعه القومى العروبى الذى يرتكز على الوحدة العربية بما سمى بعد ذلك بالتجربة (الناصرية) أو الحركة القومية العربية والتى حاول الغرب بكل الطرق وحتى وقتنا هذا القضاء على ذلك المشروع بل وتتبعه عبر السنين حتى بعد وفاة عبد الناصر نفسه كى لا يرى النور أبدًا فليس صدفة أبدًا أن يقوم السادات بثورة التصحيح فى الوقت نفسه الذى رحلت فيه المقاومة الفلسطينية إلى لبنان، وهو الأمر نفسه الذى تكرر بعد أربعة أعوام يوم ١٣ أبريل ١٩٧٥ فى لبنان قبل أربعة

أشهر من توقيع اتفاقية سيناء الثانية. كان هناك ثورة عالمية ضد العرب فى مصر ولبنان وقد أنجزت الاستراتيجية الأمريكية الإسرائيلية بواسطة أجهزة الأمن لا عبر الأجهزة الدبلوماسية أو الدولية وقد انعكست هذه الواسطة على أسلوب الحل لما يسمى بأزمة الشرق الأوسط من مفاجآت ومناورات ومن أبرزها مفاجأة زيارة القدس المحتلة ومقررات كامب ديفيد ومناورات التخاصم والتصالح الإسرائيلى الأمريكى والاقتراب فالتباعد من الاتحاد السوفييتى، والانتقال من الوطن القومى والحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى إلى المجلس الإدارى للحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة..

ماذا كان المطلوب من مصر؟

لقد وضح جليًا أن المخطط الذى تبناه كل الأطراف اللاعبة فى المنطقة هو تصفية الجيش والاقتصاد والتراث النفسى عند رجل الشارع، وهو ما كان واضحًا فى المخطط الإسرائيلى والأمريكى أما المخطط المصرى الذى قاده السادات وكان يرسل به إلى الأمريكان هو منع أى حرب والموافقة على معاهدة روجرز وحل القضية سلميًا غير أن الأمريكان لم يكونوا على يقين من قوة السادات وقوة سيطرته على زمام الأمور فى مصر. وقد تكررت المحاولة ـ الجادة هذه المرة ـ بعد اتفاقية كامب ديفيد والتى كان من أهم شعارها التى رفعها السادات منذ زيارة الكنيست وخطابه الرنان هناك بأن تكون حرب أكتوبر هى آخر الحروب فى الشرق الأوسط وآخر الحروب ما بين مصر وإسرائيل وهى المقولة التى ظلت تتردد من بعد رحيل السادات المفاجئ ـ هو الآخر ـ ورردده من بعده مبارك. لكن السادات فى وقت توليه السلطة وبعد موت ناصر ـ المفاجئ ـ أرسل نيكسون اليوت ريتشاردسون أحد مساعديه لحضور جنازة ناصر والتقى ريتشاردسون السادات وهو ملازم الفراش بعد إصابته بانهيار أثناء مراسم الجنازة الأمر الذى دعم الاعتقاد بأنه لن يستمر فى الرئاسة لأكثر من أسابيع وأنه ليس بإمكان أحد أن يتنبأ بما سيحدث بعد ذلك، وقد توقع السادات بأن تقرير ريتشاردسون هو السبب فى عدم تحمس نيكسون لمبادرات السادات الأولى، فقد قال السادات فى مذكراته أنه أغمى علىَّ فى الجنازة وعالجه الأطباء بخمس حقن أفاق بعدها

بساعات وكان أول من وقع عليه نظرى ريتشاردسون الذى قدموه لى على أنه وزير من الحكومة الأمريكية جاء ليقدم واجب العزاء فشكرته وأنا فى الفراش ثم ضربت له موعداً بعد ذلك فجاء ومعه اثنان من خبراء الشرق الأوسط وأجرينا حديثًا طويلاً وقد كتب هيكل فى كتاب الطريق إلى رمضان أن الاتصالات المبكرة بين الرئيس السادات والإدارة الأمريكية لم تكن تمر عبر الجهاز الدبلوماسى بل عبر جهاز المخابرات. وقد نشرت جريدة الواشنطون بوست فى يناير ١٩٧٧ عن علاقة الرئس السادات بالوكالة المركزية الأمريكية للمخابرات الأميركية فإنه لم يعد من السهل استبعاد جهاز الأمن الأمريكى عن أحداث الشرق الأوسط. فقد كان التخطيط الاستراتيجى العالى فى تل أبيب وواشنطن منذ العدوان الثلاثى عام ٥٦ هو صياغة التحالف الغربى الصهيونى صياغة جديدة تمكن الدولة العبرية من التوسع الإمبراطورى فى المشرق العربى وتمكن الدولة الفارسية من التوسع الإمبراطوزى فى الخليج العربى، وتمكن الاستعمار الأمريكى الجديد من فرض سلطاته الإمبراطورى من الشرق الأدنى إلى الشرق الاقصى وكان التخطيط الاستراتيجى المتوسط هو ربط هذه المنطقة الشاسعة بسلسلة من الأحلاف العسكرية الصديقة لحلف الاطلسى من شأنها تطويق الاتحاد السوفيتى والمعسكر الاشتراكى وأية مفاجآت راديكالية محلية وكان مشروع أيزنهاور لملء الفراغ فى الشرق الأوسط هو التطبيق التكتيكى لهاتين الاستراتيجيتين بعد تدخله لإجلاء البريطانيين والفرنسيين وإسرائيل من مصر. إذن التحالف المطلوب من هذه المنطقة هو تحالف إسلامى مضاد لأية حركة شيوعية ولا يربط التحالف أى جغرافيا أو عرق أو حتى لغة.

ويمكن هنا أن نستدل على استعانة السادات بالأخوان وبالتيار اليمينى فى مصر كبادرة أخرى للتلويح للأمريكان بأنه حسن النية فى ما تريده المخططات الأمريكية دون عرقلة. لكن فى نفس الوقت دون أن تنتهك مصر جغرافيًا أو تاريخيا أى بتحرر الأرض كاملة لمواجهة الشعب ولشعوب العالم العربى وقد يفسر كثيرون أن السادات اتجه ذلك المسلك من أجل مصلحة بلاده وفريق يرى أنه

ضمن مخطط قديم بدأ التنشين عليه ـ أى السادات ـ بعد أول زيارة له للبيت الأبيض وقع فيه فريسه أو اعتبرها هو غنيمة وتحقيق مجد شخصى يتماشى مع التحليل النفسى للسادات كما ذكرنا فى فصل سابق، وأيًا كانت النتيجة إلا أنه هناك حقائق تمت أمام أعين الشعب المصرى وأمام العالم.

ففى بداية جلوس السادات على السلطة كان كبطل المسرح فى المسرح المصرى وهو افتعال هرج ومرج تمهيدًا لظهور البطل، وهى البدعة التى ابتكرها نجيب الريحانى فى مسرحه مع ابتداع لازمة اخرى وهى الخبط بخشبة ثقيلة على أرض المسرح ثلاث دقات بعد عدة دقات متتالية سريعة إيذانا ببدء المسرحية، ولا يخفى على أحد فى تلك المناسبة لوع السادات بنجيب الريحانى حتى أن الفليم الذى ذهب إليه وقت اندلاع الثورة كان لمشاهدة فيلم (لعبة الست)!!!

المسرح كان معدا لدخول البطل وكان على البطل أن يشحن الأجواء ويحضر رجاله من يساندونه ويتخلص من خصومه فى أسرع وقت ولم يكن هؤلاء الخصوم يملكون أى نوع من المهارة السياسية أو الفكر والخيال التآمرى أو حتى الشعبية الكافية للقضاء على لاعب ماهر سياسيًا فى حجم السادات الذى كان يطلق عليهم (الأغوات) أى رجال القصر الذين يظنون أن وجودهم حول الملك يمكن لهم أن يتولوا الملك بعد مماته ناسين أن وجودهم وقوتهم مرتبطة فى الأساس بالملك نفسه لذلك لم يجهد السادات نفسه فى القضاء عليهم نزهه سياسية ومؤامراتيه يجيدها السادات وهم قليلو الحيلة والخبرة والحنكة ويمتلكون من الغرور ما أضاعهم فى أقل من ساعة ودخلوا إلى غياهب السجن..

الطريق بدأ فيه السادات بإعلان عن مخططه ومساعديه من الفريق السياسى المناسب وما يرضى الغرب الأمريكى والغرض والهدف من اختياراته إرسال رسائل سرية بكود يفك شفرتها من هم على الخط الآخر من الاستقبال، وكانت البداية فى المشهد أن الدراماتيكيان الذى أقدم عليهما السادات مع بداية السبعينيات حين قرر الرئيس السادات هدم معتقل طره كرمز لتحطيم معسكرات الاعتقال الناصرية وعدم العودة إلى عهد الإجراءات الاستثنائية وحين توجه وزير

الداخلية ومعه حشد من الصحفيين المصريين والأجانب ليشاهدوا حرق الأشرطة التى سجلت عليها أجهزة الأمن الناصرية الأحاديث الخاصة لبعض الشخصيات ولم ينتبه أحد حينذاك إلى الظاهرة المزدوجة فى المشهدين شقها الأول أن الهدم الرمزى لسجن طره الذى يقع جنوب القاهرة وشمال ضاحية حلوان لم يكن يعنى مطلقًا أن السجون فى مصر تحولت إلى حدائق بل كان يعنى الإفراج عن بقايا (الإخوان المسلمين) الذين كانوا قد حبسوا بموجب أحكام قانونية منذ عام ١٩٦٥ على إثر محاولاتهم المسلحة لاغتيال عبد الناصر، وكذلك الإفراج عن بعض الجواسيس الإسرئيليين والمصريين وعن الكاتب المصرى الصحفى مصطفى أمين الذى كانت أحدى المحاكم قد أصدرت بحقه عام ١٩٦٥ حكمًا بالسجن لمدة ١٥ عامًا لاتهامه بالتخابر مع أجهزة الأمن الأمريكية. أما الشق الثانى فى الظاهرة أن الحرق الرمزى لأشرطة التسجيل المباحثية قد برهنت بالدليل الدامغ على أن التنصت الذى كانت تمارسه أجهزة الأمن الناصرى كان من نصيب الغالبية الساحقة من الشخصيات الديمقراطية واليسارية حتى أن الكاتب اليسارى لطفى الخولى وزوجته والسيدة نوال المحلاوى سكرتيرة محمد حسنين هيكل حتى عام ١٩٧٠ وزوجها قد دخلوا السجن عدة شهور ولم يفرج عنهم إلا بعد وفاة عبد الناصر بموجب تسجيلات صوتية مارستها الأجهزة لزيارة عائلية ضمت الأربعة..

جوهر المشهدين لم ينتبه إليه الكثيرون فى الوقت المناسب كان هناك تواز محكم فى القرارات والإجراءات منذ بداية انقلاب مايو فالمبادرة التى قدمها السادات للعالم فى فبراير ١٩٧١ وقانون الاستثمار العربى والأجنبى الذى صدر فى سبتمبر ١٩٧١ ليسا منفصلين عن بعضهما. المبادرة الأولى تؤكد الانفتاح السياسى على الغرب وإسرائيل، وكانت المبادرة الثانية بداية الانفتاح الاقتصادى وقبل الاستغناء عن الخبراء السوفييت عام ٧٢ بداية الانفتاح العسكرى...

الفصل الثامن

الإخوان المسلمون

كانت جماعة الإخوان هى إحدى الطرق واحدى الأسلحة التى يستخدمها السادات لمواجهة خصومة وكان الطرفان على مصلحة واحدة وإن اختلفت الأيديولوجيات، السادات يراوغ والإخوان يريدون العودة للحياة بعد سبات عميق وهروب من الجحيم. الإخوان من تاريخ وجود السادات فى الحكم وهم لاعب أساسى فى المشهد السياسى وإن كان تأخر ظهورهم علنًا لحالة الحرب التى تعيشها البلاد؛ لذا توجب علينا بأمانة علمية أن نعاين تلك الجماعة بدراسة أكاديمية تكشف عن تاريخها وأهدافها ومنهجها وأسلوبها وفلسفتها لكى نفهم كل قرار يصدر فى مصر وكيف تنعكس عقيدة الجماعة على المستقبل المصرى. كانت الجماعة ولا تزال عينها مصوبة نحو حكم البلاد. حكم مصر كان لديهم الحلم الأكبر وعندما تلاشى الحلم اتسع نطاق حلمهم أكثر وأكثر حتى أنهم فكروا فى إنشاء الخلافة الإسلامية التى تمتد من أندونسيا إلى نيجريا مارة بالوطن العربى كله، وقد ظهرت جماعة الإخوان عام ١٩٢٨ على يد مؤسسها حسن البنا المدرس للغة العربية فى إحدى المدارس بالإسماعيلية لتتصدر الجو الاجتماعى والإصلاحى والسياسى فى مصر، ووصف الإمام حسن البنا جماعته بأنها ليست حزبًا ولا جمعية إصلاحية ووصفها كالآتى فى خطابه:

"أيها الإخوان المسلمون... بل أيها الناس أجمعون

لسنا حزبًا سياسيًا وإن كانت السياسة على قواعد الإسلام من صميم فكرتنا..

ولسنا جمعية خيرية إصلاحية، وإن كان عمل الخير والإصلاح من أعظم مقاصدنا..

ولسنا فرقًا رياضية، وإن كانت الرياضة البدنية والروحية من أهم وسائلنا..

لسنا شيئًا من هذه التشكيلات، فإنها جميعًا تبررها غاية موضعية محدودة لمدة معدودة، وقد لا يوحي بتأليفها إلا مجرد الرغبة في تأليف هيئة، والتحلي بالألقاب الإدارية.

ولكننا أيها الناس: فكرة وعقيدة، ونظامًا ومنهاجًا، لا يحدده موضع ولا يقيده جنس، ولا يقف دونه حاجز جغرافي، ولا ينتهي بأمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها ذلك لأنه نظام رب العالمين، ومنهاج رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم.

نحن أيها الناس - ولا فخر - أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحملة رايته من بعده، ورافعو لوائه كما رفعوه، وناشرو لوائه كما نشروه، وحافظو قرآنه كما حفظوه، والمبشرون بدعوته كما بشروا، ورحمة الله للعالمين (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ) (ص: ١٨٨)، (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (الأنعام: ١٥٣)، (من رسالة الإخوان المسلمون تحت راية القرآن" للإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله)."

فهى جماعة إسلامية إصلاحية تهدف إلى إصلاح سياسى واجتماعى ودينى ورياضى وروحى للمجتمع أولاً والدولة ثانيًا والعالم ثالثا ...

الهيكل التنظيمى لجماعة الإخوان المسلمين:

تنتشر جماعة الإخوان المسلمين فى أكثر من ٧٠ دولة تنظمهم جماعة الإخوان فى القاهرة كالجماعة الأم، وينقسم الهيكل التنظيمى للجماعة - حسب

موقع الدكتور عبد الحى الفرماوى نقلاً عن اللوائح العامة للجماعة-من الأصغر للأكبر كالآتى:

١ ـ السلطة التنفيذية لجماعة الإخوان المسلمين:

ـ الأسرة:

هى مجموعة من أعضاء الجماعة يعين عليهم نقيب، ويحرص النقيب على تربية أعضاء أسرته بالمبادئ الإسلامية والقيم التربوية.

ـ الشعبة:

هى أصغر وحدة إدارية، وتشمل على عدد من الأسر حسب منطقة جغرافية معينة، يعيش الإخوان فيها ويرأسها رئيس شعبة وتحته نائبه ووكيله وسكرتيره وأمين صندوق وجمعية عمومية، ينقسم الأعضاء فى الشعبة إلى إخوان منتسبين وإخوان عاملين والفرق أن العضو المنتسب حديث لم يتم ترقيته للعضوية العاملة ولم يبايع ولم يقم بعمل واجبات العضوية.

ـ المنطقة:

تتكون المنطقة من على الأقل ثلاثة شعب أو بالأكثر عشر شعب حسب المنطقة الجغرافية بحيث تشمل على رقعة واسعة ممكن تكون مركزًا أو قسمًا فى محافظة أو أكثر من ذلك ويرأسها رئيس الشعبة الرئيسية.

ـ المكتب الإدارى للمحافظة:

لكل محافظة مكتب إدارى يشمل على الأقل ثلاثة مناطق أو أكثر، يضم رئيس المكتب الإدارى ورؤساء المناطق وأعضاء مجلس الشورى ويعين مكتب الإرشاد رئيس المكتب الإدارى.

ـ مكتب الإرشاد العام العالمى:

هى أعلى رتبة فى السلطة التنفيذية، وهو المشرف على سير الجماعة وإصدار القرارات، ويتم اختيار أعضاوئه بالانتخابات السرية المباشرة، ويستمر مدته ل ٤

سنوات ويتغير كل مدة بأعضاء مختلفين ما عدا الأعضاء، ويتألف مكتب الإرشاد من ١٣ عضواً + المرشد العام.

و ينقسمون كالآتى:

٨ من نفس القطر الذى يقيم فيه المرشد

٥ من أقاليم مختلفة عن إقليم المرشد

ـ المرشد العام:

يرأس المرشد العام مكتب الإرشاد العام ومجلس الشورى العام وينتخب عن طريق مجلس الشورى العام، ويشترط أن يكون مر عليه ١٥ سنة فى الجماعة ويكون عمره ٤٠ سنة هلالية ويتخلى عن منصبه العملى بعد قبول منصب الإرشاد، مدته ٦ سنين قابلة للتجديد مرة واحد.

تحت المرشد يأتى هؤلاء:

١ ـ نائب المرشد:

يقوم بأعمال المرشد فى حال وفاته أو عجزه أو ظروف قهرية ويتولى أعمال تفويضية من المرشد.

٢ ـ وكيل

٣ ـ سكرتارية

٤ ـ سكرتير عام

٥ ـ المركز العام

٢ ـ السلطة التشريعية لجماعة الإخوان المسلمين:

تتكون السلطة التشريعية من مجلس الشورى العام:

هو السلطة التشريعية الوحيدة فى الجماعة، ويقوم بالإشراف على أعمال المرشد والجماعة وجميع قرارته ملزمة ومدته ٤ سنين هلالية.

يتكون من ٣٠ عضوًا على الأقل يمثلون التمثيل الجغرافى والمهنى لأعضاء الجماعة، ويلزم أن يكون المرشدون السابقون والمراقبون العاملون للمحافظات أن ينالوا عضوية ثابتة فى المجلس.

بهذا تنظم الجماعة سير عملها بين تشريع القرارات من مجلس الشورى العام الذى ينتقل لينفذ من المرشد العام خلال المكاتب الإدراية والمراقبين والنقباء فى كل قطر فى مصر والدول الأخرى.

تاريخ جماعة الإخوان المسلمين:

فى عهد الملك فاروق:

أنشئت جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٢٨ على يد حسن البنا كجمعية دينية واجتماعية تهدف لترسيخ القيم والأخلاق فى المجتمع والحد عن الفحشاء ونشر الثقافة الإسلامية فى دولة الإسماعيلية التى كان معظم روادها من الأجانب.

انتقل مقر الإخوان إلى القاهرة وزاد مشروعات الإخوان وتوسعت رقعة الأعضاء حتى ضمت الكثير من الرجال والشباب، من ثم بدأت الجماعة فى الخوض فى المعارك السياسية عام ١٩٣٠ حتى أسست نفسها كجماعة سياسية مصلحة عام ١٩٣٩.

وزعت الجماعة كتاب هتلر المشهور "Mein Kampf" كفاحى وكتاب "Protocols of Elders of Zion" تالروسى لكى تدعم فكرة معاداة السامية وحرب اليهود.

اشتركت جماعة الإخوان المسلمين مع جماعة مصر الفتاة فى رفض دستور مصر واعتبار أن دستور مصر هو القرآن الكريم، وكما رفضت الجماعة الأحزاب باعتبار أن الأحزاب تقسم المسلمين كما وصفتها مجلة "النذير الإخوانية" أنها أحزاب شيطانية ولا حزبية فى الإسلام.

أرسل حسن البنا ٥٠ مطلبًا سياسيًا للملك الفاروق بعد أن زادت العلاقة بين الجماعة والملك فاروق بفضل رئيس الوزراء حينها على ماهر، من ضمن تلك

المطالب حسب ما كتب فى كتاب "وسائل التربية عند الإخوان المسلمين" للمؤلف على عبد الرحيم محمود:

ـ القضاء على الحزبية وتوجيه قوى الأمة السياسية فى وجهة واحدة وصف واحد.

ـ أن يسند بعض الوظائف العسكرية والإدارية إلى خريجى الأزهر ومقاومة التبرج والخلاعة وإرشاد السيدات إلى ما يجب أن يكون والتشديد فى ذلك، وبخاصة على المدرسات والتلميذات والطبيبات والطالبات ومن فى حكمهن.

إعادة النظر فى مناهج تعليم البنات ووجوب التفريق بينها وبين مناهج الصبيان فى كثير من مراحل التعليم.

ـ منع الاختلاط بين الطلبة والطالبات، واعتبار خلوة أى رجل بامرأة جريمة يؤاخذان بها .

تشجيع الزواج والنسل بكل الوسائل المؤدية إلى ذلك ووضع تشريع ليحمى الأسر ويحض عليها ويحل مشكلة الزواج.

نظمت الجماعة تنظيمًا مسلحًا خاصًا على غرار الأحزاب الشيوعية الروسية عام ١٩٤٠ لمقاومة الاحتلال الإنجليزى والعدو الصهيونى حسب ما كتبه محمود عبد الحليم فى كتاب "الإخوان المسلمين: أحداث صنعت التاريخ": "محاربة المحتل الإنجليزي داخل القطر المصري والتصدي للمخطط الصهيوني اليهودي لاحتلال فلسطين"

لكن اشترك النظام الخاص فى عمليات إرهابية منها ـ حسب كتاب الأستاذ على عشماوى آخر قائد فى التنظيم الخاص "التاريخ السرى بجماعة الإخوان المسلمين" ـ ص ١٠ بحادثة فندق الملك جورج الذى حاول أحد الأعضاء تفجير الفندق الذى يعج بالإنجليز لكنه فشل وانفجرت القنبلة فيه ومات.

واشترك أيضًا إخوان مصر الجديدة فى ضرب النار على يهود مصريين حتى وقف عبد الرحمن السندى رئيس التنظيم الخاص تلك العمليات آنذاك بالتعرض لليهود حتى لا يتعرضوا لمشكلات أخرى.

وساعد التنظيم الخاص الحاج "أمين الحسينى" فى التصدى ضد اليهود بالأسلحة.

فى ٢٢ مارس ١٩٤٨ اغتال "حسن عبد الحافظ" و"محمود زينهم" القاضى أحمد الخازندار؛ لأنه أصدر حكمًا ضد أعضاء التنظيم الخاص فى ٢٢ نوفمبر عام ١٩٤٧ فى قضية الاعتداء على الضباط الإنجليز فى الإسكندرية حسب كلام "د. عبد العزيز كامل" رئيس الأوقاف السابق فى مذكراته.

فى عام ١٩٤٨ بعد أن اشترك التنظيم الخاص فى "معارك قليلة" ـ حسب وصف على عشماوى لها ـ فى حرب فلسطين ضبطت عربة كبيرة تحمل عدة أسلحة وتبع ذلك القبض على ٣٢ قائدًا من قواد الإخوان المسلمين.

بعد الحادثة بشهر أصدر "محمود فهمى النقراشى" رئيس الوزراء قرارًا بحل جماعة الإخوان المسلمين مما أسفر عن اغتياله على يد "عبد المجيد أحمد حسن" فى ٢٨ ديسمبر عام ١٩٤٨ وتبع ذلك الحادث المزيد من اعتقالات للإخوان.

بعدها بشهر ونصف اغتيل حسن البنا على يد جنود الملك فاروق حين كان يخرج من جمعية الشبان المسلمين وخلفه "حسن إسماعيل الهضيبى" الذى كان يعمل قاضيًا.

فى تلك الأثناء كان "جمال عبد الناصر" يتربى على مبادئ التنظيم الخاص للجماعة ثم أسس جماعة مسلحة على شاكلة التنظيم الخاص سماها بالضباط الأحرار.

فى عام ١٩٥٢ اتهم أعضاء من التنظيم الخاص بحرق ٧٥٠ مبنى فى القاهرة معظمها ما يرتاده الإنجليز حسب كلام الصحفى الأمريكى Lawrence Wright فى مقالته "The Rebellion Within" فى صحيفة نيويوركر.

فى عهد عبد الناصر وثورة يوليو ١٩٥٢:

أيد الإخوان تنظيم الضباط الأحرار بمشاركة بعض أعضائهم فى الضباط الأحرار وأيده فى قلب نظام الحكم على الملك فاروق وتولى مجلس "قيادة الثورة"

البلاد حتى أنه فى يناير عام ١٩٥٣ صدر قرار من مجلس "قيادة الثورة" بحل جميع الأحزاب إلا الإخوان المسلمين بحجة أنهم جماعة دينية وليست سياسية.

فى نفس العام ذهب "صلاح شادى" عضو جماعة الإخوان المسلمين وطلب من عبد الناصر أن يخضع كل قرار من مجلس قيادة الثورة لموافقة مكتب الإرشاد حتى لا يخالف شرع الله رد عليه عبد الناصر أن الثورة لا تقبل وصايا من كنيسة وما شابهها.

رغم أنه كانت جماعة الإخوان محظورة وقتها إلا أن عبد الناصر كان يتعامل معها فى حدود واسعة حتى اصطدم بهم عام ١٩٥٤ فى "حادثة المنشية" فى الإسكندرية حين حاول أحد المنتمين للجماعة بقتله إلا أنه فشلت محاولة الاغتيال، وبعدها أمر عبد الناصر بالقبض على أعضاء الجماعة، وتبع ذلك الحكم إعدام لقيادات الجماعة من ضمنهم "عبد القادر عودة" الأستاذ الجامعى والشيخ "محمد الفرغلى" من علماء الأزهر.

أفرج عبد الناصر عن الإخوان ثم ما لبث أن اعتقلهم من جديد وكان منهم "سيد قطب" المفكر الإسلامى والعضو فى مكتب الإرشاد الذى صرح بوجوب الانقلاب على النظام الجاهلى الذى لا يطبق الشريعة والدعوة للحاكمية بحكم الله وحده للبلاد، فأصدر قرار بإعدامه عام ١٩٦٦ بتهمة "الانقلاب على نظام الحكم".

واعتقل عبد الناصر الداعية "زينب الغزالى" عام ١٩٦٥ بعد أن رفضت دعوة عبد الناصر بأن تخضع جمعيتها "السيدات المسلمات" لإشراف الاتحاد الاشتراكى ووصفت عبد الناصر بقاتل "عبد القادر عودة" فقبض عليها وحبست لمدة ٦ سنين ثم أفرج عنها عام ١٩٧١.

ترددت بعض الإشاعات من كتاب صحفيين أن المخابرات الأمريكية كانت على اتصال بجماعة الإخوان المسلمين للحد من المد الشيوعى فى مصر لكنها ليست أخبارًا مؤكدة.

وبعد وفاة عبد الناصر وتولى "محمد أنور السادات" الرئاسة أخرج الإخوان من السجون والمعتقلات وأعطى لهم حرية كبيرة لمساندته فى القضاء على أنصار عبد الناصر الاشتراكيين، ومن هنا بدأ عهد جديد ودور جديد للإخوان وولد الحلم الذى طال انتظاره وكانوا على أتم الاستعداد. لتبدأ مصر عهداً جديداً. مواجهة المجهول...



الفصل التاسع

لعبة الإخوان

هناك تشابه ما. ما بين السادات والإخوان. تشابه وتطابق فى المنهج وفى الفكر وفى الاستحواذ؛ لكن هناك تضاد فى الانفراد بالسلطة كلاهما ـ أقصد منهج الإخوان ومنهج السادات ـ يؤمن بالديكتاتورية وكلاهما معجب بالتجربة الفاشية فى الحكم وكلاهما يعشق مبدأ السمع والطاعة، ديكتاتورية الفرد وديكتاتورية الجماعة، لكن متى عرف السادات الإخوان. يذكر السادات في أحد مقالاته كما ورد في صحيفة الجمهورية عام ١٩٥٤م اللقاء الأول مع الشيخ حسن البنا "دخل علينا ونحن جلوس للعشاء في ليلة مولد النبي جندي من جنود السلاح الفنيين لم يكن موجودًا بيننا منذ بدء هذه الجلسة وقدم إلينا صديقًا له يلتحف بعباءة حمراء لا تكاد تظهر منه شيئًا كثيرا.

لم أكن أعرف هذا الرجل إلى ذلك اليوم ولم يثر دخوله ولا ملبسه اهتمامي ولم يلفت نظري، وكل ما هناك أنني صافحته ورحبت به ودعوته إلى تناول العشاء معنا فجلس وتناول العشاء، وفرغنا من الطعام ولم أعرف عن الضيف شيئًا إلا بشاشة في وجهه ورقة في حديثه وتواضعًا في مظهره، ولكني عرفت بعد ذلك عنه شيئًا كثيرًا، فقد بدأ الرجل بعد العشاء حديثًا طويلاً عن ذكرى مولد الرسول

صلى الله علية وسلم كان هو اللقاء الحقيقي الأول بيني وبين هذا الرجل وبيني وبين هذه الذكرى، كان في سمات هذا الرجل كثير مما يتسم به رجال الدين عباءته ولحيته وتناوله شئون الدين بالحديث، ولكنه بعد ذلك كان يختلف عنهم في كل شيء.... فليس حديثه هو وعظ المتدينين، ليس الكلام المرتب ولا العبارات المنمقة ولا الحشو الكثير ولا الاستشهاد المطروق ولا التزمت في الفكرة ولا ادعاء العمق ولا ضحالة الهدف ولا الإحالة إلى التواريخ والسير والأخبار.

كان حديثه شيئًا جديدًا كان حديث رجل يدخل إلى موضوعه من زوايا بسيطة ويتجه إلى هدفه من طريق واضح ويصل إليه بسهولة أخاذة وكان هذا الرجل هو المرحوم الشيخ حسن البنا مرشد الإخوان المسلمين.

كما يذكر عبد اللطيف البغدادي فى مذكراته بالجزء الأول منها فيقول. أنه عندما تم القبض على أنور السادات وحسن عزت بعد حادثة سعودي بعدة شهور عندما تعرف الجاسوس الألماني عليهما كما ذكرت سابقًا، ولم يبق في اللجنة التنفيذية بعد ذلك غير وجيه أباظة وأنا، كما أن موقف الألمان العسكري في شمال أفريقيا كان قد أصبح حرجًا بعد أن بدأوا في الانسحاب نهائيًا من المنطقة تحت ضغط الحلفاء عليهم من الغرب من اتجاه تونس ومن الشرق من اتجاه مصر، وأصبح بذلك أملنا في الانتقام من المستعمر لبلادنا والأخذ بالثأر منه للمهانة التي لحقت بنا يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢م بعيد المنال، ولكننا لم نفقد الأمل كلية، وواصلنا العمل من جانبنا داخل قواتنا الجوية متوخين زيادة المنضمين للتنظيم وربطهم بمبادئنا وأهدافنا، وقد ساعد في ذلك الأمر انتقالي مدرسًا بكلية الطيران عام ١٩٤٤م، وقد أتاح ذلك فرصة الاحتكاك والتعرف على كثير من الشبان الملتحقين بسلاح الطيران، وساعد على أن تزداد الرابطة بينهم وبيننا، وقد مهد هذا كله لتماسك التنظيم داخل القوات الجوية مع زيادة عدد المنضمين إليه وأصبحوا وكأنهم فرد واحد حتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م.

واستمر محمد أنور السادات في الاتصال بجمعية الإخوان المسلمين رغم أن الغرض الذي كان يجمعنا في البداية قد بعد، وكان حلقة الاتصال بينهم وبيننا أنور السادات، وكان هو المسئول عن الناحية العسكرية في تنظيمهم، وكنا نوافيهم

بمقالات لتنشر في صحيفتهم عن كيفية إصلاح الجيش والطيران المصري والنقص الذي بهما، وهذا الاتصال الذي استمر بيننا سيكون له أهميته عندما يعلن النحاس إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦م، التي كانت قائمة بين بريطانيا ومصر وذلك سنة ١٩٥١م فقد قمنا بتدريب الإخوان المسلمين عسكريًا وأمددناهم بالأسلحة والذخيرة التي كان قد أمكن لنا تهريبها من مخازن الجيش، وعملنا على تشكيل كتائب فدائية منهم تحت قيادة ضباط من الطيران والجيش بغرض القيام بغارات فدائية على القاعدة البريطانية في منطقة السويس، كما أنه قد سبق أيضًا وتكونت منهم كتائب فدائية قام بتدريبها وإعدادها ضباط من الجيش قبل ذهابها لمقابلة المنظمات العسكرية اليهودية في فلسطين في نهاية عام ١٩٤٧م وكان ذلك بعد قرار هيئة الأمم الخاص بتقسيم فلسطين بين الفلسطينيين العرب واليهود في نوفمبر سنة ١٩٤٧م.

وكان الغضب قد عم العالم العربي بأسره نتيجة هذا القرار المجحف بحق الفلسطينيين، وكان قد خص اليهود بنصف مساحة فلسطين وهو الجزء الخصب منها أيضا، ولمقاومة هذا التقسيم فقد تكون جيش التحرير العربي للنضال والقتال ضد هذا التقسيم.

وفى أوئل سبتمبر سنة ١٩٧١ ذكر د/ محمود جامع مدير مستشفى المبرة بطنطا وهو الرجل الغامض فى كواليس السادات وهو محرك الأحداث الخفى.

أن السادات اجتمع مع قيادات الإخوان المسلمين فى منزله أكثر من مرة وكانت هذه الاجتماعات بتوجيهات الرئيس عبد الناصر واجتمع السادات بكل من اللواء محمد المدني مساعد أول وزير الداخلية السابق والمستشار محمد السعدني والدكتور محمد مصطفى عميد كلية الطب سابقًا والأستاذ عبد العزيز هلالي صحفي بالأخبار والمهندس علي محمد أحمد رئيس الغرفة التجارية والمهندس فائق أحمد القصراوي والداعية الإسلامى لاشين أبو شنب وتناولوا العشاء معا وامتدت جلسة الاجتماع لمدة سبع ساعات نقدا لاتجاهات الدولة نقدًا بناء، وكانت هذه الاجتماعات تتم دون علم على صبرى رئيس الوزراء وشعراوى جمعة وزيرالداخلية.

وبعض الاجتماعات كانت مع بعض رجال القضاء المفصولين فى ما يعرف بمذبحة القضاء الشهيرة، وكذلك مع عائلة الفقى فى قضية كمشيش الشهيرة وعائلة أبو جازية الموضوعين تحت الحراسة.

واستطرد قائلا: وكانت أمور الدولة مرتبكة وذلك لتداعى حالة الرئيس عبد الناصر الصحية وسلم عبد الناصر خاتمه الخاص بالرئاسة للسيد سامي شرف وكان يجتمع بمكتبه يوميًا كل من أنور السادات وعلي صبري وشعراوي جمعة وأمين هويدي وعبد المجيد فريد والفريق محمد فوزي، وذلك لإصدار القرارات الخاصة بالدولة دون العرض على عبد الناصر.

وتصادف أن شعراوى جمعة وزير الداخلية، كان فى زيارة عائلية لوجيه أباظة بطنطا وكان منزله أمام منزل د/ جامع أثناء اجتماع السادات مع الإخوان وكان الرئيس عبد الناصر فى زيارة السودان فى وقتها فهاج شعراوي جمعة هياجًا شديدًا وقال: كيف أكون وزيرًا للداخلية ولا أعلم شيئًا عن تحركات رئيس الدولة.

وما كان كل من وجيه أباظة رئيس التنظيم الطليعى ومصطفى الجندي أمين عام الاتحاد الاشتراكى وشقيق المستشار محمد الجندي النائب العام الأسبق إلا أن قدموا تقريراً بالواقعة لعلي صبري مسئول التنظيم الطليعى قالا فيه: إن السادات لم يكن عضوًا بهذا التنظيم ولم يحضر بمنزل د/ محمود جامع وهو من أعداء النظام ويعمل اجتماعات مشبوهه مع شخصيات من أعداء النظام.

وأرسل على صبرى صورة من هذا التقرير للرئيس عبد الناصر وصورة أخرى إلى السفير السوفيتى بالقاهرة، وأخبر السفير الروسى عبد الناصر أن هذه الاجتماعات تسبب بلبلة فى قيادات التنظيم، فأمر عبد الناصر بعدم ذهاب السادات لطنطا وتوقفت الاجتماعات، وكان هذا سبب عداء السادات لعلي صبري فقد قبض عليه حينما تولى الحكم بدعوى التخابر مع الروس.

وهناك العديد من المحاور المتناقضة ما بين قائل بكراهية السادات للإخوان المسلمين ومابين قائل بمحبتة لهم وما بين قائل بتعاطفة معهم وما بين قائل بأنه

كان واحدا من الإخوان المسلمين، فأين هى الحقيقة بالضبط لا ندرى، سنطرح كل المحاور وعلينا فى النهاية الاستنتاج:

المحور الأول: القائل بكراهية السادات للإخوان المسلمين يتبناه د/ خالد غراب فى كتابه "بقلم أنور السادات" فيتناول فى الفصل الثالث من الكتاب، مقالات أنور السادات التى كتبها عن جماعة الإخوان المسلمين خلال فترة الخمسينيات من القرن المنصرم، ويكشف المؤلف من خلال استعراض تلك الجزئية المتعلقة بجماعة الإخوان المسلمين أن السادات حينما كان يتوجه بالحديث إلى الإخوان المسلمين أو عنهم كان يستشهد بالآيات القرآنية، ومثال على ذلك، ذلك المقال الذي يرد فيه أنور السادات على مزاعم الإخوان المسلمين واتهامهم لرجال الثورة بأنهم أعداء، فنجده يكتب على صفحات جريدة الجمهورية حين يطغى الغرض الذاتي على الهدف النبيل فمن الواجب على كل مسلم أن يجنب المسلمين شر هذه الفتنة، وهذا ما فعلناه لا لحماية أنفسنا بل لحماية الدعوة النبيلة والقصد الكريم بل ولحماية الإخوان المسلمين أنفسهم ممن فرضوا عليهم "السمع والطاعة" هذا هو رأينا فليجادلنا فيه من يؤمن بقوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾.

كما أورد الباحثون الذين تناولوا هذا الجانب الأحاديث المصورة للرئيس السابق أنور السادات وهو يهاجم الإخوان المسلمين خلال عقد اتفاقية كامب ديفيد، كما أظهروا مقاطع فيديو يهاجم فيها السادات الإخوان المسلمون ويتهم فكرهم بأنه وبال عليهم، وهم يؤكدون بهذه الفيديوهات فكرتهم القائلة بكراهية السادات للإخوان المسلمين.

المحور الثاني: القائل بمحبة السادات للإخوان ما أعلنته السيدة جيهان السادات حيث تحدثت عن محبة أنور السادات للإخوان المسلمين ولم يكن كلام السيدة جيهان السادات حرم الرئيس محمد أنور السادات ليمر مرور الكرام، وقد تعرضت فيه بشيء من التفصيل حول رأيها في جماعة الإخوان المسلمين

وهي المرة الأولى التي تتحدث فيها سيدة بحجم جيهان السادات التي كانت السيدة الأولى في مصر طوال فترة حكم زوجها للبلاد عن رأيها في الجماعة.

قالت إن زوجها كان من المحبين لجماعة الإخوان المسلمين، وأنها كانت هى أيضا من المتحمسين جدًا لجماعة الإخوان المسلمين خاصة من الناحية الدينية والدعوية والاجتماعية وأنها في سن الثانية عشرة كانت تجمع أموالا بسيطة من أسرتها وأصدقائها وتذهب بها إلى منزل حسن الهضيبي أحد رموز الجماعة والذي كان مجاورا لمنزل أسرتها وتعطيه هذه الأموال دعمًا ومساعدة للأعمال التي تقوم بها الجماعة حيث أكدت أن جماعة الإخوان كانت من أكثر الجماعات تاثيرًا في المجتمع، وأعلت شأن الدين وأكدت على مظاهر التكافل الاجتماعي خلال هذه الفترة.

كما أشارت أيضا في كلامها إلى تلك العلاقة الوثيقة التي جمعت بين الإخوان ورجال الضباط الأحرار وخاصة عبد الناصر مع عدم تأكيدها أو نفيها لعلاقة زوجها بالجماعة هذا بالإضافة إلى ملاحظتها حول العمل السياسي للإخوان والتي رأت أنه قد قلل من دور الجماعة المؤثر في المجتمع من الناحية الدينية والاجتماعية.!!!

المحور الثالث: القائل بتعاطف السادات مع الإخوان يتبناه الأستاذ/ محمد حامد أبو النصر المرشد العام الرابع لجماعة الإخوان المسلمين من تعاطف السادات مع قضية الإخوان المسلمين وأوامره للحرس فى المعتقلات بالمعاملة الكريمة معهم وقراره بعد ذلك بالإفراج عنهم ،حيث قال المرشد محمد حامد أبو النصر : ومما يجدر ذكره، أن السادة الضباط كانوا يعاملوننا معاملة طيبة مليئة بالرأفة والرحمة، منذ أول يوم تولى فيه الرئيس محمد أنور السادات مقاليد الحكم.

على مستوى الجمهورية، ومن ثم كون فريقًا رياضيًا للاعبي كرة القدم، وكان جميعه من الإخوان المسلمين.

ثم يقول المرشد العام الرابع لجماعة الإخوان المسلمين/ محمد حامد أبو النصر. في عام ١٩٧٠ أمر السادات بالإفراج عنا حيث تم ترحيلنا على دفعات

إلى سجن مزرعة طرة، توطئة للإفراج عنا، وهذا السجن، كانت حجراته واسعة، تسع أكثر من عشرين سجينًا، وكانت المعاملة لا بأس بها، وفي هذا السجن تم لقاء بين مجموعة من ضباط المخابرات وبين جميع الإخوان المسلمين المسجونين في هذا السجن، وكان لقاءً أشبه بالحوار المفتوح بين الإخوان، وضباط المباحث، فقد عرض الإخوان أفكارهم ودافعوا عن دعوتهم وجماعتهم بصراحة ووضوح، ولم يجعلوا من أسوار السجن حائلاً دون توضيح موقفهم، وشرح رسالتهم من يوم أن أسست جماعتهم، وأنهم سيظلون حاملين راية الإسلام، ويدافعون عنها، ويحمونها بأكرم ما يملكون من أعز المهج والأرواح، وكان هذا الوضوح والبيان دون لف أو دوران محل إعجاب واستغراب ضباط المباحث وغرابتهم وانتهى اللقاء، وبدأ الإفراج عنا على دفعات بأوامر من السادات الذى كان مقتنعا بقضيتنا ونبل غايتنا.

هكذا يكون السادات قد أفرج عن جميع كوادر وقيادات الإخوان المسلمين، والغريب أن هذا الإفراج جاء مع أول عام لتولية الحكم. وقد كانت قوى اليمين تتلقى بالفعل تشجيعا ومساعدة من خارج مصر قبل أن يلتفت إليها السادات ليمدها بتشجيعه ومساعدته. وفى عام ١٩٧١ حدث شىء غريب لم تكن له سابقة من قبل فى تاريخ الأزهر تلك المؤسسة العريقة التى شاركت فى عصور ازدهارها بدور كبير فى حركة التحرر الوطنى المصرى، ففى تلك السنة عقد الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية ما يكاد أن يكون اتفاقية مع شيخ الازهر الأسبق عبد الحليم محمود وفى الاتصالات التى سبقت الاتفاق فإن الملك فيصل عرض على مشيخة الازهر اعتمادات تصل قيمتها إلى مائة مليون دولار لكى يتولى الشيخ قيادة حملة دعوة ضد الشيوعية والإلحاد ـ دفع الملك فيصل بالفعل جزءا كبيرا منها وهو ٤٠ مليون دولار طبقا للتقديرات، ولكن رئيس الوزراء فى ذلك الوقت وجد أن الدولة تشتد حاجتها الى النقد الأجنبى وهكذا حول هذا المبلغ إلى الخزينة ثم قدم لشيخ الأزهر بدله نقدا مصريًا للصرف على ما يراه من أغراض الدعوة واندفع الشيخ إلى برنامج إعلامى كبير فكتب بنفسه عدة كتب (الإله الذى هوى) والذى شارك فى تأليفه عدد من المفكرين الأوروبيين

والأمريكيين الذين بهرتهم الشيوعية لأول وهلة ثم استيقظوا على الواقع المر فى التطبيق أيام ستالين، وتم بناء بعض المساجد الجديدة، كما صرفت مبالغ كبيرة على سفر وفود دينية تحمل رسالة الدعوة. لم يكن ذلك هو الطريق الوحيد الذى اتبعه الملك فيصل فى تشجيع ومساعدة اليمين الدينى فى مصر، وإنما ذهب إلى أبعد من ذلك حين حاول أن يرتب مصالحة بين الرئيس السادات ومجموعة من الإخوان المسلمين. كان الإخوان المسلمون الآن موزعين على عدة مجموعات كانت هناك أولا تلك القلة التى ظلت على اعتقادها بأن العنف والإرهاب هما أفعل الوسائل لتحقيق أهدافهم لكن معظم هؤلاء كانوا لا يزالون إما فى السجون أو مختفيين تحت الأرض. وكانت هناك مجموعات ثانية هم هؤلاء الذين غادروا مصر هربًا من الاضطهاد أو بحثًا وراء فرصة عمل فى الخارج، وكان كثيرون من هؤلاء قد جمعوا ثروات طائلة وأخيرًا كانت هناك مجموعة هؤلاء الذين آثروا البقاء فى مصر وحاولوا قدر المستطاع أن يواصلوا الدعوة فى ظل الظروف القائمة مهما تكن صعوبتها. وفى صيف ١٩٧١ نجح الملك فيصل فى أن يرتب اجتماعًا بين السادات وبين مجموعة من الإخوان المسلمين الذين ذهبوا إلى الخارج وبالفعل تم عقد اجتماع استراحة الرئيس فى جانكليس فى إطار من السرية المطلقة حضره بعض زعماء الإخوان فى الخارج بعد أن حصلوا على ضمان بتأمين دخولهم إلى مصر وخروجهم منها والتقوا هناك بالرئيس السادات، كان بين هؤلاء الدكتور سعيد رمضان الذى عاش بعض الوقت فى السعودية ثم قصد إلى جنيف حيث رأس منظمة إسلامية ترعاها المملكة العربية السعودية وخلال المناقشات التى جرت فى ذلك الاجتماع قال الرئيس السادات للإخوان الذين قابلهم إنه يواجه المشكلات من نفس العناصر التى قاسوا هم منها ــ كان قد تفرغ لتوه من معركته مع مراكز القوى ــ ثم إنه يشاركهم أهدافهم فى مقاومة الإلحاد والشيوعية، وكذلك فإن عبد الناصر قد خلف له تركة ثقيلة، وقد عرض عليهم استعداده لتسهيل عودتهم إلى النشاط العلنى فى مصر بل على استعداد لعقد تحالف معهم، لكن الإخوان الذين قابلهم السادات فى ذلك الوقت لم يكونوا قادرين على اتخاذ القرار، ويبدو أنهم لم يكونوا واثقين من احتمالات التعاون

معهم، وكانت لهم شكوكهم حول نواياه وفى كل الأحوال فإنهم حتى ذلك الوقت كانوا يعتبرونه جزءا من ثورة ٢٣ يوليو التى اصطدموا معها ومضت سنوات ومضت سنوات والآن أصبح الإخوان المسلمون شأنهم شأن غيرهم من القوى فى مصر يدركون رغبة السادات فى التعاون مع العناصر الدينية ووجد بعضهم رعاية خاصة من أحد الأصدقاء المقربين للرئيس وهو المهندس عثمان أحمد عثمان. وكل ما ذكر يؤكد عند غالبية الباحثين أن السادات كان مقتنعا بقضية الإخوان قبل توليته الحكم، وهذا الإفراج السريع عن الإخوان المسلمين فى أول عام لتولى محمد أنور السادات الحكم كان علامة استفهام كبيرة عند باحثين آخرين.

وهناك رواية للسادات تؤكد على هذا التعاطف وجاءت على لسانه فيما أعلنه السادات شخصيا في مقاله الذي يحمل عنوان "نحن والإخوان المسلمون" وأعلن بوضوح الرئيس السادات: أن جماعة الإخوان المسلمين جماعة سامية الأهداف نبيلة الأعراض!

ويقول محمد أنور السادات أيضا فى هذا المقال: "ونحن كمسلمين نفهم ديننا على حقيقته، وندرك حدود تعاليمه، نرى الإسلام مجموعة من الفضائل لا يكمل الدين الحق إلا بها جميعًا، وتنطوي تحت لواء هذه المجموعة من الفضائل؛ الفدائية والصدق والاستقامة والوطنية والنأي بالوطن عما يفرق كلمة بنيه، ويعرضه لنيران الفتن، ولهذا كنا أحرص الناس على بقاء جماعة الإخوان المُسلمين لاعتقادنا أنها جماعة صالحة تدعو لدين الله ولما رسمه الإسلام من أخلاق كريمة ترفع شأن المسلمين وتعزز مجدهم، وهي نفس المبادئ التي اعتنقناها عن إيمان ويقين؛ لا لأنها مبادئ الإخوان المسلمين، بل لأنها مبادئ الإسلام نفسه التي يجب أن يتمسك بها كل مسلم، فإذا جاء اليوم هذا النفر الذي أراد أن ينحرف بهذه الجماعة الصالحة عن أهدافها الصالحة، وزعم أننا نحارب الإسلام حين نحاربها، فلن يجدوا من يصدق زعمهم، فنحن لسنا الذين نبيع ديننا بدنيانا، ونحن لسنا الذين نحرص على جاه أو منصب، بعد أن قدمنا رءوسنا وأعناقنا نفتدي بها مصر.

واستطرد السادات في مقاله قائلاً: "إن جماعة الإخوان المسلمين هي جماعة سامية الأهداف نبيلة الأغراض ولكنها ـ ككل هيئة أو جماعة ـ تضم بين صفوفها بعض من تنطوي نفوسهم على دخن وليس عجبًا أن يظهر أمثال هؤلاء في هذه الجماعة الصالحة، فقد ابتلي الإسلام بمثلهم في مستهل دعوته، وابتلي الرسول بمثلهم من الموهنين وضعاف العزائم والناكصين على الأعقاب ومُحبي الجاه والسلطان أمثال أبي سفيان، فليس عجبًا أن بين هذه الجماعة المؤمنة بعض ضعاف الإيمان أو بعض الساعين إلى الجاه والسلطان، وحين يطغى الغرض الذاتي على الهدف النبيل، فمن الواجب على كل مسلم أن يجنب المسلمين شر هذه الفتنة وهذا ما فعلناه لا لحماية أنفسنا بل لحماية الدعوة النبيلة والقصد والكريم، بل ولحماية الإخوان أنفسهم ممن فرضوا عليهم "السمع والطاعة" هذا هو رأينا فليجادلنا فيه من يؤمن بقوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾... ترى وما هى علاقة الإخوان بالأمريكان. يان جونسون الكاتب الصحفي الشهير في الوول ستريت جورنال والحائز على جائزة بوليتزر عام ٢٠٠١ كتب تحليلاً حديثًا يذكر فيه تاريخ العلاقة بين الإخوان والمخابرات الأمريكية ويستحثها على التعاون معها يبدأ الكاتب متسائلا كيف ستتعامل الإخوان مع إسرائيل؟ وهل ستتخلى عن العنف حقا، يرجع الكاتب التحالف بين الإخوان والمخابرات الأمريكية منذ الخمسينيات ووصفه بالتحالف السري وتم الاتفاق على قضايا متنوعة مثل القتال ضد الشيوعية وتهدئة بعض التوترات للأوروبيين المسلمين، وفي كل مرة نرى نفس النموذج، القادة الأمريكان يقررون أن الإخوان يمكن أن يكونوا مفيدين وراعين للأهداف الأمريكية، ولكن في كل مرة أيضا وبشكل واضح ولا يدعو للدهشة لا يستفيد من تلك العلاقة غير الإخوان المسلمين. طالب الكاتب الحكومة الأمريكية أن تكون واعية بهذه العلاقة وخطورتها، ذكر الكاتب نقلا عن أحد الكتب لإيزنهاور تفاصيل اجتماع حضره سعيد رمضان مندوب الإخوان المسلمين وهو صهر حسن البنا والذي كان يوصف بوزير خارجية جماعة الإخوان وهو أبو الباحث السويسري المثير للجدل طارق رمضان، وكان مسئولو إدارة أيزنهاور يعرفون ما يفعلون ففي معركة أمريكا ضد

الشيوعية كانت أمريكا تحب أن تظهر نفسها ببلد الحريات والداعمة لحرية الدين مقابل الشيوعية الملحدة، ولقد نشرت تحليلات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية مؤخرا عن سعيد رمضان ووصفته بالتبلد الذهني وأنه "لديه اهتمام فاشي بتجميع الأشخاص من أجل السلطة" ورغم كل ذلك فالإدارة الأمريكية حينها لم تجد غضاضة في الاستعانة به.

يقول الكاتب في معرض كلامه عن سعيد رمضان والسي آي إيه أن الأخيرة دعمته بشكل علني وكانت تطلق عليه بكل بساطة عميل الولايات المتحدة وساعدته في الخمسينيات والستينيات في استيلائه على مسجد ميونيخ والذي كما يذكر الكاتب قام بطرد المسلمين المقيمين في هذا المكان ليبني المسجد الذي يعد من أهم مراكز الإخوان المسلمين في أوروبا وفي النهاية لم تحصد أمريكا من دعمه شيئا، فلقد عمل على نشر الإسلام أكثر من محاربة الشيوعية، وفي السنوات اللاحقة دعم الثورة الإيرانية، ويرجح الكاتب أنه قد يكون متورطا في قتل أحد الدبلوماسيين المساندين للشاه الإيراني في واشنطن. أيان جونسون هو نفسه الذي ألف كتابًا شهيرًا اسمه "مسجد في ميونيخ" يتحدث فيه عن ذلك المسجد باعتباره رمزا لجماعة الإخوان المسلمين في أوروبا وذكر أن حكومات أمريكا وألمانيا الغربية تنافسوا للسيطرة عليه، ليكون قاعدة لمحاربة نظام حكم جمال عبد الناصر، وهناك كتاب آخر كشف تفاصيل كثيرة عن استغلال المخابرات الأمريكية الإخوان المسلمين في حربهم ضد عبد الناصر كتاب "إم آي سيكس: مغامرة داخل العالم السري لجهاز المخابرات البريطانية" وهذا الكتاب كشف أيضًا دور المخابرات البريطانية في مساعدة سعيد رمضان لترتيب انقلاب ضد عبد الناصر سنة ١٩٦٥ والعملية التي انتهت بالقبض على أغلب عناصرها، فيما عرف بقضية تنظيم الإخوان عام ١٩٦٥ والذي كان يرأسه في مصر سيد قطب.

يقول جونسون إن العلاقات بين الإخوان والمخابرات الأمريكية شهدت جزرا ومدا، بعد ذلك ففي حرب فيتنام كان تركيز أمريكا في مكان آخر، ولكن العلاقات مع المسلمين عادت تحتل البؤرة في حرب السوفييت في أفغانستان، حيث دعمت

المجاهدين وعلاقاتهم مع الإخوان كان فيها ما فيها من التودد والاقتراب. من هنا كان الاقتراب ما بين السادات والإخوان هو اقتراب ما بين السادات وأمريكا لكن الرجل كان على استعداد لأن يعطى إشارات أخرى لهم والوصول إلى ما يريدون عن طرق أخرى أهمها طريق السعودية عن طريق كمال أدهم والعلاقة ما بين الاثنين أدهم والسادات كانت عميقة للحد الذى كان السادات أحد شهود عقد زواج أدهم وهو الرجل القوى فى السعودية ومدير المخابرات السعودى الأشهر. لكن تخوف أدهم من النفوذ السوفيتى فى مصر جعل السادات يتخذ خطوتين هما الأهم فى بداية حكمه الأول طرد السوفييت من مصر، والثانى ثورة التصحيح التى قام بها وتخلص بها من رجال السوفيت وعبد الناصر مرة واحدة ليرسل إشارة أخرى للغرب عما سيسلكه فى المستقبل..

الفصل العاشر

١٥ مايو

الرجل كان فى مأزق كبير يده مغلولة بمجموعة كبيرة من الأعداء. والبلاد جغرافيا سدس أرضها محتلة. والطريق الذى يرسمه لنفسه غير ممهد للمرة مما أدى إلى اتخاذه قرارات هى الأهم فى تاريخ مصر فى ذلك الحين وهو التخلص نهائيا من مجموعة الحرس القديم المسيطر على مجريات الأمور فى البلاد حتى جاء اليوم الموعود. وهو يوم الخامس عشر من شهر مايو عام ١٩٧١ أحد أهم هذه الأيام الفارقة فى التاريخ المصرى... ففى هذا اليوم أعلن السادات انتهاء ثورة يوليو ١٩٥٢ وقيام ثورة التصحيح..... وفى هذا اليوم انتهت الشرعيه الثورية التى جاءت بالرئيس جمال عبد الناصر رئيسا لمصر لتحل محلها الشرعية الدستورية، والتى فشلت حتى الآن فى أن تأتى لنا برئيس منتخب دستوريًا طبقًا لإرادة الشعب.

أى أن يوم ١٥ مايو ١٩٧١ كان يومًا فاصلاً فى التاريخ المصرى بين مؤسسات ثورة كانت تعتمد على زعيمها وحده.... وبين دولة لفظت حكم الزعيم والقائد الفرد... وأصبحت ـ من المفترض ـ أن تعتمد على مؤسساتها الدستورية المستمدة من شرعية دستورها... وإن كانت... فى واقع الأمر... لم تخرج

بشرعيتها ومؤسستها الدستورية عن الاعتماد على زعيمها الجديد وحده. ففى كتاب (خريف الغضب) كتب محمد حسنين هيكل عن علاقة السادات بكمال أدهم (مدير المخابرات العامة السعودية) وأرجعها لعام ١٩٥٤ عندما شاركت مصر فى تكوين منظمة المؤتمر الإسلامى ورشح عبد الناصر أيامها أنور السادات لتولى رئاسة الوفد المصرى... ومن خلال هذه المنظمة تعرف أنور السادات على كمال أدهم الذى كان فى ذلك الوقت مستشارا وصهرًا للأمير فيصل قبل أن يصبح فيصل ملكا على السعودية.

وأوضح محمد حسنين هيكل عن دور كمال أدهم فى فتح قناة خاصة بين السادات من ناحية وبين وكالة المخابرات المركزية الأمريكية من ناحية أخرى فى أعقاب تولى أنور السادات الحكم وانفراده بالسلطة فى ١٩٧١... كما تحدث عن لقاء أنور السادات بوزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر فى ٧ نوفمبر ١٩٧٣ بعد حرب أكتوبر مباشرة وكيف تم الاتفاق فى هذا اللقاء على أن تكون أمريكا مسئولة عن حماية السادات الشخصية.... وتم تعيين واحدًا من خبرائها فى الشئون العربية لكى يكون متواجدا باستمرار فى مقر الرئاسة لمراقبة شئون الأمن.

وتحدث هيكل أيضًا عن نادى السفارى الذى شاركت فى تكوينه مخابرات خمس دول هى: مصر والسعودية وإيران والمغرب وفرنسا... بالإضافه إلى المخابرات المركزية الأمريكية بغرض مواجهة المد الشيوعى فى إفريقيا... حسبما قيل فى تلك الفترة... والتى بسببها تورطت مصر فى محاولة اغتيال الرئيس الليبى معمر القذافى والرئيس الغينى أحمد سيكتورى وفى الاشتراك فى عمل بعض الانقلابات العسكرية فى أفريقيا وآسيا .إلا ان كتاب (لعبة الشيطان) الذى صدر فى واشنطن.... يتتبع العلاقة التاريخية بين أنور السادات والدوائر الأمريكية ويرسم صورة كاملة لها يقول الكتاب:

منذ سنوات ثورة يوليو الأولى كانت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تمتلك ملفا خاصًا عن أنور السادات.... وكان هذا الملف يحتوى على معلومات عن سنوات العمل السرى التى اندمج فيها أنور السادات قبل الثورة، وكيف كان هو

الوحيد من بين كل من شاركوا فى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ذا تاريخ حافل بالعمل السرى. واحتوى هذا الملف على معلومات مهمة عن علاقة أنور السادات بالمخابرات الألمانية والجواسيس الألمان (عمل هؤلاء الجواسيس الألمان لصالح جهاز المخابرات البريطانية بعد القبض عليهم... وبعد هزيمة الألمان فى الحرب العالمية الثانية) وعن اغتيال أمين عثمان رئيس الوزراء المصرى فى يناير ١٩٤٦ ثم انضمامه للحرس الحديدى الذى رعاه الملك فاروق ورئيس ديوانه أحمد حسنين باشا للانتقام من مصطفى النحاس باشا رئيس حزب الوفد بعد واقعة ٤ فبراير ١٩٤٢ .... وكيف شارك أنور السادات فى محاولة قتل النحاس باشا فى أبريل ١٩٤٨.

ويواصل كتاب... لعبة الشيطان... متتبعًا ملف أنور السادات فيقول:

بعد اندلاع حركة الضباط الأحرار فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ألقى أنور السادات بكامل ثقله وراء الزعيم الحقيقى لهذه الحركة جمال عبدالناصر... وربط مصيره بمصير عبدالناصر... ولذلك كان مؤيدا له فى كل المواقف التى اتخذها ... خصوصا فى مواجهته الحاسمة ضد اللواء محمد نجيب فى إطار الصراع على السلطة الذى اندلع بينهما... كما أنه تبنى موقف عبد الناصر فى صراعه ضد جماعة الإخوان المسلمين التى حاولت الانقلاب على نظام عبد الناصر الوليد بالرغم من علاقاته القديمة بقيادات هذه الجماعة أثناء العهد الملكى.

ووصل الحال أن قام أنور السادات فى يناير ١٩٥٤ وفى أعقاب قيام مجموعة من التابعين للإخوان المسلمين بالاعتداء على طلاب فى جامعة القاهرة بكتابة مقال هاجم فيه جماعة الإخوان ووصفها بأنها جماعة الاتجار فى الدين.... وبعد هذا المقال بيومين فقط أصدر عبدالناصر قرارا بحظر الجماعة واصفًا إياها بأنها مخلب قط للإنجليز والمخابرات البريطانية بعد افتضاح مقابلة مرشدها حسن الهضيبى بالسفير الأمريكى والسفير البريطانى ومحاوله قيادات الإخوان فى هذة المقالات إفهامها بأن الإخوان وحدهم هم من يسيطر على الشارع السياسى المصرى... ولإثبات ذلك حاولت الجماعة القيام ببعض المظاهرات المعارضة للثورة.

كان كمال أدهم كما يقول كتاب (لعبة الشيطان) يبلغ وكالة المخابرات الأمريكية أولا بأول بتطور علاقته بأنور السادات... خصوصًا أثناء حرب اليمن التى مثلت استنزافا لجمال عبدالناصر ونظام حكمه... بالرغم من أن السعودية ومصر كانتا فى ذلك الوقت تقفان فى معسكرين متضادين. وعندما مات عبدالناصر فجأة فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠.. بعد أن كان قد عين السادات نائبا له منذ أقل من عام (١٠ شهور).. لم تصدق الرياض وواشنطن نفسيهما ولم تتملكهما فرحة (على حد قول الكتاب) كتلك الفرحة التى جاءت مع تولى أنور السادات للحكم.

لقد كانت السنوات الإحدى عشرة التى تولى فيها السادات حكم مصر كما يقول مؤلف كتاب (لعبة الشيطان) نعمة كبرى وحقيقية حولت مجريات السياسة فى العالم العربى والشرق الأوسط لصالح السعودية وأمريكا.

فبمجرد أن تولى السادات السلطة... قام هذا الثعلب السياسى... (عضو الإخوان المسلمين السابق ونصير عبدالناصر الدائم) بعقد تحالف مع السعودية... قام على إثره بضرب اليسار المصرى وأعاد الإخوان المسلمين منتصرين إلى شوارع مصر... ثم اختتم ذلك بتوجيه السياسة المصرية نحو الانحياز الكامل للولايات المتحدة وإسرائيل!!!

ويقول كتاب (لعبة الشيطان) أنه طوال سنوات السبعينيات... لم يتحكم أحد فى أنور السادات مثلما تحكم فيه الملك فيصل وكمال أدهم.. بل الأكثر من هذا... كما يقول الكتاب... إن هناك عددا من السياسيين الذين أحاطوا بالسادات مثلما يحيط السوار بالمعصم... كانوا يتلقون أموالاً ثابتة من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية والمخابرات العامة السعودية... ويقول أيضًا إن علاقة السادات الخفية مع كمال أدهم كانت بدورها قناة سرية مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ومع هنرى كيسنجر بالتحديد. وهو صديق شخصى لكمال أدهم، والذى كان مهمومًا. باعتباره وزير الخارجية الأمريكي. بإعداد مسرح الشرق الأوسط لحرب باردة ضد السوفييت... وجاء تولى السادات الحكم ليكون اللاعب الرئيسى على هذا المسرح.

ورغم علاقة كمال أدهم الوثيقة بالسادات إلا أن الملك فيصل كان مازال خائفًا من أن يتحول السادات إلى ثعلب سياسى يتلاعب بالسعوديين. وأن يكون فى حقيقته. ناصرآخر. إلا أن كمال أدهم. وهو أخو (عفت) زوجة الملك. أكد للملك بأنه يعرف السادات منذ فترة طويلة وأن عضوية السادات القديمة فى الإخوان تؤكد وجود ميول يمينية لديه، وأن السادات كما يعرفه أدهم جيدا يعشق مظاهر الفخفخة فى الحياة...

وبناء عليه قرر الملك فيصل تعيين كمال أدهم مبعوثا شخصيا بينه وبين أنور السادات...

ولم يكن يمر شهر واحد على وفاة جمال عبدالناصر حتى كان كمال أدهم فى القاهرة يلتقى مع أنور السادات.... وفى هذا الاجتماع قدم كمال أدهم وعدا للسادات بأن السعودية سوف تتكفل له بمساعدات هائلة... وعلاوة على هذا وهو الأهم.... قدم كمال أدهم وعدًا للسادات بأن الولايات المتحدة سوف تساعد مصر فى الحصول على أرضها بشرط واحد هو قيام السادات بفض علاقته مع السوفييت وطرد القوات السوفيتية والكورية الشمالية من مصر

وفى يناير ١٩٧١ أصبح لكمال أدهم وجود دائمًا فى مصر وفى حياة السادات... ولم يكن كمال أدهم مجرد وسيط موفد من الملك فيصل فقط... ولكنه أصبح قناة سرية للتواصل بين السادات وكيسنجر وبين السادات ونيكسون بعيدا عن القنوات الرسمية المعروفة فى وزارة الخارجية المصرية.... وتم إنشاء خط ساخن بين السادات وفيصل.... وأصبح أشرف مروان الذى تولى منصب سكرتير السادات للمعلومات هو المسئول الوحيد عن هذا الخط.

ومن المعروف أن الولايات المتحدة لم يكن لها سفارة فى القاهرة فى ذلك الوقت بعد قطع العلاقات بين القاهرة وواشنطن فى أعقاب هزيمه ١٩٦٧ وثبوت تعاون الولايات المتحدة مع إسرائيل فى تلك الحرب.

وفى مايو ١٩٧١ بدأ السادات بالتخلص من رجال عبدالناصر... بعدما ادعى أن هؤلاء كانوا يخططون للقيام بمؤامرة للإطاحة به ووصفهم بأنهم عملاء

للسوفييت.. (وبمساعدة من أشرف مروان وآخرين) قام السادات بالقبض على رئيس مجلس الأمة ووزير الدفاع وعدد آخر من الوزراء...

ويقول مدير محطة ال ـ سى. آى. إيه ـ فى السعودية. كان السيناريو المتفق عليه بعد التخلص من الناصريين هو طرد القوات السوفيتية والكورية الشمالية من مصر. وهو ما حدث فعلا. بالرغم من احتياج مصر العسكرى للطيارين الروس والكوريين من أجل حماية العمق المصرى من غارت الطيران الإسرائيلى... وللخبراء الروس لتدريب الجيش المصرى على استخدام الأسلحة والمعدات العسكرية الجديدة التى تسلمتها مصر

وبعد قضاء السادات على رجال عبدالناصر بأقل من شهر. قام الملك فيصل بزيارة السادات فى القاهرة. واتفق الاثنان خلال هذه الزيارة على عدة نقاط أساسية:

ـ أن يواصل السادات طريقه فى التخلص من القوات السوفيتية والكورية الموجودة على أرض مصر.

ـ أن يكون هناك تنسيق كامل بينهما فى حالة لو قرر السادات دخول حرب ضد إسرائيل....

ـ الاتفاق على إعادة قيادات الإخوان المسلمين المنفية فى السعودية وفى بلاد أخرى إلى مصر.

وبدءا من صيف ١٩٧١ بدأ السادات فى إطلاق سراح المسجونين من أعضاء هذه الجماعة والسماح لأعضائها بالخارج فى العودة... وكل هذا كان بترتيب خاص من الملك فيصل ومدير مخابراته كمال أدهم...

وقام أعضاء هذه الجماعة يتقدمهم عمر التلمسانى بعد إطلاق سراحهم بالتوجه إلى القصر الجمهورى وتسجيل أسمى آيات الشكر للسادات فى سجل التشريفات الخاص بالرئيس..... وكانت تلك بدايات خروج قوى الإخوان من القمقم الذى فتحه السادات بترتيب خاص من السعودية وال ـ سى. آى. إيه.

وبعد أن وفى السادات بوعوده للملك فيصل وكمال أدهم بالتخلص من رجال عبدالناصر وطرد الخبراء السوفييت من مصر وإعادة الإخوان المسلمين والعفو عنهم. كان يتبقى أن ينفذ الملك فيصل جانبه من اتفاقه مع السادات فى يونيو ١٩٧١. وهو المساعدة فى استعادة الأراضى المصرية المحتلة. خصوصا مع تزايد الضغط الشعبى على السادات لاستعادة هذه الأراضى... ولكن مع الأسف... لم تبرز إسرائيل ولا أمريكا. رغم كل القنوات السرية معهما. أى دلائل على استعدادهما لترك شبه جزيرة سيناء بل سعت إسرائيل فى بناء بعض المستوطنات هناك مستفيدة من توريط السادات لنفسه وحرقه لكل الأوراق التى بيده ما عدا الورقة الأمريكية.

إلا أن الملك فيصل كان مصممًا على عدم وقوع مصر مرة أخرى فى أيدى دعاة القومية العربية. فقام بإصدار عدد من البيانات الصحفية ينتقد فيها سياسه الولايات المتحدة فى العالم العربى لم يهتم بها أحد فى الدوائر الأمريكية المسئولة عن صنع السياسات الأمريكية. وفى صيف ١٩٧٣ قام الملك فيصل بنقل رسالة خاصة لرئيس شركة أرامكو الأمريكى مشيرا فيها إلى المخاطر التى تواجه تدفق البترول من جراء قيام حرب مصرية إسرائيلية. وبرغم ذلك. لم تبال أمريكا ولا كيسنجر بتلك الرسالة.

وعندما فشل الملك فيصل. فى نفس الوقت الذى فشلت فيه اتصالات السادات السرية مع كيسنجر. قرر الاثنان أنه لا مفر من الذهاب للحرب. ويزعم مؤلف الكتاب أن السادات فتح مصر على مصراعيها لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية بمجرد انتهاء حرب اكتوبر ١٩٧٣ معتمدًا على إعلانه انتصار مصر بها. علاوة على أنه سمح لها بوضع أمنه الشخصى تحت حماية عناصرها الموجودة فى القاهرة. إلا أن ال ـ سى. آى. إيه ـ لم تلتفت إلى الجن الذى كانت قد أخرجته من القمقم بمعرفة أنور السادات. وهو جن الأصولية الإسلامية. فقد كان كل هم الأمريكان هو استخدام السادات كرأس حربة فى حربهم الباردة ضد السوفييت... ولما حقق لهم السادات ما أرادوه. تركوه يدفع وحده ثمن إخراج الجن من قمقمه. ويقول السيد صلاح الشاهد فى مذكراته مايلى:

كان عبد الناصر يعرف قدرات السادات السياسية واتصالاته السرية مع أمريكا، ولكنه غض البصر عنها بسبب أنه كان يريد أن يكون خليفته على اتصال وثيق بالإدارة الأمريكية. إلا أنه لم يكن يريد تمكين السادات من المسائل السياسية حتى لا يتفوق عليه!

كان عبد الناصر يعلم ان كل حلول المشكلة فى أيدى أمريكا وكانت هناك اتصالات سرية مباشرة بين مصر والولايات المتحدة، إما عن طريق أنور السادات! أو عن طريق على صبرى! وهذا قول غريب لأن السادات اتهم على صبرى بأنه عميل روسى.

ويستمر صلاح الشاهد فى مذكراته قائلا:

فى فبراير ١٩٧١ ذهبت إلى السعودية لتأدية فريضة الحج... وقبل السفر طلب منى السادات إبلاغ الملك فيصل بضرورة حضوره فى زيارة لمصر؟

وعندما تشرفت بمقابلة الملك فيصل. أبلغته برغبه الرئيس السادات فوافق. ثم طلب منى إبلاغ السادات مايتردد عن قيام بعض قوى مضادة. بتدبير حركة ضد الرئيس السادات؟ وقال لى "قل له خلى بالك من على صبرى وشعراوى جمعه وسامى شرف ومحمد فوزى وضياء الدين داود ولبيب شقير وعبد المحسن أبو النور ومحمد فائق. ولما عدت خشيت إبلاغ الرئيس السادات حيث كانت مقابلتى الأولى فى مكتبه بقصر عابدين وغرفة المكتب بها تسجيل؟ وكانت أمانة الرسالة الإبلاغ فى أول دقيقة أرى فيها الرئيس السادات. فطلبت منه أن يذهب معى إلى دورة المياة لإبداء رأيه فى إصلاحها وأبلغته الرساله همسًا حتى لاتلتقطها أجهزة التنصت. فقال ضاحكا "لا. لا يا أبو صلاح قول كلام غير دة!"وبعد عدة سنوات وفى يوم واحد قدم صلاح الشاهد والفريق الليثى ناصف استقالتهما من ديوان رئاسة الجمهورية والحرس الجمهورى. فقد أراد رئيس الديوان حافظ إسماعيل تنظيم الديوان بحيث يجعل كبير الأمناء وقائد الحرس الجمهورى لا يتصلان بالرئيس إلا عن طريقه هو. ويقول صلاح الشاهد:

لا أنا قبلت هذا الوضع ولا الليثى ناصف قبل هذا الوضع، وقبل السادات استقالتنا لسبب واحد. فقد كان يرسل حافظ إسماعيل إلى أمريكا لإجراء مباحثات سرية.

ومما قاله أيضا. أن الفريق سعد الدين متولى كبير الياوران أكد له قبل أن يلقى السادات اليمين الدستورية أن السادات لن يبقى على أى فرد من الذين عملوا بجانب عبد الناصر فى منصبه. وأنه قد طلب من الرئيس السادات تعيينه سفيرًا لمصر فى أية سفارة؛ لأنه لا يملك ما يعينه على العيش ويستطرد صلاح الشاهد فى كلامه قائلا:

إن من قراءتى للتاريخ ....

إن الذى يقوم بثورة لا بد لقائد هذة الثورة أن يبعد كل من كان معه وآزره فى تلك الثورة. وهذا ما أطلقت عليه الثورة الفرنسية "الثورة تأكل أبناءها". وكان لا بد للسادات أن يبعد الليثى ناصف بعد نجاحه فى اعتقال القيادات الناصرية فى ١٥ مايو ١٩٧١ واستمراره رئيسا لمصر لوبدأ الرئيس أنور السادات مبكرًا في التخلص من حلفائه الذين ساندوه في توطيد حكمه، وضرب مجموعة مايو، حيث لم تمر سنة على الأحداث حتى قام بإزاحة الفريق محمد صادق من قيادة القوات المسلحة، وهو أهم شريك له في انتصاره في صراع مايو ١٩٧١، كما وجد اللواء الليثي ناصف، القائد السابق للحرس الجمهوري والذي اعتقل مجموعة مايو، منتحرًا فى شقته في لندن، حيث ألقى بنفسه من النافذة في ظروف غامضة، كما سجن حليف السادات محمد عبد السلام الزيات... وكان طبيعيًا أن يصل الدور إلى محمد حسنين هيكل، فالسادات اتبع خطة ذكية، وهي التخلص من الذين ساعدوه في إقامة حكمه حتى لا يمنون عليه في أي يوم من الأيام بأنهم شركاؤه، وحتى لا يمارسوا صلاحياتهم القوية التي استمدوها من أدوارهم في أحداث مايو ١٩٧١... لأن السادات لم يكن في حاجة إلى شركاء في السلطة وكان يسير منذ البداية نحو الانفراد بكل شيء، إلا أن أهم ماجاء فى شهادة صلاح الشاهد هو ما قاله عن خزانة عبد الناصر حيث قال فى مذكراته ما يلى:

"كانت فى منزل عبد الناصر خزانتان إحداهما كبيرة بها المصاريف السرية والأخرى صغيرة لحفظ التقارير السرية. والسريه للغاية من الأجهزة الأمنية

والمخابرات التى تعرض فوراً على الرئيس لأهميتها القصوى. وكان لكل تقرير درجة من اللون تبين مدى أهميته.

وبعد وفاة الرئيس عبد الناصر. أبلغت تحية هانم قرينة الرئيس عبد الناصر عن هذه الخزانة وتم فتحها وجردها واستلمت الدولة كل الأموال السرية التى بها.

أما الخزانة الأخرى الصغيرة الحجم. وهى خزانة التقارير السرية. فقد كان كل من محمد أحمد وسامى شرف يحتفظ بمفتاح لها إلى جانب مفتاح مع الرئيس عبد الناصر، وكان بالخزانة تقارير ضد أنور السادات أعدها سامى شرف وأشرف مروان!!...

وهذه التقارير كانت ممكن أن " تودى فى داهية" لو كان السادات قد أمكنه الاطلاع عليها. ولكن بعد وفاة عبد الناصر دخل سامى شرف وفتح الخزانة الصغيرة وأخذ هذه التقارير وأحرقها قبل أن يعلم بها السادات. وتبلغ أهمية هذا الكلام فى أن تلك التقارير الخاصة بأنور السادات والتى "كانت تودى فى داهية" لم يكن يعلم بمضمونها غير شخصين لا ثالث لهما. أولهما هو أشرف مروان. زوج ابنه الرئيس عبد الناصر. ويروى الدكتور محمد عبد السلام الزيات مستشار السادات وأمين اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى وأحد الذين ساندوا السادات بقوة أيامها فى كتابه "السادات القناع والحقيقه" فيقول:

اتصل بى حافظ بدوى رئيس مجلس الشعب ورئيس المحكمة الخاصة التى شكلها السادات لمحاكمة المتهمين فى قضية مراكز القوى وطلب منى موعداً عاجلاً على أن يكون ذلك فى منزلى لأهميه الموضوع وسريته. وجاء حافظ بدوى إلى منزلى فى حالة هلع شديد بادرنى بشكر طويل فى شخصى وبأننى الوحيد الذى يستطيع أن ينقذه من المأزق الذى وقع فيه.

سألته أن يوضح لى الموضوع فقال إن هناك ضغوطًا شديدة على المحكمة للحكم بالإعدام على بعض المتهمين وأن السيد بدوى حمودة رئيس مجلس الدولة قد هدد بالانتحار بإلقاء نفسه من على كوبرى قصر النيل ولكنه عاد واستجاب بعد ضغوط شديدة للحكم بالإعدام بشرط أن يعد السادات وعداً صريحًا

بتخفيف حكم الإعدام. وقال لى حافظ بدوى أننى الوحيد الذى يستطيع أن يحصل من السادات على هذا الوعد، فلم أكن أريد للسادات وأنا مستشاره أن يبدأ عهده بمذبحة دموية تذكرنا بمذبحة المماليك. وفى قضية مهما قيل حولها. فهى قضية سياسية لاتتجاوز صراعًا على السلطة حسم لصالح السادات. كانت قناعتى فى ذلك الحين أنها ليست أكثر من ذلك. ولكن الحقيقة تكشفت لى بعد أن اكتملت الصورة. لقد كانت خطوة على الطريق الذى رسمه السادات. أو رسم للسادات. تتابعت بعدها خطواته على نفس الطريق لتصل بنا إلى ماوصلنا إليه. ويستطرد الدكتور الزيات فى شهادته. فيقول... ذهبت إلى السادات وعرضت عليه بعض المسائل وفاتحته فى الموضوع، سألته إذا كانت هناك نية مبيتة على إعدام أحد المتهمين. فرد على قائلاً: أنه قد عقد العزم على إعدام على صبرى وسامى شرف ولم أستقر بعد على رأى نهائى بشأن الآخرين (وهذا قول فى منتهى الغرابة لأن السيد سامى شرف لم يتفق مع باقى المتهمين على استقالتهم الجماعية أو تآمرهم على السادات. بأمارة أنه سعى لعلى صبرى عند السادات فلماذا أراد السادات إعدام السيد سامى شرف. ما هو السر الحقيقى فى رغبة السادات الغريبة بإعدام السيد سامى شرف؟

حاولت بكل وسيلة هدانى إليها الله أن أثنيه عن نيته واستمرت محاولاتى أكثر من أربع ساعات قصصت له فيها قصصًا من التاريخ، وعرضت عليه مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم وعفوه عن الكفار، وانتقلت من الترغيب إلى التهديد وأنا أشير إلى الإعدام سوف يحول المتهم السياسى إلى شهيد، وأنه سيخلق منهم أبطالا فى التاريخ. وفى هذه الجلسة رأيت وجها جديدًا للسادات أصابنى بالرعب والإحباط وإصراره يزداد وعبارات الكراهية تتكرر على لسانه وهو يردد: أنا انتظرت هذه اللحظة منذ وقت طويل"

وأدركت فجأة بعد ٤ ساعات من محاولة إثنائه عن عزمه استحالة محاولتى ونظرة متعطشة إلى الدماء تطل من عينيه.. انتفضت واقفًا بلا وعى وأنا أقول "يستحيل على وأنا مستشارك أن أتحمل عبء هذا القرار " ولفحتنى أمواج

الكراهية والتهديد وهو ينفجر فى ثورة عارمة قائلا: "إذا كنت تريد الاستقالة فالباب مفتوح ولا تتصور أن لك فضلاً علىَّ وحسابنا سيكون فيما بعد"!

طلبنى السادات بعد ذلك لمقابلته ولم أكد أجلس على مقعدى حتى بادرنى إلى القول إن أحدا من المتهمين لن يعدم وإضاف أنه مضطر إلى تخفيف أحكام الإعدام لأن المحكمة العسكرية التى كانت تحاكم الفريق أول محمد فوزى المتهم الأول فى القضية لم تجد فى القانون العسكرى ما يسمح لها بتوقيع حكم الإعدام على الجرائم التى ارتكبها، وعلى ذلك لم يصبح من المناسب أن يصدق على حكم بالإعدام على المتهمين المدنيين وبنفس الجرائم.

وذهبت إلى منزلى، وأنا أتعجب من هذا الوجه الجديد الذى اكتشفته فى السادات... وبدأت من هذا اليوم آخذ حذرى من السادات!!

الفصل الحادى عشر

اللعبة

فى الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٧١ ألقى الرئيس السادات خطابًا مهمًا فى ذكرى ثورة يوليو وهو العيد ال ١٩ للثورة وهو أول خطاب فى عيد الثورة للسادات منذ توليه الرئاسة، وقد تقدم بصفتيه رئيس الجمهورية، ورئيس الاتحاد الاشتراكى إلى المؤتمر القومى العام الثانى بما سمى ـ وقتئذ ـ برنامج العمل الوطنى وفى آخر الخطاب الذى سرد فيه إنجازات الثورة وإنجازات الاشتراكية المصرية قدم الرئيس تصوره للدولة الجديدة فى ضوء التقرير المفصل مبشرًا المواطنين بالانتهاء من صياغة الدستور الدائم للبلاد الذى يحتوى على دروس التجربة بإيجابياتها وسلبياتها بعد إقراره من المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى واستفتاء الشعب على مواده ومبشرًا أيضًا بعودة اسم مصر بحيث تصبح (جمهورية مصر العربية) بدلا من (الجمهورية العربية المتحدة). تغير اسم مصر كان له دلاله لا تخفى عن العين، السادات كان يبدأ عصر جديد للدولة المصرية وأعاد لها اسمها الذى غاب منذ إقرار دستور الوحدة ما بين مصر وسوريا، وقد بشر أيضا بأن القطاع العام هو قلعة التنمية الاشتراكية فى بلادنا أنه (القطاع القائد) (ص ٣٤ من برنامج العمل الوطنى) ومبشرًا قرب الخاتمة

جمهور المثقفين بأنه الأوان لقيام اتحاد عام للكتاب يضم الأدباء وكتاب السياسة والقانون والاقتصاد واتحاد للفنانين بتخصصاتهم المختلفة (ص ٤٩ من الطبعة ذاتها).

بعد شهر كامل بدأت إضرابات عمال الحديد والصلب في أغسطس، ثم إضراب سائقي التاكسي، ثم سلسلة الحرائق بداية من حريق دار الأوبرا في ٢٨ أكتوبر ووصل عدد الحرائق ـ كما ذكرنا في فصل سابق ـ إلى ٢٨ حريقًا في العام نفسه وتواصلت الحرائق إلى أن وصلت للمحطة اللغز، وهو احتراق سقف جمعية (دار الكتاب المقدس) في المطرية أحد أحياء الشمال الغربي من القاهرة، وهو الحي الذي يقال في التراث الشعبي المصري إن العذراء، مريم لجأت إليه بطفلها عيسى من فلسطين إلى مصر وهو أيضا المكان الذي تراءى في سمائه للبعض عقب هزيمة يونيو ٦٧ ظهور العذراء فأقامت الحكومة ـ حينذاك ـ سرادقًا سياحيًا ومهرجانًا يصل الليل بالنهار، وتؤمه الملايين القادمة لرؤية مريم والتماس شفاعتها أو شفائها من أقصى جنوب البلاد إلى شمالها لم يتوقع الناس مع هذا الحريق تحقيقًا ولا تقريرًا بل اعتبروا أن الأمر حريق سياسي في مستوى جديد أكثر خطورة فالحريق المادي مؤلم، والحريق الحضاري أو القومي موجع وأكثر إيلامًا، أما الحريق الطائفي فكارثة. من هنا كانت المفاجأة والرعب الذي استولى على قلوب المصريين حين سرت الشائعات في البداية ثم تأكدت بأن شيئًا ما احترق دينيًا احترق لإحدى الطوائف المسيحية سواء أكان هذا الشيء جمعية للكتاب المقدس كما هي الحقيقة، أم كنيسة كما شاع الخبر، اعتبر المصريون أن المجهول هو الذي دبر الحرائق الحضارية، قد تجرأ أخيرًا على أن يرفع عمله إلى مستوى الحرائق الدينية، وتأكد في وجدانهم هاجس يقول إن الحريق السياسي مستمر. وكان من الممكن لأجهزة الأمن الداخلي المباحث العامة والمخابرات أن تتعقب وتكشف سر هذه الحرائق في وقت مبكر، لكنّ هناك تقاعسًا مدبرًا كان يحدث وهناك تدبير كان يتم في الخفاء مما أدى إلى انتشار الشائعات، وكانت من أبرز تلك الشائعات اثنتان متضادتان الأولى هي أن ستة من الشبان المسلمين في الإسكندرية قد اعتنقوا المسيحية، ومن ثم فالمطلوب طبقًا للشريعة الإسلامية هو إعدامهم رجمًا بالحجارة، وأضافت الشائعات أن كنيسة الإسكندرية تحولت

إلى قلعة تحمى هؤلاء الشباب الستة احتفالاً متواصلاً باعتناقهم الدين الجديد، أما الشائعة المضادة فتنسب إلى بعض النافذين فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية استدراجهم لبعض الفتيات المسيحيات الفقيرات وتزويجهن عنوة من المسلمين مقابل حمايتهن وإطعامهن وأن هناك جمعيات سرية يقودها أحد كبار المسئولين تقوم بالمهمة ذاتها بوسائل القسر والاختطاف، وحقيقة الحقائق فى الموضوع بأكمله أن البثور الطائفية التى طفحت على جلد النظام لم تكن أصلا من خارجه بل من صلبه، وكان الرئيس السادات هو من وضع دستور مصر الجديد عام ٧١ وهو الذى أضفى على نظامه الشرعية وهو الدستور الأول الذى ينص على أن الشريعة الإسلامية (مصدر رئيسى للتشريع) بالإضافة إلى النص السابق على أن دين الدولة الرسمى الإسلام. وكان السادات هو الذى رتب الأمور بنفسه داخل المؤسسات الشعبية والتشريعية والتنفيذية بحيث تصبح الرموز اليسارية والديمقراطية فى الحكم مجرد واجهة تخفى أكثر مما تعلن، فالرجل الذى حمل الكلاشينكوف ليحمى دخول محمد عبد السلام الزيات صاحب التاريخ اليسارى الوطنى وزارة الإعلام ليلة ١٤ مايو ١٩٧١ محل الوزير المستقيل والمقبوض عليه محمد فايق هذا الرجل كان (يدعى محمد عثمان إسماعيل) وقد شكل هذا الرجل مع اثنين آخرين هما: يوسف مكادى، وأحمد عبد الآخر شيئًا يدعى مجموعة الصعيد داخل اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى الجديد كان كل منهم قد قام بدوره فى أحداث مايو فكوفئ - على الفور - بمنصب ما فى السلطة، ولم يكن لأحد منهم دور فى السياسة المصرية، بل كانت القلة القليلة التى تعرفهم تقول إن أحدهم متهم فى جريمة قتل وإن الآخر متهم فى عدة جرائم اختلاس المال العام، ولم تذكر الصحف علانية إلا هذا الاتهام الأخير ليوسف مكادى، وما كان يجمعهم وآخرين كحامد محمود الذى كان وكيلاً لأحد أمراء الخليج، ثم ترقى فأصبح محافظًا، ثم وزيرًا هو التعصب الدينى الأعمى والتخلف الشديد عن أبسط مقومات روح العصر والعداء المرير لأى فكر عليه شبهة ديمقراطية كانوا مشدودين فى الأغلب إلى تقاليد العشائر القبلية فى صعيد مصر التى اندثرت منذ زمن وكانوا أيضًا من أغنياء الريف الصامدين فى

وجه التقدم، فالخيال الإقطاعى وعلى أية حال كانت هذه المجموعة أشبه ما تكون تنظيمًا داخل التنظيم وأنها تقود العمل من الداخل وفى الظل، وهى تختلف تمامًا عن المجموعة التى تنتمى تاريخيًا الى الإخوان المسلمين ولكن تفكيرها تطور مع الزمن فى اتجاه أقل تعصبًا وأكثر تمدنًا كما هو الحال فى شخصية الدكتور عبد العزيز كامل الذى أصبح وزيرًا للأوقاف وشئون الأزهر، ووصل إلى درجة نائب رئيس الوزراء، وكما هو الحال فى شخصية الدكتور أحمد كمال أبو المجد الذى كان أمينًا للشئون الدينية بالاتحاد الاشتراكى فوزيرًا للشباب ثم وزيرًا للإعلام. أما مجموعة الصعيد، فقد كانت مجموعة العمل الحقيقية وكان أخطر ما صدر عنها من تصريحات فى هذه الفترة هو ما قاله محمد عثمان إسماعيل فى اجتماع علنى لأعضاء الاتحاد الاشتراكى بمحافظة بنى سويف، وعاد فردده فى المكتب التنفيذى لأمانة العاصمة من أن أعداء مصر ثلاثة هم: المسيحيون أولا، والشيوعيون ثانيًا، واليهود ثالثًا ولم يعرف المصريون أن محمد إسماعيل عثمان كان مؤسس التنظيمات الدينية المتطرفة وسط الشباب وخاصة فى الجامعات، وهو الذى كان يمدهم بالمال والسلاح ويتيح لهم فرص التدريب الرسمى فى معسكرات أجهزة الأمن ويحميهم وقت اللزوم، كما حدث حين جرح أحد الطلاب المنتمين إلى هذه الجمعيات زميلاً له بمطواة، واعترف فى الشرطة بأنه مكلف من الاتحاد الاشتراكى بالدفاع عن الدين ومحاربة الإلحاد والشيوعية والناصرية. ومن هنا بدأت السيطرة الدينية بمختلف طوائفها على المشهد المصر حتى أن السادات نفسه هو أول من سمح بأن يخلعوا عليه لقب الرئيس المؤمن وأن تركز الكاميرات وهو يصلى وأن تظهر علامة الصلاة فى جبهته بمد الخطوط ما بين مشروع أيزنهاور فى مطلع ١٩٥٢ الذى عطله عبد الناصر بتدخله بإفشال حلف بغداد إلى مسار السادات ونمد الخيط أكثر وأكثر ليعبر السنوات حتى عام ٢٠١٢ وهو العام الذى تولى فيه الدكتور محمد مرسى رئاسة البلاد تحت معطف الإخوان المسلمين بتأييد أمريكى كامل نرى بوضوح أن هناك تهيئة مناخ عام يستقبل ذلك النجاح الذى خطط له الأمريكان، وكان سائرًا إلى التحقيق مع تطور أدواته وخططه مع تغيرات الزمن، كان السادات يتعامل مع الوضع الخارجى حوله

بسياسة الأقوى وهو القائل دائمًا إن كل أوراق اللعبة فى أيدى الأمريكان، وهم رأوا فيه الحاكم الفعلى القادر على إنهاء أسطورة الاتحاد السوفيتى من كل المنطقة تمامًا كما ساندوا عبد الناصر؛ لأنه سيقضى على الإمبراطوريتين القديمتين البريطانية والفرنسية فى حرب العدوان الثلاثى، اثنان من حكام مصر كانا يتبادلان المصالح هم يد الولايات المتحدة فى القضاء على الأعداء التقليديين ودخول الإمبراطورية الجديدة الى الشرق الأوسط. لكن فى ذلك التوقيت من عام ٧١ كان الأمريكان يريدون خطوات أقوى وأسرع لتحقيق الدخول الآمن للشرق الأوسط عن طريق مصر وهى الدولة التى دخلت فى خصومات سياسية واجتماعية واقتصادية وتحالفات مضادة للغرب الرأسمالى ولم يكتف السادات بإرسال الرسائل إلى الأمريكان ليحدث التقارب والتحالف، بل والوقوع فى أحضان الأمريكان لم يكتف بإرسال تلك الرسائل مع مبعوثين خاصين أو بتحركات لها دلالة كالقضاء على الشيوعية فى مصر وضرب رموزها بل أرسل رسالة سريعة هى من شأنها أن تمهد الطريق سريعًا وتمهد الأرض إلى دخول فكر الأمريكان قولاً وفعلاً معنويًا وماديًا فى الإمبراطورية التى لا يوجد لها مصالح أو شركات فى أكبر دولة فى الشرق الأوسط كمصر، وكان على السادات أن يمهد لا من منبع التابع أو العميل أو حتى الخائن كما أطلق عليه الكثيرون، لكن من نابع مصالح البلاد العليا كما كان يراها هو فقد كان مؤمنًا بأن التجربة الاشتراكية لا تجلب غير الفقر للدولة ولمعتنقيها، وهنا التقى الاثنان فى نقطة مهمة ونادرة ولكل غرض، الأول باق ومستمر وممتد امتداد عمر الإمبراطورية الأمريكية، والثانية ممتدة بامتداد حكم السادات ومن يخلفه من المؤسسة العسكرية، وهى بعمر الشعوب قصيرة الأمد وقد انتهت بصعود الإخوان المسلمين عرش مصر وهو نجاح لفكر أيزنهاور الذى من المؤكد أنه لو عاش ورأى بعين رأسه تولى رجل من الإخوان المسلمين رئاسة مصر من المؤكد أنه كان لا يتحرج فى أن يرقص علنًا ويشرب نخب الانتصار الأمريكى البعيد المدى تلك اللحظة الفاصلة فى عمر الشرق الأوسط وفى عمر مصر وهى اللحظة التى من المؤكد أن شرب فيها كل قيادات السى اى ايه نخب الانتصار والوقوف لأداء التحية العسكرية للقادة ممن وصل خيالهم لتلك اللحظة.

الأرض وقت صعد السادات للحكم لم تكن ممهدة لدخول الأمريكان المجهول كان يحكم مصر وقد بدأ تعريف ذلك المجهول فى العام ١٩٧١ بقرارين خطرين هما صدور قانون الاستثمارات الأجنبية والعربية فى سبتمبر ١٩٧١، والآخر إعلان سنة الحسم مع العدو الإسرائيلى، وكان قانون الاستثمار لرؤوس الأموال الأجنبية والعربية فى سبتمبر هو المقدمة الاقتصادية الأولى لتأسيس دخول الغرب إلى أرض مصر عن طريق الاقتصاد، فقد سمح القانون بحرية دخول رؤوس الأموال العربية والأجنبية وخروجها بضمانات محددة ضد المصادرة أو التأميم ومنحها تيسيرات جمركية وضريبية تصل فى بعض الحالات إلى درجة الإعفاء ولم يحدد لها أي مجالات للاستثمار ولم يحرمها من ملكية الأراضى، وكان من الطبيعى أن تراعى رؤوس الأموال المصرية فى هذا السياق فصُدرت فى الوقت نفسه قرارات تحرير الاستيراد والتصدير من قيود التخطيط المركزى للصادرات والواردات وشروط التعامل مع الخارج ومقومات تحديد الأسعار وأنواع السلع وأوضاع السوق. وقد نتج عن ذلك مباشرة إعادة صياغة للنظام، وهى التغيير النوعى الثانى فى بنية السلطة. هكذا سار السادات على النهج الذى اختاره لنفسه ولدولته التى يحكمها، وغير اتجاه الدفة إلى حيث تسير المخططات، إلى أن جاءت حرب أكتوبر وقد قامت العسكرية المصرية بدور تاريخى فى الحرب، بل إن الشعب المصرى قام بدور بطولى، ولكن المسافة ما بين الوجه العسكرى والوجه السياسى للحرب يظلم مصر كلها؛ لأن قرار الحرب الذى اتخذه الشعب العربى فى مصر كان يستهدف شيئًا نقيضًا للتنفيذ، ومن الجلى أن القوات المسلحة المصرية كانت تعى مضمون القرار الشعبى ولا علاقة لها بنوايا القرار السياسى، وحين كانت تكتشف نتفًا من هذه النوايا وتعترض عليها بالقول أو الفعل كانت تلقى المصير المحتوم لأى معارضين كما هو الحال فى واقعة الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس أركان الجيش المصرى فى حرب أكتوبر، فالشعب المصرى والجيش هما المسئولان عن الوجه الإيجابى الخلاق للأسبوع الأول من حرب أكتوبر ١٩٧٣، والرئيس وحده هو المسئول عن المعادلة التى ظن أنه يستطيع أن يخرجها من الميدان إلى مائدة المفاوضات. ويستطيع الرئيس السادات

والسلفيون العرب والأمريكيون وإسرائيل جميعًا القول إنهم انتصروا (بهذه) الحرب، لا (فى هذه) الحرب فقد تمكنوا من توظيفها لتحقيق مخططات كل منهم على حدة والحد الأدنى من خططهم مجتمعة، فقد كرست للرئيس السادات نظامه الشرعى فامتص الغضب الشعبى العام لأمد طويل، وتمكن من الإفصاح عن الأسس الاقتصادية والاجتماعية والفكرية للنظام الجديد، وكرست للولايات المتحدة السيطرة الكاملة على موارد النفط وطرق مواصلاته ليس فقط من أجل مواجهة أزمة الطاقة، ولكن لفرض مزيد من السيطرة على دول أوربا الغربية واليابان التى تعتمد بشكل أساسى على بترول الشرق الأوسط وذلك لمعالجة المشكلات النقدية المترتبة على العجز فى ميزان مدفوعاتها وكرست للدول المنتجة للنفط من العرب المحافظين دورًا قياديًا فى أحداث المنطقة وكرست لإسرائيل زمام المبادرة الاستراتيجية من جديد، ومن هنا بدأت خطوط الاتصال تهتز من كثرة تدفق حرارة البث، بث الإرسال والاستقبال. هنا دخلت مصر ومن خلفها العالم كله منعطفًا جديدًا ورسمت خريطة جديدة للشرق الأوسط. من هنا كان السادات يبدأ، ومن هنا كانت أمريكا تبدأ ومن هنا بدأت إسرائيل الخطوط المتوازية كانت تسير بسرعة الصاروخ، وإن كان عامل الوقت لا يسعف السادات فهو يعلم جيدًا أنه جزء من اللعبة وليس كل اللعبة منذ أن قام بإرسال حافظ إسماعيل إلى واشنطن لجس نبض الولايات المتحدة الأمريكية قبل حرب أكتوبر فقيل له بلهجة دبلوماسية مهذبة إنكم أمام خيارين أحدهما أنكم مهزومون وعليكم قبول شروط الهزيمة، والآخر أن تتحركوا حتى نتحرك وكان المعنى ذاته تقريبًا فى تصريحات زعماء أوربا الغربية وخاصة فرنسا. ومن هنا كانت حرب أكتوبر المجيدة وقد أعلنت القيادة السياسية المصرية بعد ثغرة الدفرسوار أنها لا تستطيع محاربة أمريكا ولذلك فهى قبلت النقاط الست لاتفاق فصل القوات الأول، وهو الاتفاق الذى أتمه كيسنجر عندما وضع قدمه لأول مرة على أرض مصر وكان من ثمار دخوله هو عودة العلاقات الدلوماسية بين القاهرة وواشنطن وزيارة نيكسون الخرافية وما واكبها من اتفاقيات وأحلام اقتصادية، ولقد كان إعلان المبادئ المشتركة الذى وقع أثناء الزيارة بمثابة المعاهدة البديلة لاتفاق

الصداقة بين مصر والاتحاد السوفيتى الذى جمد عمليًا وهوجم رسميًا أى أنه كان الوجه الآخر لطرد الخبراء السوفييت، منذ تلك اللحظة وأصبح أمن النظام وأمن الرئيس قضية أساسية وحيوية لضمان استمرار سياسات مستجدة طرأت على الظروف التى أحاطت بالأسبوع الثانى من حرب أكتوبر وتداعياتها، وقد جرى طرح موضوع الأمن والتأمين للمرة الأولى أثناء اجتماع بين الرئيس السادات وبين وزير الخارجية الأمريكى هنرية كيسنجر فى استراحة أسوان يوم ١٢ يناير ١٩٧٤ وكان تقدير الرجلين معًا أن التحولات الكبرى فى مصر والسياسات المستجدة على استراتيجيتها بعد حرب أكتوبر تقتضى إجراءات حماية واسعة للرئيس وللنظام حتى تتمكن تلك التحولات وتترسخ وكان المدخل إلى طرح موضوع الأمن والتأمين أن الرئيس السادات توصل إلى قناعات نهائية فى قراءته لشكل المستقبل فى مصر وهو مقتنع كل الاقتناع بموجباتها، وقد طرح وجهة نظره فيها بطريقة قاطعة أن المستقبل لأمريكا وهو يريد أن تكون مصر فى هذا المستقبل مع أمريكا وليس غيرها وأنه ترتيبًا على ذلك فإنه سوف يتخذ فى سياساته الدولية والعربية منهجًا يختلف عما جرت عليه السياسة المصرية من قبل، ثم إنه وبمقتضى اختياراته بعد حرب أكتوبر على استعداد من الآن للتحرك نحو سياساته الجديدة وحده دون انتظار بقية العالم العربى، ثم إنه سوف يصطف مع الولايات المتحدة فى مواجهة السوفييت. ورغم أنه يبدو بوصول كيسنجر إلى مصر وتبعه نيكسون أن الولايات المتحدة الأمريكية اقتربت من بداية نهاية اللعبة ونجاح دخولها مصر فإنها كانت بداية اللعبة، واقتراب نهاية السادات، كان لا بد من انتهاء السادات سريعًا، عليه أن ينجز سريعًا ما خطط له وما يتوافق مع الخطط الأمريكية والإسرائيلية لكن الخوف كل الخوف كان من شخصية السادات ذاتها الذى لايرضى أن يقتسم أحد معه السلطة أو يسرق نجاحه أو يدخل فى صفقات مشبوهة كالتى دخل فيها الإخوان بعد رحيله بثلاثين عامًا، ترك كيسنجر السادات وعاد إلى بلاده يتباحث وعاد إلى مصر فى ١٢ يناير ١٩٧٤ والتقى السادات، كان جاهزًا بخطة أمن رآها ضرورية للرجل المقبل على مخاطر تحول أساسى فى اتجاه مصر وللاستراتيجية الجديدة التى تحمل مسئولية سياستها!

الفصل الثانى عشر

الحماية الأمريكية المزيفة

لقد خذلناه حيًّا ومجدناه ميتًا. قال لوشيوس باتل سفير أمريكا السابق فى مصر منذ سنة ١٩٦٤ حتى قطع العلاقات مع أمريكا فى يونيو ١٩٦٧ عن تقييمه لموقف أمريكا من أنور السادات، وقد قال بعد موت عبد الناصر. لم يكن لدينا ـ نحن الذين فى قسم رعاية المصالح الأمريكية فى القاهرة ـ ما يدعو كثيرًا للابتهاج بخلافة السادات لعبد الناصر. ورغم سمعة السادات بأنه كان تابعًا مطيعًا لعبد الناصر، فقد كانت لدينا أسباب قوية للاعتقاد بأن السادات كان أكثر تشددًا وأنه ثورى خيالى ومتآمر عنيد، ويقول رونالد برجس ـ رئيس قسم رعاية المصالح الأمريكية فى مصر ـ عندما قطعت مصر علاقتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة، وكان أول اتصال رسمى أمريكى مع السادات بعد توليه القيادة فى اليوم التالى لجنازة عبد الناصر، وقد استقبل السادات الوفد الأمريكى الذى أرسل للاشتراك فى هذه المناسبة، أظهر السادات سجايا يأمل الإنسان أن يجدها فى أى زعيم ثقة هادئ النفس وسلام فى أعماقه وكرامة، وقد قال لنا إنه لم يكن موافقًا على رغبة عبد الناصر فى الوصول إلى حل سلمى للصراع مع إسرائيل لكنه سيبذل كل ما فى وسعه وجهده لتنفيذ رغبات عبد الناصر، وقال إنه يعرف

أن هناك مشكلات صعبة بين البلدين، ولكنه يعتقد بأننا سوف نناقشها كأصدقاء ويمضى بيرجس قائلا: واتسمت الشهور الثلاثة التالية بتغييرات فى الداخل وفى علاقات مصر مع بعض جاراتها فى المنطقة، وقد تقلص القمع الداخلى بدرجة كبيرة وتم فصل الفنيين من الألمان الشرقيين الذين كانوا يساعدون فى تنظيم وزارة الداخلية على غرار الجستابو، وقد رأينا صورة فى الصحف للسادات وهو يحرق ملايين من الأفلام وشرائط التنصت السرية، وسرعان ما أقام السادات علاقة حارة ورقيقة مع الملك فيصل عاهل السعودية، وأنهى الحزازات المصرية مع شاه إيران التى دامت عشر سنوات، ولكن هذه التطورات لم يكن لها أثر كبير للأسف فى صانعى السياسة فى واشنطن. وعندما نقرأ رسالة السادات الشفهية إلى نيكسون فى ٢٤ ديسمبر ١٩٧٠ نعرف إلى أى مدى كان يفكر السادات، وكيف كان قارئًا جيدًا للأغراض الأمريكية فى المنطقة قال السادات ـ كما ذكر بيرجس فى مذكراته ـ: إن الولايات المتحدة الأمريكية تريد من المصريين أن يتصرفوا كشعب مهزوم لأنها تعتقد أن مصر خسرت الحرب، ولكن الصحيح هو أن مصر خسرت معركة. فقط لقد جلبت مصر الاتحاد السوفيتى إلى الشرق الأوسط فى عام ١٩٥٥ لمواجهة الجهود الأمريكية لاحتواء مصر، ولكن مصر لن تقبل السيطرة السوفيتية أن مصر تقدم تسهيلات لا قواعد للاتحاد السوفيتى مصر لن تستسلم أبدًا. ولكننا على استعداد للتفهم والمناقشة بقلب مفتوح وذهن متفتح فيما يجب عمله من أجل السلام إننى مستعد للذهاب إلى أى مكان فى العالم إذا كان هذا سينقذ روحًا مصرية واحدة من الجراح أو القتل. لا تأخذوا تصريحاتى العلنية فى احتمال إنهاء وقف إطلاق النار على أنها مناورة أو مجرد تصريحات للعرب أو للاستهلاك المحلى. إن مصر لن تسمح أبدًا بوضع حقها فى استعادة سيناء فى الثلاجة أو أن يصبح مسألة طويلة المدة كالحرب الباردة. لن نترك الأمور تسير بتثاقل لمدة عشرين عامًا كما فعل الفلسطينيون؛ إن هناك شيئين يجعلان المصريين يقاتلون حتى الموت هما.. الأرض والكرامة، ويمضى بيرجس قائلاً ولسوء الحظ إنه بينما كان عام ١٩٧١ يمضى ببطء أصبح فحوى ما كانت تطلب منى واشنطن قوله للسادات أكثر كراهية لنفسى حتى إننى بدأت أفزع من اجتماع السادات

معى. ففى خلال عام كنا نشترك فى حوار بين الصم لقد اتخذ السادات خطوتين جريئتين من أجل السلام فى أول يناير ١٩٧١، وأصبح أول زعيم عربى يذكر علنًا أن بلاده مستعدة لتوقيع اتفاقية صلح مع إسرائيل وفى فبراير أعلن مبادرته لاتفاق مؤقت على طول قناة السويس هو جزء من اتفاق سلام شامل بعد ذلك وقد أوضح فى المناقشات معنا أن قبول إسرائيل لمبادرته وإعادة الملاحة لقناة السويس سوف يتضمن بالضرورة تخلى مصر الفعال عن الخيار العسكرى ضد إسرائيل. ولكن خطوات السادات للأمام فشلت وحمل فشلها تدهور العلاقات مع أمريكا وأسباب ذلك كثيرة. ومنها انزعاج الحكومة الإسرائيلية من احتمال ضياع احتكارها للمبادأة بالسلام، وقالت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل فى تهكم (فجأة أصبح السادات ملاكًا) كما أن رد الحكومة الأمريكية كان ملوثًا بغبار السياسة الداخلية من النفوذ اليهودى، ثم الصراع فى القيادة العليا فى البيت الأبيض كما أن إسرائيل وأمريكا عملتا على أساس الافتراض الخاطئ بأن السادات لا يملك أى خيار عسكرى وأن مصر دولة مهزومة تمامًا ولم تعرف أمريكا عكس ذلك إلا فى أكتوبر ١٩٧٣. والحق أن الولايات المتحدة الأمريكية خذلت أنور السادات كثيرًا فى حياته منذ أن بدأ مسئوليته الأولى كرئيس للدولة بعد عبد الناصر وعلى مدى التعامل مع أربعة رؤساء (نيكسون ـ فورد ـ كارتر ـ ريجان) وكان السادات ضائقًا بالغ الضيق بهذا الوضع، وقد قال ذات مرة للسفير ايلتس بعد إحدى الأزمات: لقد قمت بدور المعلم لرؤساء أمريكا وسئمت هذا الدور، وفى ظل شعور السادات بأن أمريكا خذلته وخاصة فى السنوات الثلاثة الأخيرة. حمل كيسنجر معه إلى واشنطن ما سمعه من الرئيس السادات وهناك جرى بحثه وعاد مرة أخرى إلى مصر يوم ١٢ يناير ١٩٧٤ والتقى الرئيس السادات فى استراحة الرئاسة وراء خزان أسوان القديم، وكان الرئيس السادات مازال على موقفه وكان كيسنجر جاهزًا بخطة أمن رآها ضرورية للرجل المقبل على مخاطر تحول أساسى فى اتجاه مصر وللاستراتيجية الجديدة التى تحمل مسئولية سياستها وعرض كيسنجر فى هذا الاجتماع الثانى على الرئيس السادات خطة أمن وتأمين يتم تنفيذها على ثلاثة محاور:

١ ـ الأمن الشخصى للرئيس وهو يقتضى إعادة تنظيم حراسة إماكن أقامته فى أى مكان وفى أى وقت.

٢ ـ الأمن الإقليمى للدولة فى حركتها على الخطوط الاستراتيجية الجديدة وهى تشمل عنصرين:

ـ أن يكون البلد تحت مظلة منظومة الدفاع الإقليمى الذى تشرف عليه القيادة المركزية الأمريكية المكلفة بالدفاع عن الشرق الأوسط.

ـ أن تتواكب مع هذه المظلة العسكرية مظلة أمنية هى شبكة المخابرات الكبرى فى المنطقة التى تتلاقى فى إطارها جهود الوكالتين الرئيسيتين وهما:

ـ وكالة المخابرات المركزية الأمريكية العاملة مع مجلس الأمن القومى فى البيت الأبيض.

ـ وكالة الأمن الوطنى العاملة فى إطاره وزارة الدفاع الأمريكية وهى وكالة nsa وكذلك يكون الغطاء شاملاً مدنيًا وعسكريًا عابرًا للحدود بين الدول نافذًا إلى العمق داخل هذه الدول.

٣ ـ وبعد الأمن الشخصى للرئيس والأمن الإقليمى للدولة يجىء الدور ثالثًا فى خطة كيسنجر على الأمن الاجتماعى للنظام وهو الآن يقتضى إعادة الهندسة الاجتماعية وخلق طبقات جديدة تسند التوجهات الجديدة بأسرع ما يمكن.

كان الأمن الشخصى للرئيس هو البند الأول على القائمة، وقد اقترح كيسنجر أن تجىء إلى القاهرة مجموعة خاصة من الخبراء تقوم بمهمة متعددة الجوانب:

ـ مباشرة نظام الحماية المخصص للرئيس على الفور.

ـ إعادة تدريب قوة الحراسة الرئاسية على أحدث وسائل وأساليب الحماية.

ـ وضع خطة دائمة لإجراءات وضمانات الأمن المطلوب للرئيس.

وبالفعل فإن هنرى كيسنجر بعد سفره من أسوان بعشرة أيام بعث إلى وزير الخارجية السيد إسماعيل فهمى برقية شفوية لإبلاغه أن بعثة على مستوى فنى

متقدم سوف تجيء إلى القاهرة لوضع خطة كاملة لتأمين الرئيس ـ ولم تكن هذه المسألة من اختصاص وزير الخارجية المصرى لكنه وقد حضر جانبًا من اجتماع أسوان الذى عرض فيه الموضوع كان هو الطرف الذى آثر كيسنجر أن يوجه إليه الرد وفى الحقيقة فإنه كان يجب أن يوجه للسيد حافظ إسماعيل مستشار الأمن القومى والمسئول عن نظام العمل فى الرئاسة، لكن لم يكن حافظ إسماعيل حاضرًا ذلك الاجتماع فى أسوان.

وقد أرسل كيسنجر فريق العمل المكون من جورج كيثان وهو خبير فى شئون الحماية الشخصية. وبول لويس وهو خبير فى شئون مقاومة التنصت. وهيووارد وهو متخصص فى تدريب المسئولين عن الحماية الشخصية. وتقاطرت على مصر وفود من خبراء الأمن وظل بعضها فى مصر لمدة سنتين تم أثناءها وضع الخطط اللازمة لهذا الجزء من خطة الأمن وهو المتعلق بالحماية الشخصية للرئيس والإشراف على تطبيقها عمليًا، ثم وضع ترتيبات دائمة لأمن الرئيس، وكانت خطة الأمن الخاص أوسع من مجرد تشديد الحراسة حول الرئيس حيث يكون أو حين يتحرك، فقد كان بين بنودها إجراءات تواجه احتمالات مفاجآت غير متوقعة، ثم قائمة إجراءات تحقق مطالب الأمن المحتملة فى حياة كل يوم، وبدت بعض الإجراءات مشددة وأوسع مجالاً من المتعارف عليه. ومنها حرس خاص وسلاح مختلف وتدريب أعلى وقيود وحدود تطبق فى أى مكان يوجد فيه الرئيس مع ضرورة تأمين أى موقع يحل فيه قبل دخوله إليه بست وثلاثين ساعة على الأقل. وكان البند الثالث فى خطة الأمن والتأمين اجتماعيًا واقتصاديًا وكذلك فكريًا وثقافيًا وقد قال كيسنجر فى ذلك لمحمد حسنين هيكل إن الظروف المستجدة على استراتيجية مصر بالفعل تفتح المجال لظهور طبقة أو جماعات اجتماعية تؤيد السياسات الجديدة وتسندها ورأى الجميع أن تلك عملية ممكنة ومقبولة، لأن مصر تواجه فراغًا طبقيًا، فقد قام عبد الناصر بتصفية الملكيات الكبيرة للأراضى وبتأميم كثير من شركات التجارة الخارجية والبنوك، ونفذت خطة كيسنجر لتأمين الرئيس السادات، ومرت السنوات منذ بداية خطة التأمين وتوالت الأحداث وطرأت متغيرات داخلية وخارجية لكن المقادير ضربت ضربتها

يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١ ووقع اغتيال السادات على منصة العرض العسكرى وبواسطة ضابط فى القوات المسلحة بيده مدفع رشاش من صنع روسى وفى جيبه طبنجة من صنع أمريكى!

الهوامش

١ ـ خطاب الرئيس السادات أمام مجلس الأمة
فى ٢٠ مايو ١٩٧١ (ثورة التصحيح)

لو أذنتم لي وأذن السيد رئيس المجلس، أريد أن أتحدث إليكم كما تحدثت إلى الأمة من قبل حديثًا من القلب إلى القلب. فالمجال في الحقيقة ليس مجال للخطابة. من أجل ذلك أرجو أن تأذنوا لي في أن أحدثكم من هذه المنصة.

بسم الله رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

قبل ما أبدأ حديثي لكم وأكمل بقية القصة أريد أن أقول للشعب من خلالكم مانيش عايز أقول لكم أنتم بس أنا عايز أقول للشعب من خلالكم أن جلستكم اللي تحدث عنها السيد رئيس المجلس اللي عقدتوها على الفور واتخذتم فيها قراراتكم، تاني يوم بوحي من إرادتكم ومشاعركم، عايز أقول لكم زي ما حايجي في كلامي علشان وأنا بأحكي عن بقية الحقائق عايز أقول لكم إنكم حققتم أمنية لعبدالناصر.

صححتم وأنتم بإحساسكم التلقائي المستمد من إحساس شعبنا اللي لا يمكن أن يخطئ أبدًا، صححتم ما كان عبدالناصر مصرًا أن يصححه وسأحكي لكم عنه. ولكن اليوم وأنا جاي علشان أتحدث إليكم لابد أن يكون حديثنا على مستوى أحداث الساعة وعلى مستوى المسئولية التي نحملها جميعًا تجاه شعبنا. شعب ٢٣ يوليه شعب ٩ و١٠ يونيه، وشعب ١٥ مايو.

أيها الإخوة والأخوات: نريد الآن أن نتطلع إلى المستقبل. المستقبل هو الأولى باهتمامنا وحين نتطلع إلى المستقبل فلا شيء إلاّ المعركة.. المعركة هي الأولى بتركيزي، ونريد أن نواصل مسيرة جمال عبدالناصر. فهي طريقه، ونريد أن نفتح الطريق أمام زحف تحالف قوى الشعب العاملة صانعة الحرب وصاحبة الاشتراكية ورائدة الوحدة.

لا نريد أن نتوقف طويلاً عند ما حدث خلال أربع وعشرين ساعة في الأسبوع الماضي، ولو أنني سوف أتحدث إليكم فيه قليلاً ولكن يجب ألاّ نتوقف عنده.

لقد تعرضنا ولساعات قليلة فقط لخطر الانحراف عن طريق عبدالناصر. ولكنكم وشعبنا كله قَوَّم هذا الانحراف وصححه ويجب إن يستقيم بعد ذلك خطنا، ويجب أن يزداد عمقًا وأن يزداد اندفاعًا، وأقولها للتاريخ أن عملية التصحيح التي قام بها الشعب في ١٥ مايو في الأسبوع الماضي، لا تصنع زعامة جديدة لأنور السادات، ولا تعطي قيادة جديدة لأنور السادات.. ولكن قيمتها وأصالتها أنها تعطي القيادة والزعامة، ويجب أن تعطي القيادة والزعامة لتحالف قوى الشعب العاملة.

هذه بداية.. بغيرها نخطئ ولا يجب أن نخطئ أبدًا.. وهذه علامة يجب أن نضعها أمامنا، بل هي علم يجب أن نرفعه فوق رؤوسنا حتى لا نخطئ أو نتوه.. أو يخطئ غيرنا ويتوه.. بكلمات بسيطة.. نحن على الطريق.. نحن على المسيرة.. نحن على الهدف استمرارًا واتصالاً.. ارتباطًا وعهدًا.. من يوم انتصار الثورة في يوليه ١٩٥٢ إلى انتصار الوطنية في حرب السويس سنة ١٩٥٦.. إلى انتصار الاشتراكية في قوانين يوليه المجيدة سنة ١٩٦١.. إلى انتصار ميثاق العمل الوطني في سنة ١٩٦٢.. إلى انتصار يومي ٩ و١٠ يونيه ١٩٦٧.. إلى انتصار بيان ٣٠ مارس سنة ١٩٦٨.. إلى انتصار إرادة الإنسان الحر.. إلى انتصار ١٥ مايو سنة ١٩٧١.

هذه هي معالم الطريق وهي أعلامه لكي لا نخطئ أو يخطئ غيرنا.. لكي لا نتوه أو يتوه غيرنا.. ليس أمامنا من معركة اليوم ومن شاغل ولا يجب أن يكون أمامنا من شاغل اليوم إلاّ المعركة والمعركة وحدها.

من أجل ذلك فإنني أريد أن أتحدث إليكم عن المعركة في بداية حديثي الذي سأقسمه إلى قسمين.. القسم الأول عن المعركة، والقسم الثاني عن بناء الدولة الجديدة، ثم الختام.

أوراق الخريف

زي ما قلت لكم في اجتماع الهيئة البرلمانية وزي ما قلت لكم أنا فخور بكم مرة أخرى دلوقتي باقولها.. كان مقرر زي ما أظهرت التحقيقات وأنا في هذا ما بتعرضش للتحقيق لأنه في يد النائب العام.. إنما كان مقرر أن اجتماع الهيئة البرلمانية اللي فات يكون صورة من صور التهريج اللي أنا حكيت لكم عنها وحصلت في اللجنة المركزية، واجتمعوا وقرروا ووزعوا الأدوار، كل ده ماشي في التحقيقات الآن، وبيتساقطوا زي ما تتساقط أوراق الخريف تمامًا.

ولكن شيء واحد منعهم زي ما قلت لكم في حديثي اللي فات عن التسجيل خافوا أن يثيروا شيء لأن إرادتكم كانت حتسحقهم.. قالوا كده.

كل يوم بتظهر أشياء جديدة وبتفتح جوانب مؤلمة ورهيبة، ولكن إرادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ وصلابة شعبنا وأصالته ووعيه.

البناء العسكري

أعود إلى المعركة وزي ما حكيت لكم في الهيئة البرلمانية من أول يوم بعد ٦٧ وإحنا بنسير في خطين متوازيين: الخط الأول هو البناء العسكري، والخط الثاني هو البناء السياسي.. هذا المجلس لما أتخذ قراره في ١٠ يونيه وفوض جمال عبدالناصر أن يعيد البناء العسكري والبناء السياسي.. ومن أول لحظة قرار المجلس كان يوم ١٠ يونيه ٦٧، يوم ١١ يوليه سنة ٦٧ كان جمال بيبدأ في بناء البناء العسكري مرة أخرى. وأمكن لنا في خلال خمسة أشهر فقط أي في ٢٣ نوفمبر ٦٧ أن نقدم أول خط دفاعي كامل بدراسة من بلدنا، أي شيء خمسة أشهر فقط جهد وعرق قاموا به أبناؤنا في القوات المسلحة حنفضل نزكر لهم عبر التاريخ، مش بس هذا، لا في خلال الشهور الخمسة دي وإحنا في مرارة الهزيمة وآلامها عملوا معركة رأس العش، ولما تذكر لكم تفاصيل معركة رأس العش حانفخر كلنا برغم ألم ومرارة الهزيمة ونفخر بجيشنا وأبنائنا وأولادنا. وقبل ما يقوم الخط في ٢٣ نوفمبر في أكتوبر انضربت أكبر مركب حربي عند اليهود الإسرائيليين وهي إيلات لأول مرة في تاريخ البحرية في العالم بصاروخ سجل لنا هذا في تاريخ العالم.

البناء السياسي

كان ماشي البناء العسكري، وضع له جمال ـ الله يرحمه ـ الجدول الزمني لإعداد القوات في ٢٣ نوفمبر زي ما قلت لكم كان انتهى أول خط وقام وقف من إدارة النقض بدأ إعداد القوات ولازم أذكر هنا لكم في بيت الشعب وكممثلي للشعب وحملة رسالة عبدالناصر اللي أدعى البعض أنهم حملتها وطردتموهم من صفوفكم لأزم أذكر لكم هنا أنه ما كان حايتيسر لنا أن ندبر في هذا البناء إلاّ بمعونة صديق شريف وهو الاتحاد السوفيتي.

مضينا سنة ٦٨ وحصلت الأحداث اللي حصلت فيها وكان الرئيس فرغ من وضع الجدول الزمني علشان البناء العسكري، وبدأ يخطط علشان البناء السياسي، وكانت الأحداث اللي وقعت في ٦٨ واللي حاول بعض العناصر استغلالها وجه بيان ٣٠ مارس وحصل انتخابات من القاعدة إلى القمة بالاتحاد الاشتراكي. في نفس هذا الوقت وبالتوازي تمامًا كان ماشي البناء العسكري. البناء السياسي ماشي والبناء العسكري ماشي بأقوى وبكل قطرة دم في أبنائنا أبناء القوات المسلحة. ٢٤ ساعة شغل تدريب وتلقى الأسلحة الحديثة والتدريبات العنيفة. وعمل مستمر وتفرغ وروح كلنا في يوم من الأيام حنقرى تفاصيلها إن شاء الله بإذن الله يعد المعركة لأن ولادي مش عاوزين يقولوا حاجة إلاّ لما يخلصوا معركتهم.

أخطاء الانتخابات

لما حصل البناء السياسي من القاعدة إلى القمة وقعت فيه أخطاء. وأذكروا دي لأني أنا جاي لكم فيها وأنا بأتكلم في الجزء الأخير من كلامي. وقعت أخطاء وسجلها عبدالناصر عنده،

ومشينا ما توقفش المسيرة. البناء العسكري ماشي البناء السياسي ماشي. جت سنة ٦٩ دخلنا حرب الاستنزاف. قواتنا المسلحة كل دقيقة بتتقدم خطوة إلى الأمام وبتدعم وبتزداد فاعلية ومقدرة وثقة وإيمان. إلى أن قامت ثورة السودان المجيدة في أول سبتمبر ٦٩ بعد ما كانوا متصورين أعدائنا أن الخط التحريري انتهى وأننا على وشك أن نحاصر ونبقى وحدنا للإجهاز علينا استمرينا ومشينا. وجت سنة ٧٠ وقلت لكم هنا في الهيئة البرلمانية بالتفصيل إزاي بدأت غارات العمق وانكشفت خطة إسرائيل بمساندة أمريكا في أواخر سنة ٦٩ للإجهاز علينا عن طريق تفوق الطيران الإسرائيلي في الستة أشهر الأولى من سنة ٧٠ وبدأت إسرائيل وتذكروا أن أنا حكيت لكم عن بدء هذه الاستراتيجية الجديدة والخطة الجديدة فهم في يوم ٢٥ ديسمبر ٦٩ جم بـ ٢٦٤ طيارة مع أن يوم ٥ يونيه كانوا بـ ٢١٠ أو ٢٢٠ طيارة، يوم ٢٥ ديسمبر ٦٩ جم بـ ٢٦٤ طيارة وغارات استمرت من ٨ صباحًا إلى آخر ضوء ٣٠,٤ مساءً، ومطلتش منا شيء أبدًا ولا قللت من قوتنا ولا من خطنا ولا من روح قواتنا المسلحة ولا من أبطالنا شيء أبدًا.

مواقع البطاريات

في هذا اليوم كان الرئيس ـ الله يرحمه ـ في الرباط ولما انتهت الغارات في الساعة ٣٠,٤ مساءً. وكانوا طوال الوقت من ٨ صباحًا إلى ٣٠,٤ مساءً بيقذفوا بكل أحجام القنابل وأنواعها الزمنية وغير الزمنية وبتركيز بـ ٢٦٤ طيارة. تذكروا إن أنا قلت لكم أن أنا أصدرت الأمر يومها أن تخلى بطاريات الصواريخ وتغير أماكنها قبل صباح اليوم التالي، وفوجئ اليهود لأنهم رامين قنابل زمنية لسه قدامها وقت على ما تنفجر. وجم في اليوم التالي يدوروا لم يجدوا البطاريات في أماكنها واضطروا يغيروا خطتهم على ما يستطيعوا تاني ويعودوا تاني للغارات. يعني ماقصروش ولادنا أبدًا بل واجهوا كل هذا ومن وسط القنابل الزمنية من ٨ صباحًا إلى ٣٠,٤ مساءً كملوا طول الليل وغيروا الأماكن ووضعوا البطاريات في الأماكن الجديدة، وفوجئ اليهود تاني يوم.. ماقصروش ولادنا أبدًا.

الصديق الشريف

وما شين. وجت سنة ٧٠ زي ما قلت لكم وابتدوا غارات العمق وسافر الرئيس ـ الله يرحمه ـ إلى الاتحاد السوفيتي وزي ما قلت ويجب أننا نحفظ له دائمًا مكان الصديق الشريف.. قدموا لنا صواريخ سام ٣ علشان حماية العمق، وقامت هنا أجهزتنا في بلدنا خلال ٤٠ يومًا تم عمل لا يمكن أن يتمه إلاّ دولة من الدول العظمى، كانت شركاتنا كلها مهندسينا كلهم بيشتغلوا في المواقع الجديدة، في خلال ٤٠ يوم تم عمل كان تمنه ٤٠ مليون جنية، يعني كل يوم بينصرف فيه مليون جنية، تم إنجازها ودخلت الصواريخ سام ٣ وتوقفت غارات السحق في أواخر فبراير ٧٠.

كل ده تحملناه ومع ذلك وحرصًا على السلام تذكروا أن الرئيس جمال في أول مايو سنة ٧٠ وفي خطابه من شبرا وجه للرئيس نيكسون رسالة وقال له فيها إما أنك مش قادر تضغط

على إسرائيل وأنا مستعد أصدقك إذا قلت لي هذا، مع أني لي رأي في هذا. وإما أنكم أنتم بتقديمكم المساعدات لإسرائيل من سلاح ومساعدات اقتصادية وكل ألوان المساعدات بتريدوا احتلال أراضينا وبعتبر ده مشاركة منكم في العدوان علينا. بعدها جت مبادرة روجرز وحصل إيقاف النار وحكيت لكم بالتفصيل في الهيئة البرلمانية هنا المرحلة دي اللي انتهت بإيقاف النار للمرة الأولى، ثم للمرة الثانية في نوفمبر بعد وفاة الرئيس، ثم امتناعنا شهر في فبراير بقرار من عندنا إحنا، امتنعنا عن إطلاق النار وفي خطابي أمامكم هنا في مجلس الأمة في ٤ فبراير طلبت من المجتمع الدولي ومن أمريكا بوصفها اللي بتمد إسرائيل بكل من رغيف العيش إلى الطائرة الفانتوم. طلبت أنها تقوم بدورها كقوة كبرى وتحدد موقفها.

شروط المبادرة

في نفس هذا الخطاب وقدامكم تقدمت بمذكرة بمبادرة.. وقلت إن إحنا بنتقدم بمبادرة علشان ندفع بالقضية.. إحنا مستعدين نفتح قناة السويس الملاحية الدولية.. علشان نحرك القضية قصاد ما إسرائيل تبدأ المرحلة الأولى من الانسحاب داخل الجدول الزمني بتاع الانسحاب الكامل بإشراف يارنج والأمم المتحدة. حاولوا يأولوا الكلام.. وحاولوا أن يفسروه أن ده حل جزئي.. أو ده حل منفصل أو ده اتفاق لوحده. وضحت موقفنا في أبريل اللي فات بصراحة وقلت.. وبأقول قدامكم النهاردة ولأول مرة علشان يسمع العالم كله. إحنا لما بنقول نفتح قناة السويس للملاحة الدولية، مش معناها إن إحنا حريصين نفتحها بأي تمن.. لا.. ده إحنا بنسهل للعالم ولأوربا الغربية بالذات. وبنوري حسن نوايانا نحو السلام.. وعاوزين نحرك القضية.. ولكن إذا كان يفهم أن ده حل جزئي أو أن ده حل منفصل.. أو أن ده حل إحنا عايزينه بأي ثمن ما بنفتحهاش. بنردمها أحسن.

مر الشهر بتاع الامتناع عن إطلاق النار، وردينا على يارنج وإسرائيل ما ردتش على يارنج. وتعنتت. وتحركنا السياسي ده بالمبادرة بتاعتنا. وقبولنا للورقة اللي بعتها لنا يارنج، وامتناع إسرائيل ووقوعها بالشكل اللي وقفته فضح موقفها أمام العالم كله. ولما جاني روجرز هنا، وأنا حكيت لكم في الهيئة البرلمانية أول كلمة قالها.. قال إن جاي وأقول إني لن أطلب من مصر شئ.. مصر فعلت كل ما عليها.. أنا باقول هذا الكلام والعالم كله سامعني الآن ومستر روجرز سامعه.. لن أطلب من مصر شيء. مصر فعلت كل ما عليها.. طيب نتكلم في المبادرة.. المبادرة في أول مايو أنا أعلنت شروطنا لها.. مستعدين، وباعلن أمامكم الآن إن إحنا لازلنا مستعدين ولكن بالشروط اللي أعلناها.. اللي هي ماهياش شروط حقيقية إنما هي اختيار السلام. وإذا كانت النوايا صحيح نحو السلام.. يبقى كلا منها يفهم وينفذ. أما إذا كانت النوايا غير كده للمراوغة أو لمحاولة تمييع القضية، واتخاذ من فتح قناة السويس أسلوب لتجميد القضية لسنين جاية.. أنا قلت لكم إحنا نردمها أحسن.. أبداً إحنا لا نقبل هذا.. وكلامنا واضح.

موقف الأربعة الكبار بأعيده أمامكم وأنا قلته أمامكم في الهيئة البرلمانية.. فرنسا موقف شريف يقوم على العدالة.. ويقوم على إيمانها بأنها قوة كبرى لها التزاماتها نحو سلام العالم وليس نحو سيادة شريعة الغاب في هذا العالم.. الاتحاد السوفيتي أنا في غير حاجة أن أشرح موقفه لكم لأن إحنا كل واحد فينا لمسه.. الاتحاد السوفيتي من بدء القضية سياسيًا.. اقتصاديًا.. عسكريًا واقف معانا.. الاتحاد السوفيتي في الأيام السوداء بتاعة الهزيمة لما حتى زي ما قلت لكم في الهيئة البرلمانية هنا شمت فينا بعض قرايبنا.. لا هو ما شمتش فينا.. قدم السلاح.. قدمه وماقلش تعالوا أمضوا معانا العقد، وحاسبوني.. قدم علشان يوقفنا على رجلينا.. زي ما قلت لكم سياسيًا.. عسكريًا.. اقتصاديًا.. بشرف وأمانة وبدون أي قيد أو شرط.

بريطانيا أمامكم هنا قررت في الهيئة البرلمانية أن موقفها تَحَوَّلَ تحول جذري بقبولها الاشتراك في قوة الأمن الدولية، وهي تعلم أن إسرائيل تقاوم هذا.. بل أكثر من هذا قررت أمامكم هنا أن إحنا بنرحب بهذا الموقف الشجاع الذي أخذته حكومة المحافظين ووضع سياسة مستقلة لبريطانيا. باقي أمريكا.. جه ليه روجرز وأنا حكيت لكم هنا تفاصيل ما جرى.. وزي ما قلت لكم بدأ حديثه أنه ليس هناك ما أطلبه من مصر.. فقد أدت مصر كل ما عليها.. وباحط قدامكم الحقيقة ومن خلالكم للشعب. إحنا بنشتغل في حدود هدفين أساسيين. لا تفريط في شبر من أرضنا.. ولا مساومة على حقوق فلسطين.

قلت لروجرز

شرحت لروجرز كل هذا بمنتهى الصراحة، وزي ما قلت في أول مايو أن أنا قابلته بعقل مفتوح. وقلب مفتوح مع ما في ذهني وما في رأسي من غارات السبع عشر ساعة، لأن القنابل كانت أمريكية.. طيارات أمريكية.. زي ما قلت للطيارين نصفهم جنسية نصفها أمريكي ونصفها إسرائيلي. كل هذا برغم كل هذا ومن أجل السلام ومن أجل أن أثبت للعالم كله وأرضي ضميري نحو أبنائي الأبطال اللي على القنال اليوم، واللي لما قابلتهم ماسكهم بالعافية باحوشهم بالعافية من أجل أن أحفظ روح واحد فيهم. وأنا قابلت روجرز بعقل مفتوح وقلب مفتوح وأنا مش من أنصار التشنج. أنا ما بتشنجش.

شرطان أساسيان

أنا عارف أنا عاوز أيه. لا تفريط في شبر واحد من أرضنا، ولا مساومة على حقوق شعب فلسطين. وباتكلم بصراحة بعقل مفتوح وبقلب مفتوح وتناقشنا طويلاً ساعتين ونص، كان معانا وزير الخارجية. قلت له أنا ما باطلبش منك شيء لأنك لسه ما سافرتش لإسرائيل. لكن لما تسافر أنا أريد أنك بعد ما ترجع للولايات المتحدة أن تحدد أمريكا موقفها لأن الثلاثة الكبار مواقفهم متحدة النهارده، فاضل موقف أمريكا عنصر أساسي في المشكلة،

لأنها بتمون إسرائيل زي ما قلت وزي ما باقول من رغيف العيش إلى الفانتوم. وراح إسرائيل وأرسل لي كلام إسرائيل، وحللت هذا الكلام في اجتماع مع الدكتور محمد فوزي رئيس الوزراء ومع وزير الخارجية، وكان منضم لنا فيه السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية، واديت تعليماتي للسيد نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية أن يرسل ردنا اليوم بعد هذه الجلسة مباشرة إلى أمريكا وعلى الأسس التالية أمامكم وللشعب وللعالم: قضية فتح قناة السويس ليست قضية منفصلة ولا حل جزئي وإنما هي مرحلة من مراحل الانسحاب الكامل في الجدول الزمني. لن نقبل المناقشة في عبور قواتنا إلى الضفة الشرقية. لن نقبل مد وقف إطلاق النار إلى ما لا نهاية طالما أن هناك جندي أجنبي واحد على أرضنا. وأرضنا هي ما قبل ٤ يونيه بالنسبة لنا وللأرض العربية كلها.

رد على روجرز

السيد وزير الخارجية أعد الرد بعد هذه الجلسة مباشرة ليسلمه وبنطلب من أمريكا أن تحدد موقفها. كفى تبادل مذكرات روجرز جه عندنا وسمع كلامنا وشافنا وناقشنا في كل شيء بمنتهى الحرية والقلب والعقل المفتوح. راح إسرائيل وشافهم. الآن على أمريكا أن تحدد موقفها بوضوح. المسألة تخص الحرب أو السلام. والمسألة لا تحتاج مرة أخرى إلى تبادل المذكرات رايحة وجاية والمناقشات الفلسفية واللعب بالألفاظ والكلام ده انتهى. الكلام اللي حايروح النهارده وعلى الأسس اللي قلت لكم عليها هذا هو موقفنا ويجب أن تحدد أمريكا موقفها صراحة أمام العالم. ويجب أن تعلم أمريكا أن دولة من ٢ مليون ونص ليس لها مقومات الدولة هي إسرائيل؛ لأنها تعيش عالة على شيك بيجي بـ ٥٠٠ مليون دولار أو بـ ١٠٠٠ مليون دولار، وشوية لن نستطيع أن نقوم بمثل ما نقوم به بدون تأييد ومساندة ومساعدة أمريكا. يجب أن تعلم أمريكا وأنا قلت لروجرز ولعله لا يغضب إذا كنت بافتح هذا السر إنما لازم أقوله أمامكم وأنا لازم أقوله وأنا قلته يمكن في الهيئة البرلمانية، قلت له أنا لا أقل أنكم بتقولوا إن إحنا نضع إسرائيل وحتى لا أقول أنكم تمارسوا الضغط على إسرائيل، وإنما أن أطلب رسميًا أن يبلغ الرئيس نيكسون أن المطلوب اليوم ما دمنا نتحدث عن السلام وأننا جتنا عندنا جيشًا وشعبًا أن إحنا جادين نريد السلام، وأنا اطلب من الرئيس نيكسون رسميًا أن يعصر إسرائيل عصرًا إذا كان الكلام عن السلام. إذا كانوا يريدون السلام فنحن للسلام. أما الكلام اللي جه من إسرائيل فلا يعنيني في شيء اللي جابه سيسكو لأن إسرائيل لسه راكبها غرور الانتظار ولسه راكبها الغرور النازي وبيحاولوا لسه يعيشوا في أحلام وأوهام الماضي أنا ما يهمني ده كله. أنا بيهمني أن تحدد أمريكا موقفها، لأن أنا الآن أمام مواقف تاريخية لازم تتحدد تمامًا لأنها مسألة السلم أو الحرب.

ده الجزء الأول اللي أردت أن أتحدث لكم فيه عن المعركة، وزي ما قلت لكم عقب اجتماعنا مباشرة سيتولى السيد محمود رياض نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية تسليم الرد لأمريكا على الأسس اللي أنا قلتها وحكتها عليكم لكي تكون واضحة لكم وللشعب.

بناء الدولة

أنتقل إلى النقطة الثانية: النقطة الثانية هي بناء الدولة، وأنا قلت في أول مايو انه جنب الخط البناء العسكري، وجنب العمل السياسي اللي متوازي مع العمل العسكري، واللي ظهرت نتائجه لنا ده واللي كان العمل العسكري وقواتنا دعم كبير له في المرحلة اللي فاتت. قواتنا العسكرية غيرت في العمل السياسي وخلت العمل السياسي يحسوا به ويحسوا بنا ويفهمونا أكثر. جنب ده انا باقول فيه خط أساسي لا يجب أن نهمله بل يجب أن نسير فيه تمامًا بالتوازي مع الخطوط الاثنين، مع المعركة، مع العمل السياسي النشط في كل الجبهات لابد أن يسير بناء الدولة الحديثة على العلم والإيمان في نفس الوقت وبنفس القوة اللي إحنا ماشيين فيها على الخطين الاثنين دول.

أنا باعتبر بناء الدولة خدمة للمعركة وتدعيم للمعركة. لما نيجي عن بناء نتكلم عن بناء الدولة، لابد نأخذ في حسابنا كل ما وقع في الماضي، سواء قبل ٦٧ أو بعد ٦٧ أو يوم ١٤ مايو. عايزين نبني المجتمع الجديد اللي إحنا نريده لنفسنا. مجتمع الحرية مجتمع الكرامة، مجتمع يحس فيه كل فرد بالأمن والطمأنينة على يومه وعلى غده وعلى أبنائه من بعده، أما نيجي نبني هذا المجتمع في تقدير لابد أن يكون المدخل الصحيح له هو عمل الدستور الدائم. وقبل ما أقول وأشرح لكم رأي في هذا عايز أقول إنه يجب أن يكون دستورنا مستمد من واقعنا، ومن ترابنا من هنا. إحنا عندنا تجربة بقالها ١٩ سنة ثورة ٢٣ يوليه ومرت بتجارب ومحن وأزمات وخرجت منها منتصرة قوية بفضل صلابة الشعب. عندنا تقاليد مبنية عبر آلاف السنين. عندنا فوق كل شيء وقبل كل شيء رسالة الإيمان.

علمتنا التقاليد

تعلمنا أنه لو أراد البشر كلهم أن يصيبوا أي فرد بشيء لا يريده له الله لا يصيبوه به أبدًا. تعلمنا رسالة الإيمان أن أرضنا طيبة وطاهرة، وأنها تستحق من أن إحنا نحبها ونقدسها وندافع عنها ونتفانى فيها.. أتعلمنا أيضًا أنه يحتاج العالم النهاردة درجات تحت اسم العلم جرفت الشعوب إلى مادية رهيبة تهاوت فيها القيم وضاعت فيها الأخلاق، إحنا ما نقدرش نعيش من غير قيم ولا أخلاق، لأن الإيمان في ديننا. عايز وإحنا بنحط الدستور وانتو اللي حاكلفكم بوضع الدستور زي ما حاقول لكم دلوقتي. عايز وإحنا بنحط الدستور نرجع للقرية أصلنا ونعرف إن فيه عيب، لأن في القرية هناك علمونا ونشأنا أن فيه حاجة اسمها العيب، نعرف أن فيه حدود لكل شيء ما هياش سايبة. مش كل شيء سايب. إحنا نعرف كلنا لما تبقى العيلة في القرية رب العيلة فيها راجل حازم تبقى العيلة محترمة في القرية وبنعرف كمان أن القرية كلها بتبقى روح واحدة لما بيحصل ميتم ممكن يأجلوا الفرح علشان ما يسمعوش الزغاريد. وبنعرف أن يوم ما بيحتاج واحد علشان بحرث أرضه بيقوم زميله يروح يودي بهايمه ومحراته ويروح يشتغل وياه ويساعده عايز الدستور يتفصل على كده، مش بالقرية.. لا.. أنا عايزه ينفصل علشان مصر كلها تبقى قرية واحدة في هذا الشان ما

فيش مكان لا للعيب ولا للتسيب في القيم والوفاء لازم للوفاء. كل من يؤدي لهذا البلد خدمة ترد له بوفاء وكل من يسيء إلى هذا البلد لأنه عامل!!

أملنا في الدستور

أقول لكم عن نظرتي أو أملي باعتبار أنه قبل ما أمشي من هنا من جلستكم حا أبعث لكم التكليف بأن تقوموا بعمل الدستور الدائم للجمهورية فقط حاأضمها في في مكتبكم عند السيد رئيس المجلس علشان نكون تحت نظركم وانتو بتضعوا الدستور. وبأضعها أمامكم كمواطن بيقول رأيه. انتو لازم تستفيدوا بكل كفاءات في البلد من الجامعات ومن كل الفئات وانتو بتحطوا صورة مستقبلنا اللي إحنا عايزينه في الدستور اللي جاي عايز ينص الدستور على تحقيق وتأكيد الانتماء المصري إلى الأمة العربية. عاوز ينص الدستور على حماية كل المكتسبات الاشتراكية وتدعيمها وخلق الظروف الملائمة لتوسيع نطاقها بما في ذلك النسبة المقررة من الميثاق للفلاحين والعمال في مجلس الشعب وفي المجالس الشعبية المنتخبة على مختلف المستويات ٥٠٪ على الأقل. عاوز ينص الدستور على الصلة الوثيقة بين الحرية الاجتماعية والحرية السياسية. إن ماكانش الإنسان أمن على رغيف عيشه يبقى حيكون عنده حرية سياسية إزاي يجب أن يؤكد الدستور على أن الشرعية الاشتراكية هي أساس كل العلاقات بالمجتمع، وفي الدولة، وأن الدولة تخضع للقانون كما يخضع له الأفراد. ويجب ألاّ يكون هناك قرار أو إجراء مهما كانت السلطة المصدرة له بمنأى عن رقابة القضاء. عاوز الدستور ينظم الانتماء الشعبي بما يكفل أن يكون الشعب دائمًا هو حامي ثورة وقيمه وأخلاقياته واشتراكيته.

محلفون للقضاء

درس ١٥ مايو مش هاننساه أبدًا الشعب كله هو الحامي وهو المدافع وهو اللي وقف وهو اللي أصلح وهو اللي صحح في ١٥ مايو. عايز الدستور ينص على أن القانون يكفل الحق لكل واحد أن يلجأ للقضاء، وإذا ماكانش عنده فلوس لابد أن تتحمل الدولة هذا وتخليه يروح القضاء على حسابها. عاوز الدستور يعمل على أن يشترك الشعب في دائرة العدالة عن طريق المحلفين بما يكفل ديموقراطية القضاء. في كل مكان يبقى محلفين من أهل المكان يساعدوا القضاء ويساعدوا القاضي وبينوروه ويحطوا قدامه الظروف. وحكم الشعب وياه يضمن الدستور للشعب أن يكون هو السيد والأمر بحيث تكون رقابة حركة مستمرة على كل مؤسسات الحكم، وأن يرجع إليه في كل المسائل الهامة التي تمس مصالحه ومصالح العمل الاشتراكي كله عن طريق الاستفتاء الشعبي.

زي ما حصل وزي ما حكيت لكم في خطاب الجمعة اللي فاتت لازم يبقى مبدأ حننوه ليه. كل ما تجرى حاجة تعالوا نحطها أمام الشعب وأحكم يا شعب على طول والشعب هو الحق والشعب بفطرته وأصالته بيعرف كل حاجة وبيميز كل حاجة. ومن زمان كان حاكم على الناس اللي حاولوا يحرقوا السيارات زمان كان حاكم عليهم. يجب أن يتضمن الدستور أن

تنبع كل السلطة من الشعب ممثلاً في مجلسه المنتخب انتخابًا حرًا ومباشرًا، ومن المجالس المنتخَبة على كل المستويات. ومن هنا يجب أن تتأكد سلطة مجلس الشعب. ماهو اتغير اسمكم وبقى مجلس الشعب. وأن تتسع دائرة رقابة على أعمال الحكومة والمؤسسات والهيئات العامة وأن يتحدد دوره في متابعة الخطة العامة للبناء السياسي وللتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وأن هذا يقتضي أن يكفل الدستور لمجلس الشعب كل الضمانات بما فيها عدم حله خلال مدته الدستورية إلاّ في حالة الضرورة.

لا يحل المجلس إلاّ باستفتاء شعبي في حالة الضرورة.. أما قرار الحل كده مباشرة.. لا.

سلطة الشعب

أن ينص في الدستور على أن تباشر مسئوليات الحكم بواسطة مؤسسات محددة الاختصاص، واضحة المعالم، وعلى أن ترتبط السلطة بالمسئولية.. وأن تتحدد هذه المسئولية تحديدًا واضحًا وصريحًا لتأتى لقوى الشعب العاملة محاسبة كل مسئول عن مسئوليته. رئيس الجمهورية هو الحاكم الذي يختاره الشعب، سيتلقى الأمر من الشعب.. ويستمد الإرادة من الشعب.. وعليه حماية هذا الأمر وهذه الإرادة، وليس له من سلطة في الدستور إلاّ ما يكفل لإرادة الشعب أن تكون هي العليا باستمرار، وهو يتابع حركة مؤسسات الدولة والمؤسسات السياسية ليتأكد ــ دومًا ــ أنها في خدمة الشعب، مستجيبة لإرادته محققة لأهدافه.

عايز ينص الدستور على حد زمني معين لتولي الوظائف السياسية والتنفيذية الكبرى، وذلك ضمانًا للتجدد والتجديد باستمرار. بأبدأ بنفسي. أن أجدد، بأبدأ بنفسي في المرحلة اللي جاية عاوزين اللي يتكلم اللي يثبت ولاءه للشعب، يثبته بالفعل وليس بالكلام أو بالخطب، أنا بأقول مش حاجدد.. وعايزكم أنتم تتمسكوا بهذا علشان تجددوا الدم باستمرار في كل المناصب من أكبر منصب لأصغر منصب، عاوز يؤكد الدستور دور القطاع العام والقطاع التعاوني وكل الضمانات للقطاع الخاص للمشاركة في إطار الخطة.. وإحنا عندنا ثلاث ملكيات، ملكية القطاع العام.. الملكية التعاونية.. والملكية الخاصة.. ولازم ينص الدستور على حمايتهم وضمانة كل واحدة منهم تمامًا، عاوز يؤكد الدستور مبدأ العمل الواحد للفرد الواحد.

لن أجدد

أنا عن نفسي ابتداء من أول يوليه اللي جاي وبأعلنها كل من يشغل أكثر من منصب يجهز نفسه من أول يوليه اللي جاي مافيش غير منصب واحد لراجل واحد.. وعاوز يقرر الدستور حق كل مواطن يعيش على أرض هذا الوطن في تأمين معاشه في حالة عجزه عن العمل وذلك بتوسيع نطاق التأمينات الاجتماعية.. أنا هنا في الهيئة البرلمانية قلت لكم إن أنا أعلنت في سيدنا الحسين أنه لن تمضي سنة إن شاء الله إلاّ ويكون معاش لكل مواطن. بس قصاد دي

أنا عاوز كل مواطن يبذل كل طاقته وكل إمكانياته في عمله. ووعدتكم أن كل بترول يطلع نصه نبني به والربع نبني به المصانع علشان عشرات الألوف من أولادنا وعمالنا ومهندسينا.. والربع بنسدد به ديوننا والربع يخش في صندوق التأمينات علشان ما يحتاجش مواطن ولا ينذلش مواطن أبدًا في شيخوخته.. أن يؤكد الدستور على أهمية الحركة النقابية العمالية في دفع التطور باعتبار دور العمال الطليعي في تحالف قوى الشعب العاملة.. أن يكلف الدستور النقابات والمنظمات المختلفة، بوضع ميثاق شرف ينظم أداء أعمالها ويؤكد أخلاقيات مجتمعنا الجديد.. وعايز هنا أفسر شيء، لو تذكروا أيام ما كنت أنا في الترشيح وبتزوروني الوفود قبل انتخابي كرئيس، ويزروني في فترة الترشيح، وزاروني الصحفيين.. وقلت لهم أنا في رأسي أمل كبير أنه لازم نعمل ميثاق شرف للصحافة.. أنا هدفي إية من هذا.

مواثيق الشرف

أنا عايز أنص عليه في الدستور ده في الصحافة وفي الأطباء وفي المحامين وفي كل النقابات.. عايز أنص على ميثاق الشرف ده. مش حيكون من الحكومة ده أنا عايزه من أصحاب المهنة ذاتهم ميثاق الشرف يتعمل وهمه اللي يأخذوا الجزاء.. بمعنى أن الطبيب اللي يرتكب شيء ضد شرف المهنة همه نفسهم اللي يجازوه. الصحفي اللي يلجأ إلى التشهير أن خلاص وقفت حكاية الأشرطة والفضائح عن طريق الأشرطة، لكن مانيش عايز الصحافة بكرة تستقل علشان فضائح وحرب أعصاب وحرب أعصاب وابتزاز ومعارك تشهير فيها. لا.. لازم يقوم زي ما قلت لكم على أخلاقنا اللي أخذناها من القرية.. العيب نعرف العيب. ونعامل كل إنسان بعمله. أنا مابحبش، وجل من لا يخطئ وجل اللي ما عندوش أخطاء، إحنا بشر.. يقوم يجي راجل يخطئ في حياة خاصة له، نيجي مدخلينها في الحياة العامة ويبقى مجتمعنا مجتمع تشهير، ومجتمع أشرطة تاني ومسك، مسائل ناس يمسكوا حاجات على ناس.. للأسف، الولد اللي جه بلغني عن الأشرطة وقلت لكم عليه، زارني إمبارح وهو بيبكي وبيقول لي في مسائل في الأشرطة صحيح تمس مصلحة الدولة ودي في كل الدول موجوده اللي تمس مصلحة الدولة ماشية وموجودة وبتبقى بأمر قاضي.. قال لي إنما أنا باستحلفك بسرعة تيجي تحرق لأن فيه حاجات ستهدم بيوت في هذا البلد. هل دي أخلاق القرية عندنا يا رجالة؟ نمسك ذلة ونذل الناس ونستغل الناس وتقول له أنا ماسك لك، وطلع المتآمرين كل واحد فيهم ماسك على التاني: أيه ده علشان كده لازم دستورنا ينص على ميثاق أخلاقي ويقال كدة باب الحريات والأخلاق في الدستور.. حد حايسأل ويقول الله!! طيب أنا أتكلمت على مجلس الأمة وعلى الدستور وما تكلمش على الاتحاد الاشتراكي، ده ناوي يلغي الاتحاد الاشتراكي زي ما بيقول.. لا إحنا أرتضينا صيغة تحالف قوي الشعب العاملة داخل الاتحاد الاشتراكي، كالصيغة اللي حقيقة توصل إليها زعيمنا جمال – الله يرحمه – كأروع صيغة نمارس الديموقراطية من خلالها.. ولازم نتمسك به.. ولازم نتمسك في بناءه أن يكون نظيف، ومؤسسات نظيفة.. وكل مؤسسة عارفة حدودها في قانون الاتحاد الاشتراكي.

أكثر من هذا كل اللي جرى ده وكل اللي بينكشف لي كل يوم العملية كانت زي ما جاءتني آخر التحقيقات بدون التعرض للتحقيقات اللي بيجريها النائب العام إنما ده الخط السياسي اللي أنا بيجيني كان مطلوب أن يتحقق انهيار دستوري في البلد وبعدين اللي كانوا بيقولوا عليه التنظيم السري يقوم يروح طالع وعامل حالة فوضى وبعديه تروح البلد.

كل يوم بتكشف وقائع أنا مذهول لها حقيقة. علشان كده أنا طلبت من السيد وزير العدل أن النائب العام يجي هنا ليكم بعد ما يخلص أمام مجلس الشعب ويقرأ لكم التحقيق كله ويطلعكم على الحقائق كلها.

صورة مفزعة

بعد كده لازم نسجل كل ده ونشيلة كسجل في الاتحاد الاشتراكى علشان كل مؤسسة تعرف حدودها وتعرف إيه اللى جرى، ونتجنب الوقوع في أخطاء من دى تانى، ويبقى تاريخ محطوط عندنا فى الاتحاد وتبقى تجربة مرت ويعلم كل إنسان إن مفيش حد كبير أبدًا على المؤاخذة ولا يفلت من العقاب إذا أخطأ.

كانت صورة مفزعة لكن زي ما قلت لكم تركتها دلوقت لأن النائب العام وزارة العدل والنائب العام قايمين بكل شيء ولديهم كل شيء والمذهل أن الصور راحوا المخابرات العامة لقوها مكتملة لأن زي ما قلت لكم مخولين بعض واحد مجهزها علشان يشلها احتياطي عنده ما بعد ما تنجح يشيلها علشان الباقيين قاموا لقوا الحكاية كاملة كلها.

يتبقى موضوع والله لأنه في الفترة الأخيرة سمعنا بقى نداء الناصرية وحماه الاشتراكية. أنا قلت هنا في أول كلامي المسيرة ماشية وخط عبدالناصر ماشي. وقلت لكم في أول كلامي إنكم صححتم حاجة عبدالناصر كان شايلها علشان يصححها. صححتم أنتم الجزء الأول منها.

قصة التصحيح دي أية. لما حصلت الانتخابات من القاعدة للقمة حصل فيها أخطاء كلكم عارفينها، مش في حاجة أن أقولها لكم، شعبنا بره الصلب عارفها كويس لأنه شايفها بعينه، دونها الزمن وقرر أنه لابد من تصحيحها بس لأن المعركة والبناء العسكري وحرب الاستنزاف داخلين عليها كنا في ٦٩ قال بتيجي مرحلتها إنما لابد من تصحيح كل هذا.

خزانة الرئيس

كان فيه عند الريس في البيت خزنة شايل فيها نوتة وأوراقه، وكان ـ الله يرحمه ـ نوتة جنبه دائمًا بجنب السرير ساعات يصحى في الليل ويجي له خاطر يكتبه جنب السرير. فالنوت دي كلها موجودة. إنما بعض اللي متعلق بتصحيح اللي وقع نوتين كانوا في الخزنة. الباقي كان هو بس اللي أنا عارف اللي فيهم اللي تحت واللي فوق. في يوم وبعد الأربعين بتاع الريس ـ الله يرحمه ـ بيومين ثلاثة فوجئت بتليفون هدى بنت الرئيس جمال. ما هما

ولادي كلهم كانوا مربيهم وهم صغيرين. هدى بنتي ضربت لي تليفون وقالت لي أنا عايزة أجيلك يا عمي أنا وخالد دلوقتي أهه. وكانت الساعة عشرة ونصف مساء. استغربت تعالوا يا ولادي.. تعالوا على طول.

إحنا بعد الأربعين الحقيقة وأنا كنت رافض أفتح الخزنة لأنه يعني برضه نفسيًا أنا كنت حتى في شارع الخليفة المأمون باتجنب المرور فيه لأن أنا كان لسه مش قادر أصدق. صعب كان علي قوي. وزمالة كنا من ١٩ سنة وإحنا أخوان وأكثر من أخوان. فبعد الأربعين حكموا رأيهم إننا نفتح الخزنة، لأن الخزنة دي زي ما هية غالية على السيدة حرمه وأولاده، وقال لهم يا أولادي الخزنة دي بتاعة الدولة والأوراق اللي فيها بتاعة الدولة. فجم الأولاد لحوا على يا عمي تعال نفتح الخزنة رحنا فتحنا وعايناها، بصيت عليها بصة كدة حتى لقيت الطبنجة فيها اللي استعملها جمال يوم ٢٣ يوليه لكن الخزنة ملك الدولة الحقيقة. قلت له لا يا بني دي طبنجة وماكنوش عرفين أيه الطبنجة دي لقوها طراز كدة مختلف وبيسألوني الولاد. قلت لهم يا ولادي دي اللي كان أبوكم شايلها يوم ٢٣ يوليه. يا خالد الكبير خدها يا أبني من الدولة هدية لك لأن دي تذكار اللي أبوك خرج به يوم ٢٣ يوليه علشان يعمل الثورة.. واديته الطبنجة. أما بقية الخزنة فقلت لهم ياولادي الأوراق الخاصة بتاعة الرئيس فيها أوراق خاصة وأوراق دولة. في هذا الوقت هدى كانت بتشتغل سكرتيرة للرئيس بتساعدة فوق في البيت لأنه كان أغلب الوقت جسمانيًا كان تعبان. فكانت هدى بتساعده. قلت لهم يا أولادي الخزنة دي دلوقت فيها ورق رسمي وفيها ورق خصوصي، وأنا ما عنديش وقت حتى أنا مستأمنك يا هدى أنت وخالد اقعدوا يا ولادي أفرزوا الورق وأنت كنت سكرتيرته الورق الخصوصي احجزوه، مش عايز أشوفه والورق الرسمي بتاع الدولة حطيه لي في شنطة وابعتيه لي قالوا لي حاضر يا عمي. ده كان بعد الأربعين أنا عملتها وأنا بأتقطع الحقيقة أيامها.

من فتحها

بعدها باقول لكم باسبوع كده، جيت بتضرب لي تليفون هدي وبتقول لي أنا عايزه أجي أنا وخالد دلوقت اهه الساعة عشرة ونص مساء. خير يا بنتي تعالي يا بنتي، قالت لي أنا نزلت زي إنت ما قلت أنا وخالد نفتح الخزنة علشان نطلع الورق ونفرزه وأخد الأوراق الخصوصية والباقي أبعته لك وجدت الخزنة في غير الوضع اللي أنت شفتها فيه والخزنة وهي الخزنة دي في مكتب جمال عبدالناصر في بيته. بتذكريني بنتي هدى بتقول لي أنت قلت لي يومها، فقلت لها الموضوع ده لو صح يخليني أغير حساباتي كلها وده حصل فعلاً. مين اللي عنده المفاتيح، الخزنة لها مفتاحين مفتاح كان عند السيدة حرم الرئيس ومفتاح كان عند محمد أحمد وزير شئون رئاسة الجمهورية. ولازم الخزنة تتفتح بمفتاحين ويوم ما فتحناها. جبت محمد وجبت سامي ووقفنا فتحناها. السيدة حرم الرئيس جابت المفتاح

وفتحنا وقعدنا، يعني المفتحين عملوهم وفتحناها بدون المفتاحين دول فيه قفل لها لو حد حب يفتحها من غير عملية حسابية عايزة سبعة مليون عملية حسابية إلكترونية ماحدش يقدر يفتحها. فلما جاتلي قالت لي كده هدى. قلت لها طيب وعملتوا أيه يا ولاد، قالوا قفلنا وجينا نقول لك وعايزين نبلغ النائب العمومي قلت لهم يا ولادي ده مش انتم اللي تبلغوا دي الخزنة بتاعة الدولة ده أنا اللي أبلغ. تاني يوم الصبح ندهت لمحمد أحمد وسامي شرف ورحت بيت الرئيس وكانت السيدة حرم الرئيس موجودة وهدي موجودة وحاتم وخالد، فتحنا الخزنة وكان موجود محمد أحمد وسامي شريف، فتحنا الخزنة ولأول وهلة سألتني هدى سؤال، الورق اللي فوق الرف الفوقاني ده يا عمي وأنت شفته الدور اللي فات كان كده، قلت لها لا يابنتي إطلاقًا يستحيل طريقة جمال طول عمره مرتب ولما فتحنا الخزنة بعد الأربعين كان كل شيء مرتب فوق بعضه وبنظام هو طول عمره كان كده. المرة دي باين عملية. استدعيت النائب العمومي وأنا في بيت الرئيس وببلاغ من رئيس الجمهورية اللي هو أنا، والسيدة هدى وخالد أبلغنا النائب العمومي يحقق. اثنين اللي بيفتحوا الخزنة. فسامي قال الرئيس أمرني في سبتمبر الماضي أن افتحها وأرتبها ورتبتها. محمد عنده مفتاح واحد والمفتاح التاني فوق عند الهانم، لكن انفتحت مرة واترتبت جه النائب العمومي حقق ببلاغ مني أنا رئيس الجمهورية لأن الخزنة دي ملك الدولة ماهيش ملك عبدالناصر. حاططها وقايل ومنبه على الكل وهو كان دقيق طول عمره في كل حاجة.

لماذا فتحها؟

سألت النائب العمومي عن التحقيق قال مفيش حاجة أبدًا الخزنة دي كان فيها اللي كان مطلوب من الخزنة دي كانت حاجة واحدة بس زي ما قلت لكم أنا عارف الورق كله وكل شئ كنت على بينة منه خصوصًا في السنة الأخيرة، ما كنش فيه شيء خافي على الدولة خالص. كان فيها المخالفات اللي تمت في الانتخابات واللي كان مصر على تصحيحها والمسئولين قمتوا فاجئتوني أنتم تاني يوم ورحتو مصححين الجزء بتاعكم هنا. باقي علينا والشعب برة تصحح الجزء الثاني وهو إعادة بناء الاتحاد الاشتراكي من القاعدة إلى القمة. بانتخاب حر وباللي عايزهم الشعب مش اللي جابوهم وهو عارفين نفسهم اللي جابوهم عارفين نفسهم.

أنا بأحكي الواقعة دي علشان تستنتجوا منها ما تستنتجوه إنما علشان أقول لكم أنه رداء الناصرية ورداء الاشتراكية، الكلام دا كله حتى لم تسلم خزنة عبدالناصر في الأربعين يوم الأول من وفاته. انتهى كل هذا لنترك هذا ورائنا تمامًا وزي ما حكيت لكم صححتم الجزء الأول اللي كان عايز يصلحوا جمال عبدالناصر، وخليكو صاحيين فيما بينكم. اليوم قبل ما أخرج من مجلسكم من هنا هاأمضي في الصالون قرارًا بإعادة بناء الاتحاد الاشتراكي من القاعدة إلى القمة على أن يجتمع المؤتمر القومي إن شاء الله يوم ٢٣ يوليه وعلى أن يقوم مجلس الشعب ـ اللي هو انتم ـ بمهام اللجنة المركزية وانتخاب اللجنة المركزية المقبلة. لازم

تبني وتبني عسكريًا. ونكافح سياسيًا ونبني بلادنا من الداخل ونبني أجهزتنا السياسية على تقاليد راسخة متينة. وتجارب الماضي نخليها قدامنا عبرة لكل واحد ونتطلع إلى المستقبل. وزي ما قلت لكم كل الشعب في الأمل بإذن الله سننتصر مهما كانت التضحيات. بإذن الله حاتخلصوا الدستور الدائم وحاتقدموا للشعب للاستفتاء بكل ما نحلم به من أمان وضمانات وحماية. بكل آمالنا في مستقبلنا ماحدش أبدًا حايعارضكم في شيء. حطوا كل الضمانات حطوا كل الأمن والطمأنينة عايزين نخش معركتنا نبني وإحنا أمل وبنضحك. بنحارب ونموت وإحنا بالأمل وبنضحك بنعمل بنبني بناء اقتصادي، وإحنا مليانين أمل وبنبتسم. عايز حياتنا كلها أمل وعمل وإيمان. ربنا يوفقكم والسلام عليكم.

قرارات الرئيس محمد أنور السادات لعام ١٩٧١

يناير١٩٧١ قرار الرئيس السادات بتعيين أحمد نوح أول وزير دولة لشئون الطيران المدنى.توجيهات الرئيس السادات بتشكيل لجان المعركة فورًا. مصر تقدم مذكرة للأمم المتحدة للمطالبة باتخاذ إجراءات فورية لموقف خطط إسرائيل لتغيير طابع الأراضى العربية المحتلة

١٩ ـ ١ يناير ١٩٧١زيارة الرئيس بودجورنى رئيس مجلس السوفييت الأعلى للقاهرة.

٢٣ ـ ٢ يناير ١٩٧١انعقاد مؤتمر رؤساء دول ميثاق طرابلس الأربع حضره كل من الرئيس السادات، والرئيس جعفر نميرى والعقيد القذافى والرئيس حافظ الأسد.

٢ يناير ١٩٧١تعيين حسن صبرى الخولى ممثلاً شخصيًا لرئيس الجمهورية جولة حسن صبرى الخولى الممثل الشخصى للرئيس السادات فى الأردن والمغرب والجزائر وتونس ولبنان فى إطار خطة التحرك المصرى لحل قضية الشرق الأوسط .

فبراير ١٩٧١ إعلان الرئيس السادات المبادرة المصرية للسلام على أساس الانسحاب الجزئي للقوات الإسرائيلية على الشاطئ الشرقي لقناة السويس كمرحلة أولى على أساس جدول زمني يتم وضعه لتنفيذ بقية قرار مجلس الأمن واستعداد القاهرة للبدء في تطهير مجرى قناة السويس وإعادة فتحها للملاحة الدولية وخدمة الاقتصاد العالمي.

١٥ فبراير ١٩٧١المباحثات بين الرئيس السادات والرئيس تيتو فى القاهرة حول تطورات الأزمة في الشرق الأوسط.

٧ مارس ١٩٧١قرار الرئيس أنور السادات برفض تجديد وقف إطلاق النار على قناة السويس.

١٧ مارس ١٩٧١زيارة الدكتور عزيز صدقى ـ نائب رئيس الوزراء، ووزير الصناعة للاتحاد السوفيتى ـ لإجراء محادثات حول التعاون بين البلدين.

٢٨ ـ ١٨ مارس ١٩٧١زيارة الرئيس السادات لليبيا لبحث الأمور المتعلقة بميثاق طرابلس والعلاقات الثنائية بين البلدين.

٢٨ ـ ٢٧ مارس ١٩٧١ زيارة الرئيس السادات للسودان لبحث تطورات الموقف فى الشرق الأوسط.

١٥ أبريل ١٩٧١ توقيع الرؤساء السادات والأسد والقذافى لاتفاق إنشاء اتحاد الجمهوريات العربية.

٢٩ أبريل ١٩٧١ اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ومجلس الوزراء ومجلس الأمة تصدق على الاتفاق الخاص بتشكيل اتحاد يضم ج " م. ع وليبيا وسوريا.

٢ مايو ١٩٧١ قرار الرئيس السادات بإعفاء السيد على صبرى من منصب نائب رئيس الجمهورية.

٦مايو ١٩٧١ المباحثات بين الرئيس السادات ووليم روجرز وزير الخارجية الأمريكية حول التطورات الأخيرة لأزمة الشرق الأوسط ورفضه لأى حل مؤقت للأزمة.

٧مايو ١٩٧١ الرئيس السادات يعلن فى الاحتفال بالمولد النبوى بالحسين توسيع مظلة التأمينات والمعاشات فى مصر وإنشاء بنك ناصر الاجتماعى.

مايو ١٩٧١ المباحثات بين الرئيس السادات وجوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط حول نتائج روجرز في إسرائيل.

١٢ مايو ١٩٧١ السادات يلتقى بقيادات الخط الأول على جبهة القتال.

١٣ مايو ١٩٧١ قبول استقالة السيد شعراوى جمعة وكيل وزراء الحربية والكهرباء والإسكان والإعلام والمواصلات وشئون رئاسة الجمهورية. وكذلك قبول استقالة السادة عبد المحسن أبو النور ولبيب شقير وضياء الدين داود.

١٤ مايو ١٩٧١ إعلان الرئيس السادات لثورة التصحيح وكشفه لمحاولات سيطرة مراكز القوة.

قرار الرئيس السادات بوقف الرقابة على التليفونات وإلغاء كل أنواع الرقابة البوليسية إلا ما
- تتطلبه السلطة القضائية لصالح أمن البلاد الخارجى.

قرار الرئيس السادات بتعيين الفريق محمد صادق وزيرًا للحربية، وندب السيد محمد عبد السلام الزيات وزير الدولة لشئون مجلس الأمة وزيرا للأعلام وممدوح سالم وزيرا للداخلية

١٥ مايو ١٩٧١ تشكيل الوزارة الجديدة برئاسة الدكتور محمد فوزى.

٢١ مايو ١٩٧١ قرار الرئيس السادات بإعادة تشكيل تنظيمات الاتحاد الاشتراكى العربى.

٢٥ مايو ١٩٧١ المحادثات بين الرئيس السادات ونيكولاى بود جورنى رئيس هيئة مجلس السوفييت الأعلى فى القاهرة حول أزمة الشرق الأوسط.

٢٨ مايو ١٩٧١ توقيع معاهدة الصداقة والتعاون بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتى.

٢٩ مايو ١٩٧١ اجتماع السادات والقذافى في القاهرة لبحث عملية إقامة الاتحاد الثلاثى والموقف العربى.

١٢ يونيو ١٩٧١ موافقة مجلس الشعب بالإجماع على معاهدة الصداقة والتعاون بين مصر والاتحاد السوفيتى.

٣٠ يونيو ١٩٧١ موافقة صندوق النقد الدولى على تقديم؛ ملايين دولار قرضًا لمصر لاستخدامها فى مشروعات التنمية.

١ يوليو ١٩٧١ إجراء انتخابات المرحلة الأولى للاتحاد الاشتراكى العربى.

٥ يوليو ١٩٧١ اجتماع الرئيس السادات باعضاء الأمانة العامة للأتحاد الاشتراكى لبحث خطوات بناء التنظيمات السياسية

٢٣ يوليو ١٩٧١ انتخاب المؤتمر القومى بالاجماع الرئيس السادات رئيسًا للمؤتمر ورئيسًا للاتحاد الاشتراكى العربى.

٢٦ يوليو ١٩٧١ الرئيس السادات يقدم للمؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى برنامج العمل الوطنى. تفويض المؤتمر القومى الرئيس السادات اتخاذ القرارات اللازمة لمواجهة الأزمة.

١٦ أغسطس ١٩٧١ تقرر أن تحصل مصر على ٣٢ مليون دولار وتسهيلات ائتمانية من صندوق النقد الدولى.

٢٣ أغسطس ١٩٧١ اعترفت مصر بدولة البحرين واتفقتا على إقامة علاقات دبلوماسية بينهماعلى مستوى السفراء.

٢٧ أغسطس ١٩٧١ توقيع الاتفاق الصناعى بين مصر والاتحاد السوفيتى لتنفيذ مجمع الحديد والصلب فى موعده.

٣ ـ ٧ سبتمبر ١٩٧١زيارة الرئيس النميرى للقاهرة لبحث التطورات العربية بعد إعلان قيام دولة الاتحاد.

١٢ سبتمبر ١٩٧١صدور وثيقة إعلان الدستور الدائم لجمهورية مصر العربية.

١٩ سبتمبر ١٩٧١تشكيل وزارة جديدة برئاسة الدكتور محمود فوزى.

٢٣ سبتمبر ١٩٧١صدور قانون الحكم المحلى بتشكيل المجالس الشعبية لأول مرة.

٤ ـ ٧ أكتوبر ١٩٧١ اجتماع الرئيس السادات مع الرئيس حافظ الأسد والرئيس القذافى في القاهرة لبحث استكمال البناء الدستورى لدولة اتحاد الجمهوريات وانتخاب الرئيس السادات رئيسًا لدولة الاتحاد.

١٠ ـ ١١ أكتوبر ١٩٧١زيارة الرئيس السادات للاتحاد السوفيتى لبحث العلاقات بين البلدين.

٢٠ ـ ٢١ أكتوبر ١٩٧١لقاء الرئيس تيتو بالرئيس السادات فى القاهرة لبحث تطورات الموقف فى الشرق الأوسط.

٢٧ ـ ٣١ أكتوبر ١٩٧١زيارة الرئيس السادات لليبيا لبحث تطورات أزمة الشرق الأوسط ونتائج زيارته لموسكو.

١ نوفمبر ١٩٧١الرئيس السادات يتولى مهامه القيادية للقوات المسلحة.

٢ ديسمبر ١٩٧١مصر تعترف بقيام دولة الإمارات العربية المتحدة.

٢٢ ـ ٢٤ ديسمبر ١٩٧١اجتماع الرئيس السادات والرئيس السورى حافظ الأسد والرئيس الليبى معمر القذافى في القاهرة وإعلان مجموعة من القرارات المهمة الخاصة بإنشاء أجهزة دولة الاتحاد الثلاثى.

٢٤ ديسمبر ١٩٧١بنك التنمية الدولى يمنح مصر قرضًا مقداره ٣٠ مليون دولار.

دستور ١٩٧١ الذى وضعه السادات ليعطى لنفسه حقوق غير عادية كما أنه قام بتغيير بعض مواده فى عام ١٩٨٠

دستور مصر ١٩٧١

الباب الأول: الدولة

مادة ١

جمهورية مصر العربية دولة نظامها اشتراكي ديمقراطي يقوم على تحالف قوى الشعب العاملة. والشعب المصري جزء من الأمة العربية يعمل على تحقيق وحدتها الشاملة.

مادة ٢

الإسلام دين الدولة، واللغة العربية لغتها الرسمية، ومبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع.

مادة ٣

السيادة للشعب وحده، وهو مصدر السلطات، ويمارس الشعب هذه السيادة ويحميها، ويصون الوحدة الوطنية على الوجه المبين في الدستور.

مادة ٤

الأساس الاقتصادي لجمهورية مصر العربية هو النظام الاشتراكي الديمقراطي القائم على الكفاية والعدل، بما يحول دون الاستغلال ويؤدى إلى تقريب الفوارق بين الدخول، ويحمى الكسب المشروع، ويكفل عدالة توزيع الأعباء والتكاليف العامة.

مادة ٥

يقوم النظام السياسي في جمهورية مصر العربية على أساس تعدد الأحزاب وذلك في إطار المقومات والمبادئ الأساسية للمجتمع المصري المنصوص عليها في الدستور.

وينظم القانون الأحزاب السياسية.

مادة ٦

الجنسية المصرية ينظمها القانون.

الباب الثاني: المقومات الأساسية للمجتمع

الفصل الأول: المقومات الاجتماعية

مادة ٧

يقوم المجتمع على التضامن الاجتماعى.

مادة ٨

تكفل الدولة تكافؤ الفرص لجميع المواطنين.

مادة ٩

الأسرة أساس المجتمع، قوامها الدين والأخلاق والوطنية.

وتحرص الدولة على الحفاظ على الطابع الأصيل للأسرة المصرية وما يتمثل فيه من قيم وتقاليد، مع تأكيد هذا الطابع وتنميته فى العلاقات داخل المجتمع المصرى.

مادة ١٠

تكفل الدولة حماية الأمومة والطفولة، وترعى النشء والشباب، وتوفر لهم الظروف المناسبة لتنمية ملكاتهم.

مادة ١١

تكفل الدولة التوفيق بين واجبات المرأة نحو الأسرة وعملها في المجتمع، ومساواتها بالرجل في ميادين الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، دون إخلال بأحكام الشريعة الإسلامية.

مادة ١٢

يلتزم المجتمع برعاية الأخلاق وحمايتها، والتمكين للتقاليد المصرية الأصيلة، وعليه مراعاة المستوى الرفيع للتربية الدينية والقيم الخلقية والوطنية، والتراث التاريخي للشعب، والحقائق العلمية، والسلوك الاشتراكي، والآداب العامة، وذلك في حدود القانون.

وتلتزم الدولة باتباع هذه المبادئ والتمكين لها.

مادة ١٣

العمل حق وواجب وشرف تكفله الدولة، ويكون العاملون الممتازون محل تقدير الدولة والمجتمع.

ولا يجوز فرض أي عمل جبرًا على المواطنين إلا بمقتضى قانون ولأداء خدمة عامة وبمقابل عادل.

مادة ١٤

الوظائف العامة حق للمواطنين، وتكليف للقائمين بها لخدمة الشعب، وتكفل الدولة حمايتهم وقيامهم بأداء واجباتهم في رعاية مصالح الشعب، ولا يجوز فصلهم بغير الطريق التأديبي إلا في الأحوال التي يحددها القانون.

مادة ١٥

للمحاربين القدماء والمصابين في الحرب أو بسببها ولزوجات الشهداء وأبنائهم الأولوية في فرص العمل وفقًا للقانون.

مادة ١٦

تكفل الدولة الخدمات الثقافية والاجتماعية والصحية، وتعمل بوجه خاص على توفيرها للقرية في يسر وانتظام رفعًا لمستواها.

مادة ١٧

تكفل الدولة خدمات التأمين الاجتماعي والصحي، ومعاشات العجز عن العمل والبطالة والشيخوخة للمواطنين جميعا، وذلك وفقًا للقانون.

مادة ١٨

التعليم حق تكفله الدولة، وهو إلزامي في المرحلة الابتدائية، وتعمل الدولة على مد الإلزام إلى مراحل أخرى. وتشرف على التعليم كله، وتكفل استقلال الجامعات ومراكز البحث العلمي، وذلك كله بما يحقق الربط بينه وبين حاجات المجتمع والإنتاج.

مادة ١٩

التربية الدينية مادة أساسية في مناهج التعليم العام.

مادة ٢٠

التعليم في مؤسسات الدولة التعليمية مجاني في مراحله المختلفة.

مادة ٢١

محو الأمية واجب وطني تجند كل طاقات الشعب من أجل تحقيقه.

مادة ٢٢

إنشاء الرتب المدنية محظور.

الفصل الثاني: المقومات الاقتصادية

مادة ٢٣

ينظم الاقتصاد القومي وفقًا لخطة تنمية شاملة تكفل زيادة الدخل القومي، وعدالة التوزيع، ورفع مستوى المعيشة، والقضاء على البطالة، وزيادة فرص العمل، وربط الأجر بالإنتاج، وضمان حد أدنى للأجور، ووضع حد أعلى يكفل تقريب الفروق بين الدخول.

مادة ٢٤

يسيطر الشعب على كل أدوات الإنتاج، وعلى توجيه فائضها وفقًا لخطة التنمية التي تضعها الدولة.

مادة ٢٥

لكل مواطن نصيب في الناتج القومي يحدده القانون بمراعاة عمله أو ملكيته غير المستغلة.

مادة ٢٦

للعاملين نصيب في إدارة المشروعات وفي أرباحها، ويلتزمون بتنمية الإنتاج وتنفيذ الخطة في وحداتهم الإنتاجية وفقًا للقانون. والمحافظة على أدوات الإنتاج واجب وطني.

ويكون تمثيل العمال في مجالس إدارة وحدات القطاع العام في حدود خمسين في المائة من عدد أعضاء هذه المجالس، وتعمل الدولة على أن يكفل القانون لصغار الفلاحين وصغار الحرفيين ثمانين في المائة في عضوية مجالس إدارة الجمعيات التعاونية الزراعية والجمعيات التعاونية الصناعية.

مادة ٢٧

يشترك المنتفعون في إدارة مشروعات الخدمات ذات النفع العام والرقابة عليها وفقًا للقانون.

مادة ٢٨

ترعى الدولة المنشآت التعاونية بكل صورها، وتشجع الصناعات الحرفية بما يكفل تطوير الإنتاج وزيادة الدخل.

وتعمل الدولة على دعم الجمعيات التعاونية الزراعية وفق الأسس العلمية الحديثة.

مادة ٢٩

تخضع الملكية لرقابة الشعب وتحميها الدولة، وهي ثلاثة أنواع: الملكية العامة، والملكية التعاونية، والملكية الخاصة.

مادة ٣٠

الملكية العامة هي ملكية الشعب، وتتأكد بالدعم المستمر للقطاع العام.

ويقود القطاع العام التقدم في جميع المجالات ويتحمل المسئولية الرئيسية في خطة التنمية.

مادة ٣١

الملكية التعاونية هي ملكية الجمعيات التعاونية، ويكفل القانون رعايتها ويضمن لها الإدارة الذاتية.

مادة ٣٢

الملكية الخاصة تتمثل في رأس المال غير المستغل، وينظم القانون أداء وظيفتها الاجتماعية في خدمة الاقتصاد القومي وفي إطار خطة التنمية، دون انحراف أو استغلال، ولا يجوز أن تتعارض في طرق استخدامها مع الخير العام للشعب.

مادة ٣٣

للملكية العامة حرمة، وحمايتها ودعمها واجب على كل مواطن وفقًا للقانون، باعتبارها سندًا لقوة الوطن وأساسًا للنظام الاشتراكي ومصدرًا لرفاهية الشعب.

مادة ٣٤

الملكية الخاصة مصونة، ولا يجوز فرض الحراسة عليها إلا في الأحوال المبينة في القانون وبحكم قضائي، ولا تنزع الملكية إلا للمنفعة العامة ومقابل تعويض وفقًا للقانون. وحق الإرث فيها مكفول.

مادة ٣٥

لا يجوز التأميم إلا لاعتبارات الصالح العام وبقانون، ومقابل تعويض.

مادة ٣٦

المصادر العامة للأموال محظورة، ولا تجوز المصادرة الخاصة إلا بحكم قضائي.

مادة ٣٧

يعين القانون الحد الأقصى للملكية الزراعية بما يضمن حماية الفلاح والعامل الزراعي من الاستغلال وبما يؤكد سلطة تحالف قوى الشعب العاملة على مستوى القرية.

مادة ٣٨

يقوم النظام الضريبي على العدالة الاجتماعية.

مادة ٣٩

الادخار واجب وطني تحميه الدولة وتشجعه وتنظمه.

الباب الثالث: الحريات والحقوق والواجبات العامة

مادة ٤٠

المواطنون لدى القانون سواء، وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة، لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة.

مادة ٤١

الحرية الشخصية حق طبيعي وهي مصونة لا تمس، وفيما عدا حالة التلبس لا يجوز القبض على أحد أو تفتيشه أو حبسه أو تقييد حريته بأي قيد أو منعه من التنقل إلا بأمر تستلزمه ضرورة التحقيق وصيانة أمن المجتمع، ويصدر هذا الأمر من القاضي المختص أو النيابة العامة، وذلك وفقا لأحكام القانون. ويحدد القانون مدة الحبس الاحتياطي.

مادة ٤٢

كل مواطن يقبض عليه أو يحبس أو تقيد حريته بأي قيد تجب معاملته بما يحفظ عليه كرامة الإنسان، ولا يجوز إيذاؤه بدنيًّا أو معنويًّا، كما لا يجوز حجزه أو حبسه في غير الأماكن الخاضعة للقوانين الصادرة بتنظيم السجون.

وكل قول يثبت أنه صدر من مواطن تحت وطأة شيء مما تقدم أو التهديد بشيء منه يهدر ولا يعول عليه.

مادة ٤٣

لا يجوز إجراء أي تجربة طبية أو علمية على أي إنسان بغير رضائه الحر.

مادة ٤٤

للمساكن حرمة فلا يجوز دخولها ولا تفتيشها إلا بأمر قضائي مسبب وفقًا لأحكام القانون.

مادة ٤٥

لحياة المواطنين الخاصة حرمة يحميها القانون. وللمراسلات البريدية والبرقية والمحادثات التليفونية وغيرها من وسائل الاتصال حرمة، وسريتها مكفولة، ولا تجوز مصادرتها أو الاطلاع عليها أو رقابتها إلا بأمر قضائي مسبب ولمدة محددة ووفقًا لأحكام القانون.

مادة ٤٦

تكفل الدولة حرية العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية.

مادة ٤٧

حرية الرأي مكفولة، ولكل إنسان التعبير عن رأيه ونشره بالقول أو الكتابة أو التصوير أو غير ذلك من وسائل التعبير في حدود القانون، والنقد الذاتي والنقد البناء ضمان لسلامة البناء الوطني.

مادة ٤٨

حرية الصحافة والطباعة والنشر ووسائل الإعلام مكفولة، والرقابة على الصحف محظورة وإنذارها أو وقفها أو إلغاؤها بالطريق الإداري محظور، ويجوز استثناء في حالة إعلان الطوارئ أو زمن الحرب أن يفرض على الصحف والمطبوعات ووسائل الإعلام رقابة محددة في الأمور التي تتصل بالسلامة العامة أو أغراض الأمن القومي، وذلك كله وفقًا للقانون.

مادة ٤٩

تكفل الدولة للمواطنين حرية البحث العلمي والإبداع الأدبي والفني والثقافي، وتوفر وسائل التشجيع اللازمة لتحقيق ذلك.

مادة ٥٠

لا يجوز أن تحظر على أي مواطن الإقامة في جهة معينة ولا أن يلزم بالإقامة في مكان معين إلا في الأحوال المبينة في القانون.

مادة ٥١

لا يجوز إبعاد أي مواطن عن البلاد أو منعه من العودة إليها.

مادة ٥٢

للمواطنين حق الهجرة الدائمة أو الموقوتة إلى الخارج، وينظم القانون هذا الحق وإجراءات وشروط الهجرة ومغادرة البلاد.

مادة ٥٣

تمنح الدولة حق الالتجاء السياسي لكل أجنبي اضطهد بسبب الدفاع عن مصالح الشعوب أو حقوق الإنسان أو السلام أو العدالة.

وتسليم اللاجئين السياسيين محظور.

مادة ٥٤

للمواطنين حق الاجتماع الخاص في هدوء غير حاملين سلاحًا ودون حاجة إلى إخطار سابق، ولا يجوز لرجال الأمن حضور اجتماعاتهم الخاصة. والاجتماعات العامة والمواكب والتجمعات مباحة في حدود القانون.

مادة ٥٥

للمواطنين حق تكوين الجمعيات على الوجه المبين في القانون، ويحظر إنشاء جمعيات يكون نشاطها معاديًا لنظام المجتمع أو سريًا أو ذا طابع عسكري.

مادة ٥٦

إنشاء النقابات والاتحادات على أساس ديمقراطي حق يكفله القانون، وتكون لها الشخصية الاعتبارية.

وينظم القانون مساهمة النقابات والاتحادات في تنفيذ الخطط والبرامج الاجتماعية، وفي رفع مستوى الكفاية ودعم السلوك الاشتراكي بين أعضائها وحماية أموالها.

وهي ملزمة بمساءلة أعضائها عن سلوكهم في ممارسة نشاطهم وفق مواثيق شرف أخلاقية، وبالدفاع عن الحقوق والحريات المقررة قانونا لأعضائها.

مادة ٥٧

كل اعتداء على الحرية الشخصية أو حرمة الحياة الخاصة للمواطنين وغيرها من الحقوق والحريات العامة التي يكفلها الدستور والقانون جريمة لا تسقط الدعوى الجنائية ولا المدنية الناشئة عنها بالتقادم، وتكفل الدولة تعويضًا عادلاً لمن وقع عليه الاعتداء.

مادة ٥٨

الدفاع عن الوطن وأرضه واجب مقدس، والتجنيد إجباري وفقًا للقانون.

مادة ٥٩

حماية المكاسب الاشتراكية ودعمها والحفاظ عليها واجب وطني.

مادة ٦٠

الحفاظ على الوحدة الوطنية وصيانة أسرار الدولة واجب على كل مواطن.

مادة ٦١

أداء الضرائب والتكاليف العامة واجب وفقًا للقانون.

مادة ٦٢

للمواطن حق الانتخاب والترشيح وإبداء الرأي في الاستفتاء وفقًا لأحكام القانون، ومساهمته في الحياة العامة واجب وطني.

مادة ٦٣

لكل فرد حق مخاطبة السلطات العامة كتابة وبتوقيعه، ولا تكون مخاطبة السلطات العامة باسم الجماعات إلا للهيئات النظامية والأشخاص الاعتبارية.

الباب الرابع: سيادة القانون

مادة ٦٤

سيادة القانون أساس الحكم في الدولة.

مادة ٦٥

تخضع الدولة للقانون، واستقلال القضاء وحصانته ضمانان أساسيان لحماية الحقوق والحريات.

مادة ٦٦

العقوبة شخصية. ولا جريمة ولا عقوبة إلا بناء على قانون، ولا توقع عقوبة إلا بحكم قضائي، ولا عقاب إلا على الأفعال اللاحقة لتاريخ نفاذ القانون.

مادة ٦٧

المتهم بريء حتى تثبت إدانته في محاكمة قانونية تكفل له فيها ضمانات الدفاع عن نفسه.

وكل متهم في جناية يجب أن يكون له محامٍ يدافع عنه.

مادة ٦٨

التقاضي حق مصون ومكفول للناس كافة، ولكل مواطن حق الالتجاء إلى قاضيه الطبيعي، وتكفل الدولة تقريب جهات القضاء من المتقاضين وسرعة الفصل في القضايا.

ويحظر النص في القوانين على تحصين أي عمل أو قرار إداري من رقابة القضاء.

مادة ٦٩

حق الدفاع أصالة أو بالوكالة مكفول.

ويكفل القانون لغير القادرين ماليًا وسائل الالتجاء إلى القضاء والدفاع عن حقوقهم.

مادة ٧٠

لا تقام الدعوى الجنائية إلا بأمر من جهة قضائية، فيما عدا الأحوال التي يحددها القانون.

مادة ٧١

يبلغ كل من يقبض عليه أو يعتقل بأسباب القبض عليه أو اعتقاله فورًا، ويكون له حق الاتصال بمن يرى إبلاغه بما وقع أو الاستعانة به على الوجه الذي ينظمه القانون، ويجب إعلانه على وجه السرعة بالتهم الموجهة إليه، وله ولغيره التظلم أمام القضاء من الإجراء الذي قيد حريته الشخصية، وينظم القانون حق التظلم بما يكفل الفصل فيه خلال مدة محددة، وإلا وجب الإفراج حتمًا.

مادة ٧٢

تصدر الأحكام وتنفذ باسم الشعب، ويكون الامتناع عن تنفيذها أو تعطيل تنفيذها من جانب الموظفين العموميين المختصين جريمة يعاقب عليها القانون، وللمحكوم له في هذه الحالة حق رفع الدعوى الجنائية مباشرة إلى المحكمة المختصة.

الباب الخامس: نظام الحكم

الفصل الأول: رئيس الدولة

رئيس الجمهورية إذا قام خطر يهدد الوحدة الوطنية أو سلامة الوطن أو يعوق مؤسسات الدولة عن أداء دورها الدستوري أن يتخذ الإجراءات السريعة لمواجهة هذا الخطر، ويوجه بيانًا إلى الشعب، ويجرى الاستفتاء على ما اتخذه من إجراءات خلال ستين يومًا من اتخاذها.

مادة ٧٥

يشترط فيمن ينتخب رئيسًا للجمهورية أن يكون مصريًا من أبوين مصريين، وأن يكون متمتعًا بحقوقه المدنية والسياسية، وألا تقل سنه عن أربعين سنة ميلادية.

مادة ٧٦

ينتخب رئيس الجمهورية عن طريق الاقتراع السرى العام المباشر. ويلزم لقبول الترشيح لرئاسة الجمهورية أن يؤيد المتقدم للترشيح مائتان وخمسون عضوًا على الأقل من الأعضاء المنتخبين لمجلسى الشعب والشورى والمجالس الشعبية المحلية للمحافظات، على ألا يقل عدد المؤيدين عن خمسة وستين من أعضاء مجلس الشعب وخمسة وعشرين من أعضاء مجلس الشورى، وعشرة أعضاء من كل مجلس شعبى محلى للمحافظة من أربع عشرة محافظة على الأقل. ويزداد عدد المؤيدين للترشيح من أعضاء كل من مجلسى الشعب والشورى ومن أعضاء المجالس الشعبية المحلية للمحافظات بما يعادل نسبة ما يطرأ من زيادة على عدد أعضاء أيمن هذه المجالس. وفي جميع الأحوال لا يجوز أن يكون التأييد لأكثر من مرشح، وينظم القانون الإجراءات الخاصة بذلك كله. وللأحزاب السياسية التي مضى على تأسيسها خمسة أعوام متصلة على الأقل قبل إعلان فتح باب الترشيح، واستمرت طوال هذه المدة في ممارسة نشاطها مع حصول أعضائها في آخر انتخابات على نسبة ٥٪ على الأقل من مقاعد المنتخبين في كل من مجلس الشعب ومجلس الشورى، أن ترشيح لرئاسة الجمهورية أحد أعضاء هيئتها العليا وفقًا لنظامها الأساسى متى مضى على عضويته في هذه الهيئة سنة متصلة على الأقل. واستثناء من حكم الفقرة السابقة، يجوز لكل حزب سياسى أن يرشح في أول انتخابات رئاسية تجرى بعد العمل بأحكام هذه المادة أحد أعضاء هيئته العليا المشكلة قبل العاشر من مايو سنة ٢٠٠٥، وفقًا لنظامه

الأساسي. وتقدم طلبات الترشيح إلى لجنة تسمى "لجنة الانتخابات الرئاسية" تتمتع بالاستقلال، وتشكل من رئيس المحكمة الدستورية العليا رئيسًا، وعضوية كل من رئيس محكمة استئناف القاهرة، وأقدم نواب رئيس المحكمة الدستورية العليا، وأقدم نواب رئيس محكمة النقض، وأقدم نواب رئيس مجلس الدولة، وخمسة من الشخصيات العامة المشهود لها بالحياد، يختار ثلاثة منهم مجلس الشعب ويختار الاثنين الآخرين مجلس الشورى، وذلك بناء على اقتراح مكتب كل من المجلسين وذلك لمدة خمسة سنوات، ويحدد القانون من يحل محل رئيس اللجنة أو أي من أعضائها في حالة وجود مانع لديه. وتختص هذه اللجنة دون غيرها بما يلي:

١ ـ إعلان فتح باب الترشيح والإشراف على إجراءاته وإعلان القائمة النهائية للمرشحين.

٢ ـ الإشراف العام على إجراءات الاقتراح والفرز.

٣ ـ إعلان نتيجة الانتخاب.

٤ ـ الفصل في التظلمات والطعون كافة، وفي جميع المسائل المتعلقة باختصاصها بما في ذلك تنازع الاختصاص.

٥ ـ وضع لائحة لتنظيم أسلوب عملها وكيفية ممارسة اختصاصاتها.

وتصدر قراراتها بأغلبية سبعة من أعضائها على الأقل، وتكون قراراتها نهائية ونافذة بذاتها، غير قابلة للطعن عليها بأي طريق وأمام أية جهة، كما لا يجوز التعرض لقراراتها بالتأويل أو بوقف التنفيذ. ويحدد القانون المنظم للانتخابات الرئاسية الاختصاصات الأخرى للجنة. كما يحدد القانون القواعد المنظمة لترشيح من يخلو مكانه من أحد المرشحين لأى سبب غير التنازل عن الترشيح في الفترة بين بدء الترشيح وقبل انتهاء الاقتراع.

ويجرى الاقتراع في يوم واحد وتشكل لجنة الانتخابات الرئاسية اللجان التي تتولى مراحل العملية الانتخابية والفرز، على أن تقوم بالإشراف عليها لجان عامة تشكلها اللجنة من أعضاء الهيئات القضائية. وذلك كله وفقًا للقواعد والإجراءات التى تحددها اللجنة.

ويعلن انتخاب رئيس الجمهورية بحصول المرشح على الأغلبية المطلقة لعدد الأصوات الصحيحة، فإذا لم يحل أي من المرشحين على هذه الأغلبية أعيد الانتخاب بعد سبعة أيام على الأقل بين المرشحين الذين حصلا على أكبر عدد من الأصوات، فإذا تساوى مع ثانيهما غيره في عدد الأصوات الصحيحة اشترك في انتخابات الإعادة، وفي هذه الحالة يعلن فوز من يحصل على أكبر عدد من الأصوات الصحيحة.

ويتم الاقتراع لانتخاب رئيس الجمهورية حتى ولو تقدم للترشيح مرشح واحد، أو لم يبق سواه بسبب تنازل باقى المرشحين أو لعدم ترشيح أحد غير من خلا مكانه، وفي هذه الحالة يعلن فوز المرشح الحاصل على الأغلبية المطلقة لعدد من أدلوا بأصواتهم الصحيحة.

وينظم القانون ما يتبع في حالة عدم حصول المرشح على هذه الأغلبية.

ويعرض رئيس الجمهورية مشروع القانون المنظم للانتخابات الرئاسية على المحكمة الدستورية العليا بعد إقراره من مجلس الشعب وقبل إصداره لتقرير مدى مطابقته للدستور، وتصدر المحكمة قرارها في هذا الشأن خلال خمسة عشر يومًا من تاريخ عرض الأمر عليها. فإذا قررت المحكمة عدم دستورية نص أو أكثر من نصوص المشروع رده رئيس الجمهورية إلى مجلس الشعب لإعمال مقتضى هذا القرار. وفي جميع الأحوال يكون قرار المحكمة ملزمًا للكافة ولجميع سلطات الدولة، وينشر في الجريدة الرسمية خلال ثلاثة أيام من تاريخ صدوره.

مادة ٧٧

مدة الرئاسة ست سنوات ميلادية تبدأ من تاريخ إعلان نتيجة الاستفتاء، ويجوز إعادة انتخاب رئيس الجمهورية لمدد أخرى.

مادة ٧٨

تبدأ الإجراءات لاختيار رئيس الجمهورية الجديد قبل انتهاء مدة رئيس الجمهورية بستين يومًا، ويجب أن يتم اختياره قبل انتهاء المدة بأسبوع على الأقل، فإذا انتهت هذه المدة دون أن يتم اختيار الرئيس الجديد لأي سبب كان، استمر الرئيس السابق في مباشرة مهام الرئاسة حتى يتم اختيار خلفه.

مادة ٧٩

يؤدى الرئيس أمام مجلس الشعب قبل أن يباشر مهام منصبه اليمين الآتية:

"أقسم بالله العظيم أن أحافظ مخلصًا على النظام الجمهورى، وأن أحترم الدستور والقانون، وأن أرعى مصالح الشعب رعاية كاملة، وأن أحافظ على استقلال الوطن وسلامة أراضيه."

مادة ٨٠

يحدد القانون مرتب رئيس الجمهورية.

ولا يسري تعديل المرتب أثناء مدة الرئاسة التي تقرر فيها التعديل. ولا يجوز لرئيس الجمهورية أن يتقاضى أى مرتب أو مكافأة أخرى.

مادة ٨١

لا يجوز لرئيس الجمهورية أثناء مدة رئاسته أن يزاول مهنة حرة أو عملاً تجاريًا أو ماليًا أو صناعيًا، أو أن يشتري أو يستأجر شيئًا من أموال الدولة، أو أن يؤجرها أو يبيعها شيئًا من أمواله، أو أن يقايضها عليه.

مادة ٨٢

إذا قام مانع مؤقت يحول دون مباشرة رئيس الجمهورية لاختصاصاته أناب عنه نائب رئيس الجمهورية.

مادة ٨٣

إذا قدم رئيس الجمهورية استقالته من منصبه وجه كتاب الاستقالة إلى مجلس الشعب.

مادة ٨٤

في حالة خلو منصب رئيس الجمهورية أو عجزه الدائم عن العمل يتولى الرئاسة مؤقتًا رئيس مجلس الشعب، وإذا كان المجلس منحلا حل محله رئيس المحكمة الدستورية العليا، وذلك بشرط ألا يرشح أيهما للرئاسة.

ويعلن مجلس الشعب خلو منصب رئيس الجمهورية.

ويتم اختيار رئيس الجمهورية خلال مدة لا تجاوز ستين يومًا من تاريخ خلو منصب الرئاسة.

مادة ٨٥

يكون اتهام رئيس الجمهورية بالخيانة العظمى أم بارتكاب جريمة جنائية بناء على اقتراح مقدم من ثلث أعضاء مجلس الشعب على الأقل، ولا يصدر قرار الاتهام إلا بأغلبية ثلثى أعضاء المجلس.

ويقف رئيس الجمهورية عن عمله بمجرد صدور قرار الاتهام، ويتولى نائب رئيس الجمهورية الرئاسة مؤقتًا لحين الفصل في الاتهام. وتكون محاكمة رئيس الجمهورية أمام محكمة خاصة ينظم القانون تشكيلها وإجراءات المحاكمة أمامها ويحدد العقاب، وإذا حكم بإدانته أعفي من منصبه مع عدم الإخلال بالعقوبات الأخرى.

الفصل الثاني: السلطة التشريعية

مادة ٨٦

يتولى مجلس الشعب سلطة التشريع، ويقر السياسة العامة للدولة، والخطة العامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، والموازنة العامة للدولة، كما يمارس الرقابة على أعمال السلطة التنفيذية، وذلك كله على الوجه المبين في الدستور.

مادة ٨٧

يحدد القانون الدوائر الانتخابية التي تقسم إليها الدولة، وعدد أعضاء مجلس الشعب المنتخبين، على ألا يقل عن ثلاثمائة وخمسين عضوًا، نصفهم على الأقل من العمال والفلاحين، ويكون انتخابهم عن طريق الانتخاب المباشر السري العام.

ويبين القانون تعريف العامل والفلاح.

ويجوز لرئيس الجمهورية أن يعين في مجلس الشعب عددًا من الأعضاء لا يزيد على عشرة.

مادة ٨٨

يحدد القانون الشروط الواجب توافرها في أعضاء مجلس الشعب، ويبين أحكام الانتخاب والاستفتاء، على أن يتم الاقتراع تحت إشراف أعضاء من هيئة قضائية.

مادة ٨٩

يجوز للعاملين في الحكومة وفي القطاع العام أن يرشحوا أنفسهم لعضوية مجلس الشعب.

وفيما عدا الحالات التي يحددها القانون يتفرغ عضو مجلس الشعب لعضوية المجلس، ويحتفظ له بوظيفته أو عمله وفقًا لأحكام القانون.

مادة ٩٠

يقسم عضو مجلس الشعب أمام المجلس قبل أن يباشر عمله اليمين الآتية:

"أقسم بالله العظيم أن أحافظ مخلصًا على سلامة الوطن والنظام الجمهوري، وأن أرعى مصالح الشعب، وأن أحترم الدستور والقانون."

مادة ٩١

يتقاضى أعضاء مجلس الشعب مكافأة يحددها القانون.

مادة ٩٢

مدة مجلس الشعب خمس سنوات ميلادية من تاريخ أول اجتماع له. ويجرى الانتخاب لتجديد المجلس خلال الستين يومًا السابقة على انتهاء مدته.

مادة ٩٣

يختص المجلس بالفصل في صحة عضوية أعضائه. وتختص محكمة النقض بالتحقيق في صحة الطعون المقدمة إلى المجلس بعد إحالتها إليها من رئيسه. ويجب إحالة الطعن إلى محكمة النقض خلال خمسة عشر يومًا من تاريخ علم المجلس به، ويجب الانتهاء من التحقيق خلال تسعين يومًا من تاريخ إحالته إلى محكمة النقض.

وتعرض نتيجة التحقيق والرأي الذي انتهت إليه المحكمة على المجلس للفصل في صحة الطعن خلال ستين يومًا من تاريخ عرض نتيجة التحقيق على المجلس.

ولا تعتبر العضوية باطلة إلا بقرار يصدر بأغلبية ثلثي أعضاء المجلس.

مادة ٩٤

إذا خلا مكان أحد الأعضاء قبل انتهاء مدته انتخب أو عين خلف له خلال ستين يومًا من تاريخ إبلاغ المجلس بخلو المكان.

وتكون مدة العضو الجديد هي المدة المكملة لمدة عضوية سلفه.

مادة ٩٥

لا يجوز لعضو مجلس الشعب أثناء مدة عضويته أن يشتري أو يستأجر شيئًا من أموال الدولة، أو أن يؤجرها أو يبيعها شيئًا من أمواله أو أن يقايضها عليه، أو أن يبرم مع الدولة عقدًا بوصفه ملتزمًا أو موردًا أو مقاولاً.

مادة ٩٦

لا يجوز إسقاط عضوية أحد أعضاء المجلس إلا إذا فقد الثقة والاعتبار، أو فقد أحد شروط العضوية أو صفة العامل أو الفلاح التي انتخب على أساسها أو أخل بواجبات عضويته. ويجب أن يصدر قرار إسقاط العضوية من المجلس بأغلبية ثلثي أعضائه.

مادة ٩٧

مجلس الشعب هو الذي يقبل استقالة أعضائه.

مادة ٩٨

لا يؤاخذ أعضاء مجلس الشعب عما يبدونه من الأفكار والآراء في أداء أعمالهم في المجلس أو في لجانه.

مادة ٩٩

لا يجوز في غير حالة التلبس بالجريمة اتخاذ أى إجراءات جنائية ضد عضو مجلس الشعب إلا بإذن سابق من المجلس.

وفي غير دور انعقاد المجلس يتعين أخذ إذن رئيس المجلس.

ويخطر المجلس عند أول انعقاد له بما اتخذ من إجراء.

مادة ١٠٠

مدينة القاهرة مقر مجلس الشعب، ويجوز في الظروف الاستثنائية أن يعقد جلساته في مدينة أخرى بناء على طلب رئيس الجمهورية أو أغلبية أعضاء المجلس.

واجتماع مجلس الشعب في غير المكان المعد له غير مشروع والقرارات التي تصدر فيه باطلة.

مادة ١٠١

يدعو رئيس الجمهورية مجلس الشعب للانعقاد للدور السنوي العادي قبل يوم الخميس الثاني من شهر نوفمبر، فإذا لم يدع يجتمع بحكم الدستور في اليوم المذكور، ويدوم دور الانعقاد العادي سبعة أشهر على الأقل.

ويفض رئيس الجمهورية دورته العادية. ولا يجوز فضها قبل اعتماد الموازنة العامة للدولة.

مادة ١٠٢

يدعو رئيس الجمهورية مجلس الشعب لاجتماع غير عادى، وذلك في حالة الضرورة، أو بناء على طلب بذلك موقع من أغلبية أعضاء مجلس الشعب.

ويعلن رئيس الجمهورية فض الاجتماع غير العادي.

مادة ١٠٣

ينتخب مجلس الشعب رئيسًا له ووكيلين في أول اجتماع لدور الانعقاد السنوي العادي لمدة هذا الدور، وإذا خلا مكان أحدهم انتخب المجلس من يحل محله إلى نهاية مدته.

مادة ١٠٤

يضع مجلس الشعب لائحته لتنظيم أسلوب العمل فيه وكيفية ممارسة وظائفه.

مادة ١٠٥

لمجلس الشعب وحده المحافظة على النظام داخله، ويتولى ذلك رئيس المجلس.

مادة ١٠٦

جلسات مجلس الشعب علنية.

ويجوز انعقاده في جلسة سرية بناء على طلب رئيس الجمهورية أو الحكومة أو بناء على طلب رئيسه أو عشرين من أعضائه على الأقل. ثم يقرر المجلس ما إذا كانت المناقشة في الموضوع المطروح أمامه تجرى في جلسة علنية أو سرية.

مادة ١٠٧

لا يكون انعقاد المجلس صحيحًا إلا بحضور أغلبية أعضائه. ويتخذ المجلس قراراته بالأغلبية المطلقة للحاضرين، وذلك في غير الحالات التي تشترط فيها أغلبية خاصة. ويجرى التصويت على مشروعات القوانين مادة مادة. وعند تساوى الآراء يعتبر الموضوع الذي جرت المناقشة في شأنه مرفوضًا.

مادة ١٠٨

لرئيس الجمهورية عند الضرورة وفي الأحوال الاستثنائية وبناء على تفويض من مجلس الشعب بأغلبية ثلثي أعضائه أن يصدر قرارات لها قوة القانون، ويجب أن يكون التفويض لمدة محدودة وأن تبين فيه موضوعات هذه القرارات والأسس التي تقوم عليها، ويجب عرض هذه القرارات على مجلس الشعب في أول جلسة بعد انتهاء مدة التفويض، فإذا لم تعرض أو عرضت ولم يوافق المجلس عليها زال ما كان له من قوة القانون.

مادة ١٠٩

لرئيس الجمهورية ولكل عضو من أعضاء مجلس الشعب حق اقتراح القوانين.

مادة ١١٠

يحال كل مشروع قانون إلى إحدى لجان المجلس لفحصه وتقديم تقرير عنه، على أنه بالنسبة إلى مشروعات القوانين المقدمة من أعضاء مجلس الشعب فإنها لا تحال إلى تلك اللجنة إلا بعد فحصها أمام لجنة خاصة لإبداء الرأي في جواز نظر المجلس فيها، وبعد أن يقرر المجلس ذلك.

مادة ١١١

كل مشروع قانون اقترحه أحد الأعضاء ورفضه المجلس لا يجوز تقدمه ثانية في نفس دور الانعقاد.

مادة ١١٢

لرئيس الجمهورية حق إصدار القوانين أو الاعتراض عليها.

مادة ١١٣

إذا اعترض رئيس الجمهورية على مشروع قانون أقره مجلس الشعب رده إليه خلال ثلاثين يومًا من تاريخ إبلاغ المجلس إياه، فإذا لم يرد مشروع القانون في هذا الميعاد اعتبر قانونًا وأصدر. وإذا رد في الميعاد المتقدم إلى المجلس وأقره ثانية بأغلبية ثلثي أعضائه اعتبر قانونًا وأصدر.

مادة ١١٤

يقر مجلس الشعب الخطة العامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ويحدد القانون طريقة إعداد الخطة وعرضها على مجلس الشعب.

مادة ١١٥

يجب عرض مشروع الموازنة العامة على مجلس الشعب قبل شهرين على الأقل من بدء السنة المالية، ولا تعتبر نافذة إلا بموافقته عليها.

ويتم التصويت على مشروع الموازنة بابًا بابًا وتصدر بقانون، ولا يجوز لمجلس الشعب أن يعدل مشروع الموازنة إلا بموافقة الحكومة، وإذا لم يتم اعتماد الموازنة الجديدة قبل السنة المالية عمل بالموازنة القديمة إلى حين اعتمادها.

ويحدد القانون طريقة إعداد الموازنة، كما يحدد السنة المالية.

مادة ١١٦

تجب موافقة مجلس الشعب على نقل أي مبلغ من باب إلى آخر من أبواب الموازنة العامة، وكذلك على كل مصروف غير وارد بها. أو زائد في تقديراتها، وتصدر بقانون.

مادة ١١٧

يحدد القانون أحكام موازنات المؤسسات والهيئات العامة وحساباتها.

مادة ١١٨

يجب عرض الحساب الختامي لميزانية الدولة على مجلس الشعب في مدة لا تزيد على سنة واحدة من تاريخ انتهاء السنة المالية. ويتم التصويت عليه بابًا بابًا. ويصدر بقانون.

كما يجب عرض التقرير السنوي للجهاز المركزي للمحاسبات وملاحظاته على مجلس الشعب.

وللمجلس أن يطلب من الجهاز المركزي للمحاسبات أى بيانات أو تقارير أخرى.

مادة ١١٩

إنشاء الضرائب العامة وتعديلها أو إلغاؤها لا يكون إلا بقانون ولا يعفي أحد من أدائها إلا في الأحوال المبينة في القانون.

ولا يجوز تكليف أحد أداء غير ذلك من الضرائب أو الرسوم إلا في حدود القانون.

مادة ١٢٠

ينظم القانون القواعد الأساسية لجباية الأموال العامة وإجراءات صرفها.

مادة ١٢١

لا يجوز للسلطة التنفيذية عقد قروض أو الارتباط بمشروع يترتب عليه إنفاق مبالغ من خزانة الدولة في فترة مقبلة إلا بموافقة مجلس الشعب.

مادة ١٢٢

يعين القانون قواعد منح المرتبات والمعاشات والتعويضات والإعانات والمكافآت التي تتقرر على خزانة الدولة. وينظم القانون حالات الاستثناء منها والجهات التي تتولى تطبيقها.

مادة ١٢٣

يحدد القانون القواعد والإجراءات الخاصة بمنح الالتزامات المتعلقة باستغلال موارد الثروة الطبيعية والمرافق العامة، كما يبين أحوال التصرف بالمجان في العقارات المملوكة للدولة والنزول عن أموالها المنقولة والقواعد والإجراءات المنظمة لذلك.

مادة ١٢٤

لكل عضو من أعضاء مجلس الشعب أن يوجه إلى رئيس مجلس الوزراء أو أحد نوابه أو أحد الوزراء أو نوابهم أسئلة في أي موضوع يدخل في اختصاصاتهم.

وعلى رئيس مجلس الوزراء أو نوابه أو الوزراء أو من ينيبونه الإجابة عن أسئلة الأعضاء.

ويجوز للعضو سحب السؤال في أي وقت ولا يجوز تحويله في نفس الجلسة إلى استجواب.

مادة ١٢٥

لكل عضو من أعضاء مجلس الشعب حق توجيه استجوابات إلى رئيس مجلس الوزراء أو نوابه أو الوزراء أو نوابهم لمحاسبتهم في الشئون التي تدخل في اختصاصاتهم.

وتجرى المناقشة في الاستجواب بعد سبعة أيام على الأقل من تقديمه، إلا في حالات الاستعجال التي يراها المجلس وبموافقة الحكومة.

مادة ١٢٦

الوزراء مسئولون أمام مجلس الشعب عن السياسة العامة للدولة، وكل وزير مسئول عن أعمال وزارته.

ولمجلس الشعب أن يقرر سحب الثقة من أحد نواب رئيس مجلس الوزراء أو أحد الوزراء أو نوابهم، ولا يجوز عرض طلب سحب الثقة إلا بعد استجواب، وبناء على اقتراح عشر أعضاء المجلس.

ولا يجوز للمجلس أن يصدر قراره في الطلب قبل ثلاثة أيام على الأقل من تقديمه. ويكون سحب الثقة بأغلبية أعضاء المجلس.

مادة ١٢٧

لمجلس الشعب أن يقرر بناء على طلب عشر أعضائه مسئولية رئيس مجلس الوزراء، ويصدر القرار بأغلبية أعضاء المجلس.

ولا يجوز أن يصدر هذا القرار إلا بعد استجواب موجه إلى الحكومة وبعد ثلاثة أيام على الأقل من تقديم الطلب.

وفي حالة تقرير المسئولية يعد المجلس تقريرًا يرفعه إلى رئيس الجمهورية متضمنًا لعناصر الموضوع وما انتهى إليه من رأى في هذا الشأن وأسبابه.

ولرئيس الجمهورية أن يرد التقرير إلى المجلس خلال عشرة أيام، فإذا عاد المجلس إلى إقراره من جديد جاز لرئيس الجمهورية أن يعرض موضوع النزاع بين المجلس والحكومة على الاستفتاء الشعبي.

ويجب أن يجرى الاستفتاء خلال ثلاثين يومًا من تاريخ الإقرار الأخير للمجلس، وتقف جلسات المجلس في هذه الحالة.

فإذا جاءت نتيجة الاستفتاء مؤيدة للحكومة اعتبر المجلس منحلا. وإلا قبل رئيس الجمهورية استقالة الوزارة.

مادة ١٢٨

إذا قرر المجلس سحب الثقة من أحد نواب رئيس مجلس الوزراء أو الوزراء أو نوابهم وجب عليه اعتزال منصبه.

ويقدم رئيس مجلس الوزراء استقالته إلى رئيس الجمهورية إذا تقررت مسئوليته أمام مجلس الشعب.

مادة ١٢٩

يجوز لعشرين عضوًا على الأقل من أعضاء مجلس الشعب طرح موضوع عام للمناقشة لاستيضاح سياسة الوزارة بشأنه.

مادة ١٣٠

لأعضاء مجلس الشعب إبداء رغبات في موضوعات عامة إلى رئيس مجلس الوزراء أو أحد نوابه أو أحد الوزراء.

مادة ١٣١

لمجلس الشعب أن يكون لجنة خاصة أو يكلف لجنة من لجانه بفحص نشاط إحدى المصالح الإدارية أو المؤسسات العامة، أو أي جهاز تنفيذي أو إداري، أو أي مشروع من المشروعات العامة، وذلك من أجل تقصى الحقائق، وإبلاغ المجلس بحقيقة الأوضاع المالية أو الإدارية أو الاقتصادية، أو إجراء تحقيقات في أي موضوع يتعلق بعمل من الأعمال السابقة.

وللجنة في سبيل القيام بمهمتها أن تجمع ما تراه من أدلة، وأن تطلب سماع من ترى سماع أقواله، وعلى جميع الجهات التنفيذية والإدارية أن تستجيب إلى طلبها، وأن تضع تحت تصرفها لهذا الغرض ما تطلبه من وثائق أو مستندات أو غير ذلك.

مادة ١٣٢

يلقي رئيس الجمهورية عند افتتاح دور الانعقاد العادي لمجلس الشعب بيانًا يتضمن السياسة العامة للدولة، وله الحق في إلقاء أي بيانات أخرى أمام المجلس.

ولمجلس الشعب مناقشة بيان رئيس الجمهورية.

مادة ١٣٣

يقدم رئيس مجلس الوزراء بعد تأليف الوزارة، وعند افتتاح دور الانعقاد العادي لمجلس الشعب، برنامج الوزارة.

ويناقش مجلس الشعب هذا البرنامج.

مادة ١٣٤

يجوز لرئيس مجلس الوزراء ونوابه والوزراء ونوابهم أن يكونوا أعضاء فى مجلس الشعب، كما يجوز لغير الأعضاء منهم حضور جلسات المجلس ولجانه.

مادة ١٣٥

يسمع رئيس مجلس الوزراء في مجلس الشعب ولجانه كلما طلبوا الكلام، ولهم أن يستعينوا بمن يرون من كبار الموظفين. ولا يكون للوزير صوت معدود عند أخذ الرأى، إلا إذا كان من الأعضاء.

مادة ١٣٦

لا يجوز لرئيس الجمهورية حل مجلس الشعب إلا عند الضرورة وبعد استفتاء الشعب، ويصدر رئيس الجمهورية قرارًا بوقف جلسات المجلس وإجراء الاستفتاء خلال ثلاثين يومًا، فإذا أقرت الأغلبية المطلقة لعدد من أعطوا أصواتهم الحل، أصدر رئيس الجمهورية قرارًا به.

ويجب أن يشتمل القرار على دعوة الناخبين لإجراء انتخابات جديدة لمجلس الشعب في ميعاد لا يجاوز ستين يومًا من تاريخ إعلان نتيجة الاستفتاء.

ويجتمع المجلس الجديد خلال الأيام العشرة التالية لإتمام الانتخاب.

الفصل الثالث: السلطة التنفيذية

الفرع الأول: رئيس الجمهورية

مادة ١٣٧

يتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية، ويمارسها على الوجه المبين في الدستور.

مادة ١٣٨

يضع رئيس الجمهورية بالاشتراك مع مجلس الوزراء السياسة العامة للدولة، ويشرفان على تنفيذها على الوجه المبين في الدستور.

مادة ١٣٩

لرئيس الجمهورية أن يعين نائبًا له أو أكثر، ويحدد اختصاصاتهم، ويعفيهم من مناصبهم.

وتسرى القواعد المنظمة لمسائلة رئيس الجمهورية على نواب رئيس الجمهورية.

مادة ١٤٠

يؤدى نائب رئيس الجمهورية، أمام رئيس الجمهورية، قبل مباشرة مهام منصبه اليمين الآتية:

"اقسم بالله العظيم أن أحافظ مخلصًا على النظام الجمهوري، وأن أحترم الدستور والقانون، وأن أرعى مصالح الشعب رعاية كاملة، وأن أحافظ على استقلال الوطن وسلامة أراضيه."

مادة ١٤١

يعين رئيس الجمهورية رئيس مجلس الوزراء ونوابه والوزراء ونوابهم، ويعفيهم من مناصبهم.

مادة ١٤٢

لرئيس الجمهورية حق دعوة مجلس الوزراء للانعقاد وحضور جلساته، وتكون له رئاسة الجلسات التي يحضرها، كما يكون له حق طلب تقارير من الوزراء.

مادة ١٤٣

يعين رئيس الجمهورية الموظفين المدنيين والعسكريين والممثلين السياسيين، ويعزلهم على الوجه المبين في القانون.

كما يعتمد ممثلي الدولة الأجنبية السياسيين.

مادة ١٤٤

يصدر رئيس الجمهورية اللوائح اللازمة لتنفيذ القوانين، بما ليس فيه تعديل أو تعطيل لها أو إعفاء من تنفيذها، وله أن يفوض غيره في إصدارها. ويجوز أن يعين القانون من يصدر القرارات اللازمة لتنفيذه.

مادة ١٤٥

يصدر رئيس الجمهورية لوائح الضبط.

مادة ١٤٦

يصدر رئيس الجمهورية القرارات اللازمة لإنشاء وتنظيم المرافق والمصالح العامة.

مادة ١٤٧

إذا حدث في غيبة مجلس الشعب ما يوجب الإسراع في اتخاذ تدابير لا تحتمل التأخير جاز لرئيس الجمهورية أن يصدر في شأنها قرارات تكون لها قوة القانون.

ويجب عرض هذه القرارات على مجلس الشعب خلال خمسة عشر يومًا من تاريخ صدورها إذا كان المجلس قائمًا، وتعرض في أول اجتماع له في حالة الحل أو وقف جلساته، فإذا لم تعرض زال بأثر رجعى ما كان له من قوة القانون دون حاجة إلى إصدار قرار بذلك، وإذا عرضت ولم يقرها المجلس زال بأثر رجعى ما كان لها من قوة القانون، إلا إذا رأى المجلس اعتماد نفاذها فى الفترة السابقة أو تسوية ما ترتب على آثارها بوجه آخر.

مادة ١٤٨

يعلن رئيس الجمهورية حالة الطوارئ على الوجه المبين في القانون، ويجب عرض هذا الإعلان على مجلس الشعب خلال الخمسة عشر يومًا التالية ليقرر ما يراه بشأنه.

وإذا كان مجلس الشعب منحلا يعرض الأمر على المجلس الجديد فى أول اجتماع له.

وفى جميع الأحوال يكون إعلان حالة الطوارئ لمدة محددة، ولا يجوز مدها إلا بموافقة مجلس الشعب.

مادة ١٤٩

لرئيس الجمهورية حق العفو عن العقوبة أو تخفيفها، أما العفو الشامل فلا يكون إلا بقانون.

مادة ١٥٠

رئيس الجمهورية هو القائد الأعلى للقوات المسلحة، وهو الذى يعلن الحرب بعد موافقة مجلس الشعب.

مادة ١٥١

رئيس الجمهورية يبرم المعاهدات، ويبلغها مجلس الشعب مشفوعة بما يناسب من البيان. وتكون لها قوة القانون بعد إبرامها والتصديق عليها ونشرها وفقًا للأوضاع المقررة.

على أن معاهدات الصلح والتحالف والتجارة والملاحة وجميع المعاهدات التي يترتب عليها تعديل في أراضى الدولة، أو التي تتعلق بحقوق السيادة، أو التي تحمل خزانة الدولة شيئًا من النفقات غير الواردة في الموازنة، تجب موافقة مجلس الشعب عليها.

مادة ١٥٢

لرئيس الجمهورية أن يستفتى الشعب في المسائل المهمة التى تتصل بمصالح البلاد العليا.

الفرع الثاني: الحكومة

مادة ١٥٣

الحكومة هي الهيئة التنفيذية والإدارية العليا للدولة. وتتكون الحكومة من رئيس مجلس الوزراء ونوابه والوزراء ونوابهم.

ويشرف رئيس مجلس الوزراء على أعمال الحكومة.

مادة ١٥٤

يشترط فيمن يعين وزيرًا أو نائب وزير أن يكون مصريًا، بالغًا من العمر خمسًا وثلاثين سنة ميلادية على الأقل، وأن يكون متمتعًا بكامل حقوقه المدنية والسياسية.

مادة ١٥٥

يؤدى أعضاء الوزارة، أمام رئيس الجمهورية، قبل مباشرة مهام وظائفهم اليمين الآتية:

"أقسم بالله العظيم أن أحافظ مخلصًا على النظام الجمهوري، وأن أحترم الدستور والقانون، وأن أرعى مصالح الشعب رعاية كاملة، وأن أحافظ على استقلال الوطن وسلامة أراضيه."

مادة ١٥٦

يمارس مجلس الوزراء بوجه خاص الاختصاصات الآتية:

أ - الاشتراك مع رئيس الجمهورية في وضع السياسة العامة للدولة، والإشراف على تنفيذها وفقًا للقوانين والقرارات الجمهورية.

ب - توجيه وتنسيق ومتابعة أعمال الوزارات والجهات التابعة لها والهيئات والمؤسسات العامة.

ح - إصدار القرارات الإدارية والتنفيذية وفقًا للقوانين والقرارات ومراقبة تنفيذها.

د - إعداد مشروعات القوانين والقرارات.

ه - إعداد مشروع الموازنة العامة للدولة.

و - إعداد مشروع الخطة العامة للدولة.

ز - عقد القروض ومنحها وفقًا لأحكام الدستور.

ح - ملاحظة تنفيذ القوانين والمحافظة على أمن الدولة وحماية حقوق المواطنين ومصالح الدولة.

مادة ١٥٧

الوزير هو الرئيس الإداري الأعلى لوزارته، ويتولى رسم سياسة الوزارة في حدود السياسة العامة للدولة، ويقوم بتنفيذها.

مادة ١٥٨

لا يجوز للوزير أثناء تولى منصبه أن يزاول مهنة حرة أو عملاً تجاريًا أو ماليًا أو صناعيًا، أو أن يشتري أو يستأجر شيئًا من أموال الدولة، أو أن يؤجرها أو يبيعها شيئًا من أمواله أو أن يقايضها عليه.

مادة ١٥٩

لرئيس الجمهورية ولمجلس الشعب حق إحالة الوزير إلى المحاكمة عما يقع منه من جرائم أثناء تأدية أعمال وظيفته أو بسببها.

ويكون قرار مجلس الشعب باتهام الوزير بناء على اقتراح يقدم من خمس أعضائه على الأقل، ولا يصدر قرار الاتهام إلا بأغلبية ثلثي أعضاء المجلس.

مادة ١٦٠

يقف من يتهم من الوزراء عن عمله إلى أن يفصل في أمره، ولا يحول انتهاء خدمته دون إقامة الدعوى عليه أو الاستمرار فيها. وتكون محاكمة الوزير وإجراءات المحاكمة وضماناتها والعقاب على الوجه المبين بالقانون.

وتسري هذه الأحكام على نواب الوزراء.

الفرع الثالث: الإدارة المحلية

مادة ١٦١

تقسم جمهورية مصر العربية إلى وحدات إدارية تتمتع بالشخصية الاعتبارية، منها المحافظات والمدن والقرى، ويجوز إنشاء وحدات إدارية أخرى تكون لها الشخصية الاعتبارية إذا اقتضت المصلحة العامة ذلك.

مادة ١٦٢

تشكل المجالس الشعبية المحلية تدريجيا على مستوى الوحدات الإدارية عن طريق الانتخاب المباشر، على أن يكون نصف أعضاء المجلس الشعبي على الأقل من العمال والفلاحين، ويكفل القانون نقل السلطة إليها تدريجيًا.

ويكون اختيار رؤساء ووكلاء المجالس بطريق الانتخاب من بين الأعضاء.

مادة ١٦٣

يبين القانون طريقة تشكيل المجالس الشعبية المحلية، واختصاصاتها ومواردها المالية، وضمانات أعضائها، وعلاقاتها بمجلس الشعب والحكومة، ودورها في إعداد وتنفيذ خطة التنمية وفي الرقابة على أوجه النشاط المختلفة.

الفرع الرابع: المجالس القومية المتخصصة

مادة ١٦٤

تنشأ مجالس متخصصة على المستوى القومي تعاون في رسم السياسة العامة للدولة في جميع

مجالات النشاط القومي، وتكون هذه المجالس تابعة لرئيس الجمهورية. ويحدد تشكيل كل منها واختصاصاته قرار من رئيس الجمهورية.

الفصل الرابع: السلطة القضائية

مادة ١٦٥

السلطة القضائية مستقلة، وتتولاها المحاكم على اختلاف أنواعها ودرجاتها، وتصدر أحكامها وفق القانون.

مادة ١٦٦

القضاة مستقلون، لا سلطان عليهم في قضائهم لغير القانون، ولا يجوز لأية سلطة التدخل في القضايا أو في شئون العدالة.

مادة ١٦٧

يحدد القانون الهيئات القضائية واختصاصاتها وينظم طريقة تشكيلها، ويبين شروط وإجراءات تعيين أعضائها ونقلهم.

مادة ١٦٨

القضاة غير قابلين للعزل. وينظم القانون مساءلتهم تأديبيًا.

مادة ١٦٩

جلسات المحاكم علنية إلا إذا قررت المحكمة جعلها سرية مراعاة للنظام العام أو الآداب. وفي جميع الأحوال يكون النطق بالحكم في جلسة علنية.

مادة ١٧٠

يسهم الشعب في إقامة العدالة على الوجه وفي الحدود المبينة في القانون.

مادة ١٧١

ينظم القانون ترتيب محاكم أمن الدولة، ويبين اختصاصاتها والشروط الواجب توافرها فيمن يتولون القضاء فيها.

مادة ١٧٢

مجلس الدولة هيئة قضائية مستقلة، ويختص بالفصل في المنازعات الإدارية وفي الدعاوى التأديبية، ويحدد القانون اختصاصاته الأخرى.

مادة ١٧٣

يقوم على شئون الهيئات القضائية مجلس أعلى يرأسه رئيس الجمهورية. ويبين القانون طريقة تشكيله واختصاصاته وقواعد سير العمل فيه. ويؤخذ رأيه في مشروعات القوانين التي تنظم شئون الهيئات القضائية.

الفصل الخامس: المحكمة الدستورية العليا

مادة ١٧٤

المحكمة الدستورية العليا هيئة قضائية مستقلة قائمة بذاتها، في جمهورية مصر العربية، مقرها مدينة القاهرة.

مادة ١٧٥

تتولى المحكمة الدستورية العليا دون غيرها الرقابة القضائية على دستورية القوانين واللوائح، وتتولى تفسير النصوص التشريعية، وذلك كله على الوجه المبين في القانون.

ويعين القانون الاختصاصات الأخرى للمحكمة وينظم الإجراءات التي تتبع أمامها.

مادة ١٧٦

ينظم القانون كيفية تشكيل المحكمة الدستورية العليا، ويبين الشروط الواجب توافرها في أعضائها وحقوقهم وحصاناتهم.

مادة ١٧٧

أعضاء المحكمة الدستورية العليا غير قابلين للعزل، وتتولى المحكمة مساءلة أعضائها على الوجه المبين بالقانون.

مادة ١٧٨

تنشر في الجريدة الرسمية الأحكام الصادرة من المحكمة الدستورية العليا في الدعاوى الدستورية، والقرارات الصادرة بتفسير النصوص التشريعية، وينظم القانون ما يترتب على الحكم بعدم دستورية نص تشريعي من آثار.

الفصل السادس: المدعي العام الاشتراكي

مادة ١٧٩

يكون المدعي العام الاشتراكي مسئولا عن اتخاذ الإجراءات التي تكفل تأمين حقوق الشعب وسلامة المجتمع ونظامه السياسي، والحفاظ على المكاسب الاشتراكية والتزام السلوك الاشتراكي، ويحدد القانون اختصاصاته الأخرى، ويكون خاضعًا لرقابة مجلس الشعب، وذلك كله على الوجه المبين في القانون.

الفصل السابع: القوات المسلحة ومجلس الدفاع الوطنى

مادة ١٨٠

الدولة وحدها هى التي تنشئ القوات المسلحة وهي ملك للشعب، مهمتها حماية البلاد وسلامة أراضيها وأمنها وحماية مكاسب النضال الشعبى الاشتراكية، ولا يجوز لأية هيئة أو جماعة إنشاء تشكيلات عسكرية أو شبه عسكرية.

ويبين القانون شروط الخدمة والترقية فى القوات المسلحة.

مادة ١٨١

تنظم التعبئة العامة وفقًا للقانون.

مادة ١٨٢

ينشأ مجلس يسمى "مجلس الدفاع الوطني"، ويتولى رئيس الجمهورية رئاسته، ويختص بالنظر في الشئون الخاصة بوسائل تأمين البلاد وسلامتها، ويبين القانون اختصاصاته الأخرى.

مادة ١٨٣

ينظم القانون القضاء العسكري، ويبين اختصاصاته فى حدود المبادئ الواردة فى الدستور.

الفصل الثامن: الشرطة

مادة ١٨٤

الشرطة هيئة مدنية نظامية، رئيسها الأعلى رئيس الجمهورية.

وتؤدى الشرطة واجبها في خدمة الشعب، وتكفل للمواطنين الطمأنينة والأمن، وتسهر على حفظ النظام والأمن العام والآداب، وتتولى تنفيذ ما تفرضه عليها القوانين واللوائح من واجبات، وذلك كله على الوجه المبين بالقانون.

الباب السادس: أحكام عامة وانتقالية

مادة ١٨٥

مدينة القاهرة عاصمة جمهورية مصر العربية.

مادة ١٨٦

يبين القانون العلم المصري والأحكام الخاصة به، كما يبين شعار الدولة والأحكام الخاصة به.

مادة ١٨٧

لا تسرى أحكام القوانين إلا على ما يقع من تاريخ العمل بها، ولا يترتب عليها أثر فيما وقع قبلها. ومع ذلك يجوز في غير المواد الجنائية النص في القانون على خلاف ذلك بموافقة أغلبية أعضاء مجلس الشعب.

مادة ١٨٨

تنشر القوانين في الجريدة الرسمية خلال أسبوعين من يوم إصدارها، ويعمل بها بعد شهر من اليوم التالي لتاريخ نشرها، إلا إذا حددت لذلك ميعاداً آخر.

مادة ١٨٩

لكل من رئيس الجمهورية ومجلس الشعب طلب تعديل مادة أو أكثر من مواد الدستور، ويجب أن يذكر في طلب التعديل المواد المطلوب تعديلها والأسباب الداعية إلى هذا التعديل.

فإذا كان الطلب صادراً من مجلس الشعب وجب أن يكون موقعاً من ثلث أعضاء المجلس على الأقل.

وفي جميع الأحوال يناقش المجلس مبدأ التعديل ويصدر قراره في شأنه بأغلبية أعضائه، فإذا رفض الطلب لا يجوز إعادة طلب تعديل المواد ذاتها قبل مضى سنة على هذا الرفض.

وإذا وافق مجلس الشعب على مبدأ التعديل، يناقش بعد شهرين من تاريخ هذه الموافقة، المواد المطلوب تعديلها، فإذا وافق على التعديل ثلثا عدد أعضاء المجلس عرض على الشعب لاستفتائه في شأنه.

فإذا ووفق على التعديل اعتبر نافذاً من تاريخ إعلان نتيجة الاستفتاء.

مادة ١٩٠

تنتهي مدة رئيس الجمهورية الحالي بانقضاء ست سنوات من تاريخ إعلان انتخابه رئيساً للجمهورية العربية المتحدة.

مادة ١٩١

كل ما قررته القوانين واللوائح من أحكام قبل صدور هذا الدستور يبقى صحيحاً ونافذاً، ومع ذلك يجوز إلغاؤها أو تعديلها وفقاً للقواعد والإجراءات المقررة فى هذا الدستور.

مادة ١٩٢

تمارس المحكمة العليا اختصاصاتها المبينة فى القانون الصادر بإنشائها، وذلك حتى يتم تشكيل المحكمة الدستورية العليا.

المادة ١٩٢ مكرر

تستبدل كلمة "الانتخاب" بكلمة "الاستفتاء" أينما وردت في الدستور فيما يتعلق باختيار رئيس الجمهورية.

مادة ١٩٣

يعمل بهذا الدستور من تاريخ إعلان موافقة الشعب عليه فى الاستفتاء.

الباب السابع: أحكام جديدة

الفصل الأول: مجلس الشورى

مادة ١٩٤

يختص مجلس الشورى بدراسة واقتراح ما يراه كفيلاً بالحفاظ على مبادئ ثورتى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢، ١٥ مايو سنة ١٩٧١ ودعم الوحدة الوطنية، والسلام الاجتماعى، وحماية تحالف قوى الشعب العاملة والمكاسب الاشتراكية، والمقومات الأساسية للمجتمع وقيمه العليا والحقوق والحريات والواجبات العامة، وتعميق النظام الاشتراكى الديمقراطى وتوسيع مجالاته.

مادة ١٩٥

يؤخذ رأى مجلس الشورى فيما يلي:

- الاقتراحات الخاصة بتعديل مادة أو أكثر من مواد الدستور.
- مشروعات القوانين المكملة للدستور.
- مشروع الخطة العامة للتنمية الاجتماعية والاقتصادية.
- معاهدات الصلح والتحالف وجميع المعاهدات التى يترتب عليها تعديل فى أراضى الدولة أو التى تتعلق بحقوق السيادة.
- مشروعات القوانين التى يحيلها إليه رئيس الجمهورية.
- ما يحيله رئيس الجمهورية إلى المجلس من موضوعات تتصل بالسياسة العامة للدولة أو بسياستها فى الشئون العربية أو الخارجية.

ويبلغ المجلس رأيه فى هذه الأمور إلى رئيس الجمهورية ومجلس الشعب.

مادة ١٩٦

يشكل مجلس الشورى من عدد من الأعضاء يحدده القانون على ألا يقل عن ١٣٢ عضواً.

وينتخب ثلثا أعضاء المجلس بالاقتراع المباشر السري العام على أن يكون نصفهم على الأقل من العمال والفلاحين.

ويعين رئيس الجمهورية الثلث الباقي.

مادة ١٩٧

يحدد القانون الدوائر الانتخابية الخاصة بمجلس الشورى وعدد الأعضاء بكل دائرة، والشروط الواجب توافرها في المنتخبين أو المعينين منهم.

مادة ١٩٨

مدة عضوية مجلس الشورى ست سنوات، ويتجدد انتخاب واختيار نصف الأعضاء المنتخبين والمعينين كل ثلاث سنوات وفقًا للقانون.

ويجوز دائما إعادة انتخاب أو تعيين من انتهت مدة عضويته.

مادة ١٩٩

ينتخب مجلس الشورى رئيسًا له ووكيلين في أول اجتماع لدور الانعقاد السنوى العادى لمدة ثلاث سنوات، وإذا خلا مكان أحدهم انتخب المجلس من يحل محله إلى نهاية مدته.

مادة ٢٠٠

لا يجوز الجمع بين عضوية مجلس الشورى ومجلس الشعب.

مادة ٢٠١

رئيس مجلس الوزراء ونوابه والوزراء وغيرهم من أعضاء الحكومة غير مسئولين أمام مجلس الشورى.

مادة ٢٠٢

لرئيس الجمهورية إلقاء بيانه عن السياسة العامة للدولة أو أية بيانات أخرى في اجتماع مشترك لمجلسى الشعب والشورى يرأسه رئيس مجلس الشعب.

ولرئيس الجمهورية إلقاء ما يراه من بيانات أمام مجلس الشورى.

مادة ٢٠٣

يجوز لرئيس مجلس الوزراء والوزراء ولغيرهم من أعضاء الحكومة إلقاء بيان أمام مجلس الشورى أو إحدى لجانه عن موضوع داخل فى اختصاصه.

ويسمع رئيس مجلس الوزراء ونوابه والوزراء وغيرهم من أعضاء الحكومة كلما طلبوا الكلام في مجلس الشورى ولجانه، ولهم أن يستعينوا بمن يرون من كبار الموظفين، ولا يكون للوزير أو لغيره من أعضاء الحكومة صوت معدود عند أخذ الرأي، إلا إذا كان من الأعضاء.

مادة ٢٠٤

لا يجوز لرئيس الجمهورية حل مجلس الشورى إلا عند الضرورة، ويجب أن يشتمل قرار حل المجلس على دعوة الناخبين لإجراء انتخابات جديدة لمجلس الشورى في ميعاد لا يجاوز ستين يومًا من تاريخ صدور قرار الحل.

ويجتمع المجلس خلال الأيام العشرة التالية لإجراء الانتخابات.

مادة ٢٠٥

تسري في شأن مجلس الشورى الأحكام الواردة بالدستور في المواد: ٨٩، ٩٠، ٩١، ١٠١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٤٣ وذلك فيما لا يتعارض مع الأحكام الواردة في هذا الفصل، على أن يباشر الاختصاصات المقررة فى المواد المذكورة مجلس الشورى ورئيسه.

الفصل الثاني: سلطة الصحافة

مادة ٢٠٦

الصحافة سلطة شعبية مستقلة تمارس رسالتها على الوجه المبين في الدستور والقانون.

مادة ٢٠٧

تمارس الصحافة رسالتها بحرية وفى استقلال فى خدمة المجتمع بمختلف وسائل التعبير، تعبيرًا عن اتجاهات الرأي العام وإسهامًا في تكوينه وتوجيهه، فى إطار المقومات الأساسية للمجتمع، والحفاظ على الحريات والحقوق والواجبات العامة، واحترام حرمة الحياة الخاصة للمواطنين، وذلك كله طبقًا للدستور والقانون.

مادة ٢٠٨

حرية الصحافة مكفولة والرقابة على الصحف محظورة، وإنذارها أو وقفها أو إلغاؤها بالطريق الإداري محظور وذلك كله وفقًا للدستور والقانون.

مادة ٢٠٩

حرية إصدار الصحف وملكيتها للأشخاص الاعتبارية العامة والخاصة وللأحزاب السياسية مكفولة طبقًا للقانون.

وتخضع الصحف في ملكيتها وتمويلها والأموال المملوكة لها لرقابة الشعب على الوجه المبين بالدستور والقانون.

مادة ٢١٠

للصحفيين حق الحصول على الأنباء والمعلومات طبقًا للأوضاع التي يحددها القانون.

ولا سلطان عليهم فى عملهم لغير القانون.

مادة ٢١١

يقوم على شئون الصحافة مجلس أعلى يحدد القانون طريقة تشكيله واختصاصاته وعلاقاته بسلطات الدولة.

ويمارس المجلس اختصاصاته بما يدعم حرية الصحافة واستقلالها، ويحقق الحفاظ على المقومات الأساسية للمجتمع، ويضمن سلامة الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعى، وذلك على النحو المبين فى الدستور والقانون.



المراجع

١ ـ أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة. محمد حسنين هيكل.

٢ ـ الطريق إلى رمضان ـ محمد حسنين هيكل.

٣ ـ مصر كما تريدها أمريكا من صعود ناصر إلى سقوط مبارك ـ لويد سى. جاردنر ترجمة: د. فاطمة نصر.

٤ ـ الثورة المضادة فى مصر ـ د. غالى شكرى.

٥ ـ السادات الحقيقة والأسطورة ـ موسى صبرى.

٦ ـ من أوراق السادات ـ أنيس منصور.

٧ ـ أخبار المصريين فى القرن العشرين سعيد هارون عاشور ـ الجزء الثالث

٨ ـ الديمقراطية والقرار السياسى بين عبد الناصر والسادات ـ د. صلاح السيد بيومى.

٩ ـ الإخوان المسلمون قراءة فى الملفات السرية ـ عبد الرحيم على.

١٠ ـ كيسنجر وصراع الشرق الأوسط ـ إبراهيم سعد الدين.

١١ ـ خمسة وعشرون عامًا دراسة تحليلية للسياسات الاقتصادية فى مصر ١٩٥٢ ـ ١٩٧٧ ـ على الجريتلى.

١٢ ـ البحث عن الذات ـ محمد أنور السادات.

١٣ ـ تاريخ الفكر المصرى الحديث ـ لويس عوض.

- أين أصبح عبد الناصر فى جمهورية السادات - فؤاد مطر.
- الفكرة العربية فى مصر - أنيس صايغ.
- مصر بين التنمية والتسوية - أحمد ثابت.
- الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢ - طارق البشرى.
- الحرب النفسية فى المنطقة العربية - حامد ربيع.
- الصراع على التسوية الإسرائيلية - محمود سويد.
- مصر فى ظل السادات - البير فرحات.
- الجدلية الاجتماعية - أنور عبد الملك.
- مسيرة السادات من سالزبورج حتى الكنيست - طارق البشرى.
- صراع اليمين واليسار فى الثقافة المصرية - أمير إسكندر.
- برنامج العمل الوطنى الهيئة العامة للمطابع الأميرية.

الدوريات

جريدة الأهرام يناير ١٩٧١ ديسمبر ١٩٧١.
جريدة الأخبار يناير ١٩٧١ ديسمبر ١٩٧١.
جريدة الجمهورية يناير ١٩٧١ ديسمبر ١٩٧١.

الفهرس


مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

فى تاريخ كل أمة سنوات حاسمة، تمهد الطريق، إمّا للتقدم، وإمّا للانهيار ، والوصول لحافة الهاوية ، وسنوات الحسم مرت كثيرًا على مصر فى عصرها الحديث .

وكان عام ١٩٧١ من الأعوام الخطيرة، التى مرت على مصر، بعد نكسة قاسية، والبلاد كانت فى أشد الاحتياج للتغيير فى استراتيجيتها؛ لتمحو آثار الهزيمة، وهى -أيضًا- فى أشد الحاجة إلى ضروريات توجّه إلى مستوى دول العالم المهمة ؛ إذا ما كان ضروريًا أن يسهم الكل فى تشكيل نوع جديد من العلاقات الدولية الخصبة، فى عالم متغير الفصول ؛ فالحِمْل كان ثقيلاً على الرئيس السادات، والتغيير الذى كان يحلم به للبلاد يكاد يكون مستحيلاً، لكن ـ بخبرة الرجل السياسية ـ استطاع فى عدة أعوام أن يحقق الكثير منها .

وجاء هذا الكتاب ليتناول عام الحسم، وهو العام الأول فى حكم السادات؛ بداية طريق جديد، قرارات سريعة، وحاسمة تركت أثرًا على جدران الوطن، مازال موجودًا إلى يومنا هذا .

والكتاب محاولة للفهم، وليس سرد تاريخ؛ فكتابة التاريخ لها علماء متخصصون، أما محاولة الفهم فهى متاحة للجميع .

احمد اغا



